وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الموضوع

ظاهرة التوحيد في حضارة وادي الرافدين بين النصوص القديمة والديانات السماوية

-دعوة نوح عليه السلام أنموذجا-

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

إعداد الطالبة :

صبيحة أوكيل

لجنة المناقشة:			
الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ابراهيم بشي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
بلقاسم رحماني	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
ام هاني رمضاني	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
بومدين موفق	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
محمد بن عبد المومن	أستاذ محاضر	عضو مناقشا	جامعة وهران 1
جراية محمد رشدي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

السنة الجامعية: 2017/2016

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر2

أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الموضوع

ظاهرة التوحيد في حضارة وادي الرافدين بين النصوص القديمة والديانات السماوية

-دعوة نوح عليه السلام أنموذجا-

ملخص رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

إعداد الطالبة:
صبيحة أوكيل

إشراف الأستاذ:
أ.د/ بلقاسم رحماني

السنة الجامعية: 2017/2016

الاهداء

الإهداء

لا يسعني اليوم سوى أن أهدي هذا العمل إلى كل من انتظر معي فرحة النجاح ودعمني بكل طيب نفيس

واستهل الأخيار بأخيرهم، إلى من ثبتاني على درب الحياة ووضعا بداخلي لبنة التحدي والإصرار وصليا لأجلي بخشوع إلى والداي العزيزان

إلى أعز من منحتني الحياة، زوجي العزيز واولادي.

إلى أغلى الغوالي اخوتي واخواتي

أرفع هذا العمل وكلي فخر واعتزاز.

□

الشكر

شكر

أشكر الله العلي القدير وأحمده حمدا كثيرا الذي أمدني بالقوة والعزيمة للإنجاز هذا العمل المتواضع.

فلم يكن ليَبرُوَ عملي هذا على ما هو عليه لو لم تتواضع لدعمه جهودا قيمة، لتجود بما من شأنه أن يساعدني على المضي وفقا للأفكار نيرة رسمت لي المحور المستقيم، وليس لي سوى أن أقف أمام كل هذا وقفة إجلال واحترام وتقدير للأستاذي المشرف أ.د بلقاسم رحماني

الذي لم يبخل عليّ يوما بتوجيهاته ونصائحه القيّمة، وصبره عليّ، ومساندته لي من أجل إتمام هذا العمل الذي سطره من بدايته إلى آخر نقطة وُضعت فيه رغم انشغالاته الكثيرة، فكل الشكر لك أستاذي.

وأجد لزاما عليّ هنا أيضا توجيه عظيم الشكر للجنة المناقشة، كما أوجه شكري إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا الموضوع.

مقدمة

مقدمـــة:

اتفق علماء الأديان على تأصل العقيدة الدينية في النفوس منذ ظهور الإنسان، فليس هناك شيء أشد ارتباطاً بالنفس، ولا أعظم تأثيرا في حياة الشعوب والأفراد من التديّن، فهو يمثل العنصر الجوهري في فطرة وطبيعة الإنسان، ولا يستطيع هذا الأخير أن يعيش بدونه، فالدين ضروري وحتمي كونه يعبّر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملَكاتها ومظاهرها، والتاريخ يبرِز أن الدين كان عاملاً من أكبر العوامل التي ساعدت على رقيِّ المجتمعات وبقاءها، كما عمِل على السمو بحياة الافراد والجماعات البشرية على حد السواء، فقد أثبتت الدراسات أن لكل شعب من شعوب العالم القديم مهما كانت ثقافتهم، ديناً يسيرون عليه ويخضعون لتعاليمه، فمخلفات الشعائر الدينية التي تركها الإنسان القديم تؤكد سيطرة هذه الفكرة على عقول وقلوب الناس جميعاً.

والمعتقد في الحضارات الشرقية القديمة لعب دوراً أساسياً في رقيّ وازدهار هاته الحضارات، فقد أقام الإنسان الشرقي القديم المعابد وشيّد القبور للتعبير عن ما يخالجه من أفكار عن العالم الآخر والحساب والعقاب والبعث، وذلك راجع لما يتصوره عن العالم العلوي والسفلي، ومدى تأثير الآلهة في صياغة وتدبير هذه العوالم، فامتزجت أفكاره بشبكة من الطقوس والشعائر، التي كان للكهنة الدور الأساسي في صياغتها وتطبيقها من أجل المحافظة على الدين وعلى استمراريته، كما وضعوا مجموعة من الأساطير التي كان لها دوراً بارزاً في وضع مجمع الآلهة كلٌ حسب دوره، علماً أن الأساطير تعتبر من المكونات الرئيسية للدين.

وبما أن بلاد الرافدين جزءً لا يتجزأ من الشرق الأدنى القديم، فشأنها شأن الحضارات الشرقية قد عرفت التدين طيلة أطواره التاريخية، وكان من خصائص ديانة بلاد الرافدين الاستمرارية؛ فنفس الطقوس والأساطير التي عرفها السومريون بقيت كذلك إلى آخر مراحل هاته الحضارة، ولكن الاختلاف يكمن في مرتبة الإله وعلاقة الآلهة فيما بينها، وكذا عرفوا خاصية الحيوية حيث اعتقدوا أن في كل مظهر من مظاهر الطبيعة روح، ولكثرة مظاهر الطبيعة نتج ما يعرف بالتعدد، فقد عبد العراقيون القدامى آلهة كثيرة تتباين عن بعضها البعض في الأهمية والقدم، حتى أن للبعض منها عدداً كبيراً من الأسماء والصفات، كما اعتقدوا بحياة الآلهة المماثلة لحياة البشر، فضلا عن القدرات الخارقة

التي لا يستطيع البشر أداءها والوصول إليها كالشباب الدائم والخلود، فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون، ولهم اتباع يسهرون على نيل رضاهم.

ولكن في نفس الوقت عرفت حضارة وادي الرافدين مفاهيم تتصل بفكرة الإله الواحد مثل التفريد، فبالرغم من أن التعددية غلبت على العقيدة، إلا الانسان العراقي القديم قد عرف الإله الأكبر، إلا أنها لا تنفي وجود الآلهة الأصغر، والتي يفهم منها عقيدة تفضيل إله وبالتالي تفريده عن غيره، وقد اختلفت أسماء الآلهة من إقليم لآخر، علماً أن هاته العقيدة لا تعبّر عن التوحيد الذي نعرفه اليوم، أي عبادة الله الواحد لا شريك له.

وهذا لا ينفي أن سكان بلاد الرافدين عرفوا التوحيد الذي اقترن بدعوات الأنبياء مثل نوح وإبراهيم ويونس عليهم السلام، بالإضافة إلى أنبياء الأسر مثل دانيال وحزقيال وعزرا، وقد وردت أخبارهم في الكتب المقدسة كالتوراة والقرآن الكريم، وقد كان لهم تأثيراً بارزاً في المنطقة يظهر مما أخذه عنهم العراقيون القدامى من أفكار ومزجوها بعقيدتهم الوثنية، مثل اعتقادهم بفكرة الحياة والموت وثنائية الخير والشر والحساب والعقاب، كما وجدت بعض الأحداث البارزة التي اقترنت بدعوات الانبياء مدونة في أساطيرهم، حيث ربطوها بمجمع الآلهة الرافدي، ومن بين هاته الأحداث نجد طوفان سيدنا نوح عليه السلام، والذي سيمثل المحور الاساسي لرسالتي هاته، والتركيز على أثر الدعوة التوحيدية التي حملها نبي الله نوح عليه السلام لقومه وما حلّ بهم.

1. الاشكالية:

من خلال كل ما سبق يمكن أن نطرح الاشكالية التالية:

-كيف كان سير دعوة نوح عليه السلام من أجل ترسيخ فكرة التوحيد في بلاد الرافدين بين ما ورد في النصوص القديمة والكتب السماوية؟ وتفضي بنا هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات عن الجزئية التي تساعد في بناء الموضوع وتتمثل فيما يلي:

ما هو مفهوم التوحيد؟ وكيف جاء خبر الطوفان في قوائم سلالات الملوك السومرية؟ وما هي أهم التنقيبات الأثرية التي أجريت للكشف عن آثار الحدث؟ وفيما تمثلت أسباب الطوفان العلمية؟ وكيف جاء خبر الطوفان في الأساطير الرافدية؟ وكيف جاء خبره في التوراة؟ وكيف وردت دعوة نوح عليه السلام في

القرآن الكريم؟ وما هي أوجه الشبه والاختلاف بين المصادر السابقة حول الحدث؟ وهل كان الطوفان شاملا للكرة الأرضية أم كان محصورا في منطقة معينة؟

2. أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في البحث عن أثر ظاهرة التوحيد في حضارة وادي الرافدين، ولأن ديانة هذه الأخيرة لم تتسِّم بالتوحيد المطلق لإله واحد -كما سلف الذكر- إلا ما ارتبط بدعوات التوحيد التي قام بها الأنبياء في المنطقة، جاءت أهمية تتبع أدوار قصة الطوفان التي ارتبطت بدعوة نبي الله نوح عليه السلام، التي كان لها تأثيراً واضحاً في الديانة التي كان يدين بها سكان وادي الرافدين، وذلك ما يلاحظ من خلال ما جاء في الأسطورة السومرية والأساطير البابلية، وانتقالها إلى حضارات أخرى قديمة حتى البعيدة منها عن المجال الجغرافي لحضارة وادي الرافدين، ومقارنتها بما جاء عن الطوفان في التوراة والقرآن الكريم، للوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف بين الروايات، وإيجاد سند علمي لها من خلال ما توصل إليه علم الآثار.

3. أسباب اختيار الموضوع:

مما لا شك فيه أن لكل عمل علمي هدفاً إن لم نقل أهدافا، يطمح الباحث من خلاله إلى تحقيقها أو تحقيق البعض منها، ولعل من أسباب اختياري للموضوع كان ميلي دائماً لدراسة تاريخ الأفكار والمعتقدات، كما كنت دائما أنجذب للبحث في تاريخ الأنبياء ودعواتهم والقصص القرآني، الذي كان له تأثير كبير عليَّ من خلال ما جاء فيه من أحداث مشوقة عن الأمم البائدة، بالإضافة الى أن كتب الاعجاز العلمي في القرآن والسنة تستهويني بما فيها من حقائق تعزِّز اعتقادي، بالإضافة إلى تأثير النشأة الدينية شأني شأن المسلمين الذين تعلموا عن أمور دينهم بالقدر الذي يتعرفون به عليه، غير أني في كل مرة أبحث لها عن سند تاريخي أو إثبات علمي.

كما أن إحساسي العميق بأن الدراسات التاريخية المتصلة بالكتب السماوية دائما تحدث جدلاً، وتلقى تجاوباً من القارئ المهتم بمقارنة الأديان، ما جعل هذه الدراسة تهدف إلى ازدياد تعلقنا بعقيدتنا، حيث تجعلك تقف أمام قصور الديانات الوضعية الأخرى وارتباكها، من حيث معالجة القضايا الدينية والدنيوية، فهي تبعث في النفوس إحساساً عميقاً بنعمة الإسلام وكفى بها نعمة تجعل

المرء يفخر بإسلامه كيف لا وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

والأجدر بالمتخصص في التاريخ أن يؤرخ للأمم السابقة، ويتعدى فكرة القصص الدينية التي تهدف إلى العبرة، حاولت في دراستي هذه لموضوع دعوة التوحيد في حضارة وادي الرافدين، أن أجد أنموذج للدراسة في إطار تحديد الفترة الزمنية للتماشي وقدرتي على إنجاز العمل، أخذت أنموذج لدراسة دعوة التوحيد التي جاء بها نبي الله نوح ﷺ لقومه، خاصة وأن هذه الدعوة ارتبطت بعقاب إلهي صبّه الله ﷻ على قوم نوح ﷺ الذين كفروا بدعوته، وهو طوفان أهلكهم جميعاً، وقد ظهرت أخبار هذا الطوفان في الأساطير السومرية والبابلية كما ظهرت في الكتب السماوية، ما جعل الأثريين يبحثون عن آثار لهذا الحدث في المنطقة.

وبما أن هذا النوع من المواضيع استهلك بكثرة في العلوم الشرعية وأصول الدين، ارتأيت أن أمزج بين الجانب الديني والتاريخي وأن أربط الجانب الديني بالتاريخي كون الطوفان حدث فعلاً في الماضي، وورد ذكره في الأساطير التي حملت جزءاً عنه من الحقيقة، كما أن قصة الطوفان اختصت بها العديد من الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس وقد جاءت لتصديق ما فيه وتأكيد زعمهم بأنه كتاب صحيح، وأما الطوفان الذي ورد في أساطير الشعوب القديمة فقد حضي هو الآخر باهتمام كبير خاصة وأن الدراسات الأكاديمية التي قام بها المؤرخون العراقيون قد أحاطت بما جاء في الأساطير على أنها حدث تاريخي متعلق بالمنطقة التي حدث فيها، غير أن الجديد في هذه الدراسة أنها جاءت بجمع بين ما وصل اليه علماء الآثار من جهة، وما جاء في الكتاب المقدس والقصص القرآني من جهة أخرى، فكانت الدراسة لجمع حيثيات الموضوع وحصرها ومقارنتها ببعضها، وإخضاعها في الأخير لما جاء به البحث الأثري، وما توصل اليه علماء الجيولوجيا والجغرافية حول هذه الظاهرة، واسقاطها على الإطار الجغرافي للدراسة وهو وادي الرافدين.

4. المنهج المعتمد:

اعتمدت في هذه الدراسة لجمع المادة وتحليلها ومقارنتها ببعضها البعض على ثلاثة مناهج: المنهج الوصفي باعتباره الأنسب لوصف أحداث الطوفان وبدايته بخبر الطوفان وعلامته إلى مختلف أدواره ومن ثم نهايته ونتائجه كما وردت في الأساطير وكما جاء ذكرها في الكتب السماوية.

كما استعملت المنهج التحليلي في تحليل المعطيات المستقاه من المصادر حول قصة الطوفان وما يتعلق بدعوة نبي الله نوح عليه السلام التوحيدية، خاصة تلك الواردة في الكتب السماوية بتفاصيلها المتشابكة كما جاءت في التوراة من جهة أو كما وردت مختصرة في القرآن الكريم ما استلزم أكثر اعتماد كتب التفسير ومعاجم اللغة للوصول إلى نتائج لم ترد لفضياً في الآيات من جهة أخرى، مع استعمال المصادر المادية التي حوت الأسطورة السومرية والأساطير البابلية وتحليلها وربطها مع بعضها البعض.

بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي خلصت من خلاله إلى مقاربات ومفارقات حول قصة الطوفان، وما يتعلق بها من أحداث مقتضبة أحيانا ومبالغة أحيانا أخرى من مصادرها المتمثلة في التوراة والقرآن الكريم والنصوص القديمة، وما أكده أو ما نفاه علم الآثار، ما يسهل الوصول الى استنتاجات حول التشابه والاختلاف في ما يخص تفاصيل قصة الطوفان من مصادرها.

5. المصادر والمراجع:

ارتكزت دراستي أساساً على المصادر المادية التي تتمثل في المخلّفات الأثرية التي تركها الإنسان الرافدي القديم خلال المراحل التاريخية المتعاقبة، حيث تمثل شواهد حية على الفترة، وتعتبر أصدق المصادر وأدقها وأقربها الى الواقع، ومن أهم المصادر المادية لموضوع الطوفان نجد الألواح الطينية التي جاءت بنصوص أسطورية عن طوفان ضرب المنطقة، والتي عكف العلماء على ترجمتها من المسمارية إلى لغات متعددة ونشرت في كتب مثل كتاب (من ألواح سومر) الذي ترجم نصوصه السومرية الأمريكي صمويل نوح كريمر وترجمه إلى العربية المؤرخ العراقي طه باقر، وقد جمع فيه أساطير سومرية منها أسطورة الطوفان السومرية، بالإضافة إلى كتاب (ملحمة جلجامش) الذي ترجمه إلى العربية طه باقر، والذي تناول قصة الطوفان ضمن ألواح الملحمة التي تحكي قصة جلجامش ورحلته البطولية مع

صديقه، بالإضافة إلى كتاب الأثرية البريطانية ستيفاني دالي (أساطير من بلاد ما بين النهرين) الذي أخذت عنه نص أسطورة أترا–حاسيس البابلية، كما نجد (قائمة سلالات الملوك السومرية) (the Sumerian King List) التي قام عالم الآشوريات ثوركيلد جاكوبسن بترجمتها ونشرها في سنة 1939م، حيث جاء فيها ذكر الطوفان كحدث يفصل بين ملوك حكموا قبل حدوثه وآخرون حكموا بعده.

كما اعتمدت على المصادر الأدبية الدينية بحكم طبيعة الموضوع، وكان في مقدمتها التوراة من الكتاب المقدس النسخة البروتستانتية وهو المصدر الديني الأول من حيث النزول، والذي فصّل في طوفان نوح عليه السلام أيما تفصيل، وسفر التكوين من التوراة على وجه الخصوص انفرد بتفاصيل قصة الطوفان في إصحاحاته الأولى، فقد جاء ذكر قصة الطوفان بعد الخلق وقصة هابيل وقابيل مباشرة، وجاءت في أربعة إصحاحات من السادس إلى التاسع، في حين جاء في الإصحاح العاشر تفصيل أحفاد نوح عليه السلام من أبناءه الذين نجوا معه من الطوفان، واستعملت كذلك التوراة السامرية لما فيها من اختلافات عن النسخة البروتستانتية.

بالإضافة إلى ثان الكتب السماوية من حيث الأهمية، وذلك لما للموضوع من ارتباط بما جاء فيها، حول قصة الطوفان ودعوة نبي الله نوح عليه السلام، فكان ثاني المصادر المستعملة القرآن الكريم وهو وحي الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، والذي على الرغم من اختصار أحداثه إلا أنه قد تناول دعوة نبي الله نوح عليه السلام، وما لاقاه من قومه من صدود إلى غاية غرقهم وفق وعد الله سبحانه، وقد جاءت قصة طوفان نوح عليه السلام فيه ضمن القصص القرآني، الذي يهدف للعبرة ما جعله يسكت عن الكثير من التفاصيل، غير أن ذلك لا ينقص من قيمة المعلومات التي جاءت فيه.

هذا وتجدر الإشارة إلى المصادر الكلاسكية المعتمدة في هذه الدراسة المترجمة الى العربية مثل: كتاب القديس أوغسطين المعنون بـ(مدينة الله) كونه تحدث عن التوحيد والنبوة والاساطير التي امتزجت بالديانات الوثنية القديمة، وكذا كتاب بلوتارخ (تاريخ اباطرة وفلاسفة التاريخ)، وقد استعنت به في قصة الطوفان الإغريقية، بالإضافة إلى مصادر جاءت باللغة الأجنبية مثل الكتاب الثاني لهيرودوت (Histoires) وقد تحدّث فيه عن بلاد بابل وآشور، وكذلك استعملت كتاب المؤرخ

اليهودي يوسيفوس الذي أدرج في كتابه (Histoire des Juifs) تفاصيل عن الطوفان وأوصاف فلك نوح عليه السلام.

كما استعملت في هذه الدراسة مجموعة من المصادر الوسيطية، التي كان لها الأهمية الكبيرة خاصة منها كتب الحديث والتفسير في تفسير الآيات التي استشهدت بها وتأكيد المعنى الصحيح لما جاء فيها، والاستشهاد ببعض الأحاديث النبوية التي جاءت في كتب الحديث والتي وردت على رسول الله ﷺ، على الرغم من أنها لا تتعلق بالفترة، يأتي في مقدمتها البخاري في كتاب (صحيح البخاري)، ومجموعة كتب للألباني جمع فيها الأحاديث النبوية الشريفة مثل (الجامع الصغير وزيادته) و(سلسلة الأحاديث الصحيحة)، وفي مقدمة كتب التفسير أذكر ابن كثير في كتاب (تفسير القرآن العظيم)، والطبري في كتاب (تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل أي قرآن)، والقرطبي في كتاب (الجامع لأحكام القرآن).

وإلى جانب هذه المصادر استعنت بمجموعة من المراجع المهمة للموضوع كلٌ حسب استعماله، فمنها ما اهتم بحضارة وادي الرافدين التي تمثل المجال الجغرافي للدراسة مثل: كتاب طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة)، وكتاب أحمد سوسة (تاريخ حضارة وادي الرافدين)، وكتاب سيتيون لويد (آثار بلاد الرافدين)، ومنها ما اهتم بتاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية فذكر اساطير وادي الرافدين مثل: كتاب سامي سعيد الاحمد (المعتقدات الدينية في العراق القديم)، وكتب فراس السواح منها (مغامرة العقل الأولى)، وكتب خزعل الماجدي منها (بخور الآلهة)، وكتب ميرسيا إيلياد منها (تاريخ المعتقدات والافكار الدينية)، وكتاب جيمس فريزر (الفلكلور في العهد القديم).

وكذلك من المراجع ما اهتم بتاريخ الأنبياء مثل: كتاب عبد الفتاح صلاح الخالدي (مواقف الانبياء في القرآن تحليل وتوجيه)، وكتاب محمد علي الصابوني (النبوة والانبياء)، وكتاب رعد شمس الدين الكيلاني (الانبياء في العراق)، وكتاب عبد الوهاب النجار (قصص الانبياء)، وكتاب محمود عبد الحليم (قصص الانبياء)، ومنها ما اهتم بمقارنات الأديان فذكر الطوفان كحدث ورد في التوراة والقرآن، مثل كتاب موريس بوكاي (القرآن والتوراة والانجيل)، وكتاب رحمة الله الهندي (إظهار الحق)، وكتاب زالمان شازار (تاريخ نقد العهد القديم)، ومنها ما اهتم بموضوع الطوفان مثل: كتاب فاضل

عبد الواحد علي (الطوفان في المراجع المسمارية)، وكتاب منصور عبد الحكيم (طوفان نوح عليه السلام في القرآن والأساطير القديمة)، وكتاب فؤاد جميل (الطوفان في المصادر السومرية والبابلية والآشورية والعبرانية)، وكتاب عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي (طوفان نوح عليه السلام).

إلى جانب ذلك اعتمدت على أعمال الأثريين الذين قاموا بتنقيباتهم عن مدن الطوفان ومراسي سفينة نوح عليه السلام داخل وادي الرافدين وخارجها مثل: كتاب هنري لايارد (Nineveh and its Remains) الذي سبق وولي للتنقيب في مدينة أور، وكتاب مذكرات ماكس مالوان، وكتاب ليونارد وولي (Ur Excavations the Royal Cemetery) الذي كشف عن آثار الطوفان في أور، وكتاب الأثريين: الامريكي لانجدون والفرنسي وايتلين (Excavations at Kish) اللذين كشفا في بعثة تنقيب عن آثار الطوفان في مدينة كيش، وكتاب جرترويد بل (Amurath to Amurath) ونتائج رحلتها للجودي، وكتاب دافيد فاسولد (The Discovery of Noah's Ark) الذي جاء عن رحلته إلى جبال آرارات للكشف عن سفينة نوح عليه السلام، وكذا كتاب والتر بتمان ووليم ريان (طوفان نوح) الذي يتحدث عن رحلتهما للبحر الاسود في إطار البحث عن آثار الطوفان وسفينة نوح عليه السلام.

كما اعتمدت على مجموعة من القواميس والمعاجم مثل قاموس الكتاب المقدس ومعجم الحضارات السامية، ومجموعة من الدوريات مثل مجلة سومر.

6. خطة الموضوع:

قسّمت الرسالة إلى ستة فصول وفصل تمهيدي تطرقت في هذا الأخير إلى المفاهيم الأساسية الخاصة بالرسالة، وذلك لرسم صورة مسبقة عن الموضوع وما يحتويه، ولأن إدراجها يتطلب التمكن اللغوي والرجوع إلى الأصول، للوصول إلى حلقة الوصل بين الحدث ومصدره، كما تمثل المفاهيم المرجعية لفهم الأحداث والتفريق بينها من مصادرها، ويعتبر الاستغناء عنها نقصاً وعيباً في الدراسة، وبناءً على ذلك ولأن هذه الأخيرة ينبغي لها أن تنطلق من الأساس، ارتأيت أن يكون مدخل الدراسة عبارة عن تقديم للموضوع فيما يخص المفاهيم دون الخوض في حيثيات الموضوع، وهو يمثل باب الارتكاز للرسالة، لأنه يحدِّد مفاهيم مصادر قصة الطوفان، التي ارتبطت بدعوة نبي الله نوح عليه السلام

للتوحيد، ومن بين أهم ما يجب ضبطه في دعوة نوح ﷺ التوحيدية مفهوم التوحيد وأنواعه، فتكون بذلك الأساس الذي تبنى عليه الدراسة.

وقد أتبعت مصطلح التوحيد بمفهوم النبوة، نظراً للاختلافات بين التوراة والقرآن حول هذا المصطلح، ومن ثم تعريف الكتب السماوية، بتحديد مفهومها لغة واصطلاحا الذي من شأنه أن يبيّن بعض الحقائق والاختلافات بين مفهوم النبوة من خلال الاديان الكتابية فمفهومها عند اليهود والنصارى يختلف عن مفهومها عند المسلمين، ولذلك اردت أن أضيف شيء عن خصائصها لأبيِّن اكثر ماهية النبوة وكيف حملها انبياء الله عليهم السلام، وقد تطرقت في المصطلح الثالث الى الكتب المقدسة وارتأيت أن أدرجها هنا لأني اعتبرتها مصدراً للحديث عن دعوة نوح ﷺ التوحيدية، فقد استنبطت منها النصوص في مقارنتي بين ما ورد فيها من جهة وما وصل اليه علم الآثار، واولها التوراة حيث تناولت مفهومها وعدّدت اسفارها بالتعريف ومن ثم تدوينها، ثم القرآن الكريم مفهومه وتجميعه وتدوينه، وبما أن الحدث الذي ارتبط بدعوة نبي الله نوح ﷺ والمتمثل في الطوفان ولأن هذا الاخير حضي باهتمام الشعوب القديمة وأوردته نصوصهم كأسطورة تناقلتها الاجيال من زمن لآخر ومن شعب لآخر، وجب تعريف الاسطورة لغة واصطلاحا وانواعها وكيف ارتبطت بالدين في حضارة وادي الرافدين على غرار كل الحضارات القديمة.

وجاء الفصل الأول من الرسالة عن زمان ومكان نوح ﷺ، وارتأيت أن يكون بداية الفصول لأضع به ركيزة لبحثي وليكون لأنموذج الدراسة –وهو دعوة نبي الله نوح ﷺ– علاقة بحضارة وادي الرافدين، وأردت أن أجعل القارئ يدرك لما كان أنموذج الدراسة دعوة نوح ﷺ، خاصة وأن قصة الطوفان كان لها صدى في كل الحضارات القديمة تقريباً.

ولكي أبيّن ذلك عرّفت نوح ﷺ وما يقابله في الأساطير ثم التوراة والقرآن الكريم، ومن ثم تطرقت إلى نسبه من خلال المصادر الثلاثة وكذا زوجته وأولاده، ثم ناقشت في المبحث الثالث صفات نوح ﷺ من خلال الأساطير والتوراة والقرآن الكريم، وتطرقت في المبحث الرابع إلى عمر وزمان سيدنا نوح ﷺ، وارتأيت الاشارة إلى طول أعمار الاولين كظاهرة غير موجودة حالياً، وحاولت تقديم تفسير لذلك كما استندت إلى بعض الحقائق لإثبات زمان نوح ﷺ، كما تناولت في

المبحث الخامس عبادة قوم نوح ﷺ ولأن الاشارة اليها كانت غائبة في الأساطير والتوراة تطرقت إلى ذلك فقط من خلال القرآن الكريم وما جاء في كتب التفسير والأحاديث النبوية الشريفة، وآخر مبحث في الفصل الأول جاء لإثبات بيئة نوح ﷺ وهي الإطار الجغرافي للدراسة، وقد استندت في ذلك الى عدة فرضيات أولها مميزات البيئة، وثانيها عبادة قومه وثالثها ما أفرزه علم الآثار ورابعها ما ورد عن فوران التنور.

أما الفصل الثاني وقد عنونته بـ"طوفان نوح في الآثار والابحاث العلمية" وقد حاولت في هذا الفصل أن أجعل للموضوع صبغة تاريخية أكثر وإعطاء ركيزة للموضوع، وذلك بتأكيد احداثه من قبل علم الآثار، فتناولت في المبحث الاول بدايات البحث الاثري في العراق لأن هذه الأبحاث لم تأت في البداية بهدف الوصول إلى المنجزات الحضارية بل كانت من قبل رحالة ومغامرين هدفهم الوصول الى الكنوز، أما المبحث الثاني فكان عن قوائم سلالات الملوك السومرية لأنها جعلت من الطوفان حدثاً بارزاً ميّز بين ملوك حكموا قبله وآخرون جاؤوا بعده، كما تناولت في المبحث الثالث التنقيبات عن مدن الطوفان في كل من أور وكيش وشوروباك، وتطرقت في المبحث الرابع للاستكشافات عن مراسي سفينة نوح ﷺ وفق فرضيات رسو السفينة في جبال ارارات، وفي جبل الجودي وفي جبل نصير وفي البحر الأسود وفي شبه الجزيرة العربية، وفي خامس مبحث تناولت الأسباب العلمية للطوفان وذلك بصفة عامة محاولة إعطاء ركيزة جغرافية وجيولوجية للحدث، وقد تلخّصت الأسباب العلمية للطوفان في مياه الأمطار وفيضان الأنهار والمياه الجوفية وذوبان الجليد.

وجاء الفصل الثالث عن الالواح الطينية وما جاء فيها من أساطير حول الطوفان فقد جاء الفصل بعنوان "طوفان نوح في الأساطير والرقم الطينية" تناولت في المبحث الأول أسطورة الطوفان السومرية بحكم أنها الأقدم تاريخياً وانتقلت فيها من مصدر الأسطورة إلى شخصية زيوسدرا، وكذا الأحداث قبل الطوفان وما يتعلق بها مثل الفلك والطوفان ونهايته، وفي ثاني مبحث تناولت اسطورة الطوفان البابلية وهي ثلاثة قصة اوتنابشتم وأسطورة اترا-حاسيس ورواية بيروسوس، وجاء ثالث مبحث كمقارنة بين الأساطير الثلاث من خلال إبراز أوجه التشابه والاختلاف، ورابع مبحث تحدثت فيه عن قصة الطوفان في الادبيات الاخرى غير الرافدية لأن أسطورة الطوفان ذكرت في

العديد من الحضارات ولكن الأقدم تاريخياً كانت الأسطورة السومرية، وأغلب الظن أنها انتقلت بالتأثير بين الحضارات السالفة الذكر وهي الروايات الهندية والاغريقية والامريكية وحتى الافريقية عن الطوفان.

أما الفصل الرابع فقد تطرقت فيه الى قصة نوح عليه السلام ودعوته والطوفان من خلال التوراة، وقد ارتأيت في المبحث الأول أن أدرج الإصحاحات التي تناولت اخبار نوح عليه السلام وذريته فكانت من الإصحاح السادس إلى غاية العاشر، وقد تعمدت ذكر هذه الاصحاحات لأنها تظهر للقارئ التكرار والتناقض الوارد في قصة الطوفان، وجاء في باقي المباحث أخبار الطوفان وفق تسلسل أحداثه ففي المبحث الثاني تطرقت إلى الأحداث قبل الطوفان وتمثلت في سبب الطوفان وقرار إحداثه وصنع الفلك وأوصافه وأخيراً ركابه من البشر والحيوانات، وجاء المبحث الثالث للحديث عن الطوفان منذ انطلاقه وأوصافه ومدته إلى غاية انحصار الماء واستقرار الفلك، أما المبحث الرابع فجاء عن أحداث ما بعد الطوفان وتمثلت في هبوط ركاب الفلك ومباركة الرب لنوح عليه السلام وميثاق الرب مع نوح عليه السلام وذريته.

أما الفصل الخامس فقد تطرقت فيه إلى دعوة نوح عليه السلام من القرآن الكريم، وتناولت فيه دعوة نوح عليه السلام لقومه، وكذا أساليب الدعوة وموقف قومه منها ويأسه منهم، أما المبحث الثاني فجاء عن الفلك وما يتعلق به منذ أمر الله سبحانه وتعالى ببنائه وأوصافه وحمولته، أما المبحث الثالث فقد جاء عن علامة الطوفان في القرآن وهي فوران التنور ومعناه لغة واصطلاحا، في حين جاء المبحث الرابع في وصف الطوفان بداية بمياهه ومسرى الفلك وانحصار الماء واستقرار الفلك وعالجت مدة الطوفان، وآخر مبحث في هذا الفصل أحداث ما بعد الطوفان وتمثلت في المنزل المبارك الذي أُنزل به نوح عليه السلام ومن نجى معه في الفلك ومسألة ابنه الذي رفض الصعود للفلك، إلى غاية وفاته ووصيته لأبنائه.

وقد جمعت في الفصل السادس المقاربات والمفارقات في ما يتعلق بطوفان نوح عليه السلام ودعوته لقومه من خلال المصادر السالفة وهي: ما أبرزه علم الآثار وما ورد في الرقم الطينية والاساطير، وكذا ما جاء في الكتب السماوية، وكانت النقاط الأساسية في المقارنة هي مباحث الفصل جاء أولها عن الأحداث قبل الطوفان مثل سبب الطوفان وبطل الطوفان والاعلام بحدوث الطوفان، وكذا أخبار

الفلك وتحضيره، وصولا إلى علامة الطوفان، وثاني مبحث جاءت فيه أحداث الطوفان بداية بحمولة الفلك ووصفه واستقراره ومدة الطوفان، وثالث مبحث كان عن أحداث ما بعد الطوفان مثل علامة نضوب الماء ومباركة نوح ﷺ وعهد الله له، ورابع مبحث جاء في نقاط أساسية عالجت طوفان نوح ﷺ وهي مسألة شموله من عدمه واستندت في إبراز ذلك إلى الأساطير وما ورد فيها عن ذلك وكذا التوراة والقرآن الكريم وأخيراً ما أفرزه علم الآثار في اثبات ذلك.

وفي الأخير خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات أدرجتها في الخاتمة كانت إجابة عن ما جاء في الاشكالية والتساؤلات التي طرحت حول الموضوع وذلك اعتماداً على مصادر الموضوع مما جاء في الكتب السماوية ومقارنتها بما توصل له علم الآثار أو ما جاء في الأساطير القديمة حوله، كما أرفقت الرسالة بمجموعة من الملاحق جاءت في شكل صور مثل صور الرقم الطينية التي حوت تفاصيل أساطير الطوفان السومرية والبابلية، بالإضافة إلى صور موقع مراسي سفينة نوح ﷺ في تركيا، وخرائط مثل خريطة وادي الرافدين التي توضح مدن الطوفان، ونصوص من شأنها أن تعطي ركيزة للموضوع، وتزيد من توضيح ما جاء في الرسالة.

7. صعوبات الموضوع:

وكما لا يخلوا أي بحث من العقبات والعراقيل فقد واجهتني في هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات منها:

1.طبيعة الموضوع الدينية والتاريخية والأثرية التي تتطلب الإلمام بأكثر من تخصص لإثراء الموضوع والوصول الى نتائج أكثر دقة.

2. قلة المصادر المباشرة الخاصة بالموضوع، خاصة وأن الفترة الزمنية للطوفان موغلة في القدم وغير معروفة.

3. عدم معرفتي للكتابة المسمارية، دفعني إلى اعتماد نصوص الأساطير المترجمة، جعل الأمر يختلط عليّ أأدرجها مع المصادر أم أعتبرها مراجع.

4. عدم إلمامي باللغة العبرية، منعني من اعتماد كتب ومراجع يهودية، واعتماد وجهة نظرهم في الموضوع، جعل العمل مبتور.

4. الألواح المتعددة للأسطورة الواحدة صعّب فهمها واعتمادها كملحق.

5. تشعب الموضوع وتداخل معطياته صعّب عليّ، فصلها مما اضطرني في كثير من الأحيان للجوء إلى التكرار خاصة في المقارنة.

6. الإيديولوجية والذاتية التي طغت على الكثير من الدراسات الأثرية والتوراتية، والتي تحكمت فيها العقيدة الدينية التي أدت إلى تغيير الحقائق طالما لا تتماشى معها.

7. الاختلاف والتباين في الكثير من المراجع لدرجة التناقض أحياناً صعّب علي اقتباس المعلومة الصحيحة.

8. صعوبة التعامل مع المصادر الوسيطية –على الرغم من أهميتها في تفسير القرآن الكريم– نظراً لما حوته من اخبار تعتمد في مجملها على الاسرائيليات.

9. ضف إلى ذلك هذا النوع من المواضيع يتطلب معاينة جوانب منه عن قرب أي مشاهدة الآثار المادية في مكان تواجدها خاصة تلك التي تعلقت بالآثار العراقية بمختلف أنواعها، وبالتالي يصبح لدى الباحث القدرة على تحليل الأحداث وربطها ببعضها والتوصّل إلى إعطاء أراء واستنتاجات منطقية وتحليل علمي واستخلاص الأدلة بشكل أفضل.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت ولو بالقليل في الإلمام بالموضوع، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل التمهيدي: مفاهيم اساسية.

1. التوحيد:

2. النبوة:

3. الكتب المقدسة:

4. الاسطورة:

تحتاج أي دراسة أكاديمية إلى تحديد للمصطلحات والمفاهيم التي ترتبط بفحوى الموضوع؛ وذلك راجع لما للمفاهيم من اهمية باعتبارها تمثل مرجعية لفهم الاحداث والتفريق بينها من خلال الرجوع إلى مصادرها، ولذلك جاءت معظم مصطلحات هذا الفصل كمصدر من مصادر معلوماتنا عن الطوفان ودعوة التوحيد التي حملها نبي الله نوح عليه السلام لقومه، ويمثل مصطلح التوحيد الذي حمله الأنبياء والمرسلين للبشرية أول المصطلحات ثم مفهوم النبوة، والكتب السماوية التي نزلت على الرسل عليهم السلام، والتي تعتبر مصدر للكثير من الأحداث التاريخية، وكان آخر المصطلحات الأسطورة لما لها من أهمية في طرح بعض اعتقادات الشعوب القديمة، وبعض الأحداث التاريخية مثل الطوفان.

1.التوحيـد (Monothéisme):

أ.مفهومه:

قبل أن أخوض في تعريف التوحيد يتوجب في البداية الإشارة إلى مفهوم يجري الخلط بينه وبين مفهوم التوحيد ألا وهو "وحدانية العبادة" التي تعني شكل من أشكال التعددية[1]، حيث تتميز بعبادة إله واحد والإخلاص له، مع عدم إنكار وجود الآلهة الأخرى، وإنما تستبعد من الحياة الدينية للجماعة لصالح ذلك الإله المعبود[2]، وهو ما يعرف بالتفريد، أما مفهوم التوحيد فهو:

أ.1.لغة:

كلمة "توحيد" مصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه "وحّد" "يوحّد" "توحيدا" أي جعله واحداً، فهو على وزن تفعيل تعني الوحدة والانفراد والتفرد والحكم والعلم بأن الشيء واحداً، والله الواحد الأحد المتفرد بالذات والصفات في عدم المثل والنظير، واحد الله، ووحّده أي نسبة إلى الوحدة والانفراد فهو سبحانه منفرد في ذاته وصفاته وأفعاله[3].

---

(1)- **التعددية (Polytheism)**: هي الايمان بعدد كبير من الآلهة، ابتداء من الآلهة الخالقة السومرية المسماة "نمو" التي يعني اسمها ماء الام ثم الإله الذكر الاب "آن"، ومن ذلك تشكلت عشرات الآلهة من الام والاب والابن، والعراقيون القدماء عبدوا عدد كبير من الآلهة ما يقارب 2500 إله تتباين عن بعضها البعض في الاهمية والقدم. أنظر: خزعل الماجدي، **متون سومر** الكتاب الأول التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس، ط1، الدار الاهلية، الأردن، 1998، ص262، 263. أنظر كذلك: سامي سعيد الاحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص7.

(2)- فراس السواح، **الرحمان والشيطان** الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات الشرقية، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2010، ص103، 104.

(3)- أبو بكر محمد زكريا، **الشرك في القديم والحديث**، ط1، مكتبة الرشيد، السعودية، 2001، ص19.

ويقابل كلمة التوحيد في اللاتينية (Monothéisme) المشتقة من (Mono) أحد لا غير، وكلمة (Theos) اليونانية أي الإله، ويطلق هذا المصطلح على ديانة الذين يعتقدون بوجود إله واحد لا شريك له[1].

أ.2.اصطلاحا:

التوحيد هو الايمان بإله واحد أحد لا شريك له، منفرد بذاته في عدم المثل والنظير، لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام، وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وإفراده بالعبادة والتوجه إليه وحده بطلب المنافع ودفع المضار ونفي الكفؤ والمثل عن ذاته تعالى وصفاته، فهو المتّصف بصفات الكمال الذاتية والفعلية ونفي الشريك له في الربوبية، واعتقاد أنه وحده الخالق الرازق القادر المحيي المميت المتصرف في هذا الكون بمن فيه وما فيه[2]، ولا معبود يستحق العبادة إلا هو[3]، ونقيضه الشرك وهو جعل مع لله شريك في ألوهيته مع عبادته والإيمان بالله وبغيره[4]، ويذكر ميرسيا إيلياد أن التوحيد المطلق هو لله الإله الوحيد تام الحرية المطلقة كلي العلم كلي القدرة، خالق السماوات والارض، وخالق كل ما هو موجود[5].

فالتوحيد هو العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم بتفرّد الله تعالى بالأسماء الحسنى، وتوحُّده بصفات الكمال والعظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة[6]، لا شبهة له دائم قائم لا ضد له ولا نِدّ سبحانه[7]، والتوحيد ثلاثة انواع: توحيد الأسماء والصفات (اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق

(1)- طه الهاشمي، **تاريخ الأديان وفلسفتها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963، ص47.

(2)- حامد الأحمدي، **توحيد الالوهية أساس الاسلام**، الجامعة الإسلامية، (د.م.ن)، (د.ت)، ص2.

(3)- كما اعتقدت الكثير من الشعوب القديمة بوحدانية الله في الخلق والإيجاد وتفرده في الرزق والإحياء والامانة والملك ولكنها كانت ترفض عبادته وحده دون غيره وقصده دون سواه. أنظر: عمر سليمان الأشقر، **العقيدة في الله**، ط12، دار النفائس، الأردن، 1999، ص256.

(4)- جرجس داود داود، **أديان العرب قبل الإسلام** ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1988، ص191.

(5)- ميرسيا إيلياد، **تاريخ المعتقدات والافكار الدينية**، تر: عبد الهادي عباس، ج3، دار دمشق، سورية، 1987، ص88.

(6)- عبد الرحمان بن ناصر بن سعدي، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، ط1، مجموعة التحف النفائس الدولية، السعودية، 1996، ص18.

(7)- ابي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (ت333 ه)، **كتاب التوحيد**، تح: بكر طوبال أوغلي ومحمد آروشي، مكتبة الإرشاد، اسطنبول، 2001، ص89.

في جميع الوجوه بنعوت العظمة والجمال لا يشاركه فيها أحد)، توحيد الربوبية (الاعتقاد بأن الرب متفرد بالخلق والرزق والتدبير، رب جميع الخلق بالنعم والأخلاق والعلوم)، وتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة (الاعتراف بعبادته وحده، والاخلاص له دون غيره)[1]، فالتوحيد إذن حق الله الواجب على عباده بإفراده تعالى بما يختص به من أسماء وصفات وألوهية وربوبية[2].

وديانـة وادي الرافدين[3] لم ترقَ إلى التوحيد فـ"ماسبيرو" (Maspero) يذكر أنها ديانة موضعيـة خاصة ببلادهم، مثلا نجد آشور الإله الأحادي في أشور[4]، ومردوخ[5] الإله الأحادي في بابل[6]، بينما الآلهة الأخرى أتباع وأشياع للإله الأكبر للإقليم[7]، كما يذكر ول ديورانت أنه لا توجد شواهد على التوحيد عند البابليين كالتي ظهرت عند المصريين القدماء في عهد أخناتون[8]، وبذلك

(1)- عبد الرحمان بن ناصر بن سعدي، المرجع السابق، ص18، 19.

(2)- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **نور التوحيد** وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة، (د.ن)، (د.م.ن)، 1999م، ص6.

(3)- **بلاد الرافدين**: (ميزوبوتاميا) مصطلح يوناني معناه بلاد ما بين النهرين وهما دجلة والفرات اللذان ينبعان من جبال في شرق تركيا، وتقع بين سفوح جبال طوروس الشرقية تماما عند القوس الذي يجري من أورفة (حران) في تركيا إلى الموصل في العراق، وتنقسم البلاد طبيعيا إلى قسمين شمالي وجنوبي صارا يعرفان منذ الالفية الثانية باسم بلاد آشور وبلاد بابل. أنظر: هـ. و. ف. ساكز، **البابليون**، تر: سعيد الغانمي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009، ص15، 16. أنظر كذلك:

Jane. R. McIntosh, **Ancient Mésopotamia** new perspectives, ABC- CLIO inc, Califoria, 2004, p7.

(4)- **آشور**: تقع آشور في القسم الشمالي من وادي الرافدين، سميت كذلك نسبة إلى إله المدينة "آشور"، كان هيرودوت أول من استعمل مصطلح آشور لتدليل على الجزء الشمالي من وادي الرافدين، وتمييزها عن الجزء الجنوبي منها "بابل". أنظر:

Hérodote, **Histoires**, Livre I, trad: Legrand, Les belles lettres, paris, 1936, 177.

(5)- **مردوخ "مردوك" (Mardouk)**: الإله القومي لبابل كان في الأصل إلاها زراعيا ويرمز له بالثور وخواره الرعد سلاحه القوس والسهام، أطلق عليه حمورابي اسم ابن أيا إله الحكمة ومياه العمق. انظر: هنري .س. عبودي، **معجم الحضارات السامية**، ط2، جروس برس، بيروت، 1992، ص782. أنظر كذلك:

MM. J. Oppert et J. Ménant, Documents Juridiques de **L'Assyrie et de la Chaldée**, Maisonneuve et C^e^ Libraires, Paris, 1977, 146.

(6)- **بابل**: مدينة اقيمت في الالفية الثالثة على ضفاف نهر الفرات، أصبحت في بواكير الالفية الثانية عاصمة جنوب البلاد التي صارت تدعى بواحدة من سماتها "بلاد بابل". أنظر: هـ.و.ف. ساكز، المرجع السابق، ص15. أنظر كذلك:

Hérodote, Loc. Cit, 177.

(7)- ماسبيرو، **تاريخ المشرق**، تر: أحمد زكي بك، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1897، ص ص124-126.

(8)- ول ديورانت، **قصة الحضارة الشرق الأدنى**، تر: محمد بدران، م1، ج2، مطابع الدجوى، القاهرة، 1971، ص214.

يمكن القول أن حضارة وادي الرافدين لم تصل إلى مفهوم التوحيد الفعلي لإله معين، بل عرفت ما يسمى بالتفريد؛ وهو عبادة إله والاعتقاد بأنه أكبر الآلهة، ويتفرّد بصفات عن غيره، مع وجود آلهة أقل شأناً منه[1].

ب. التوحيد في الأديان السماوية:

يعتبر العامل المشترك بين الأديان السماوية أنها جاءت بوحي من الله ﷻ في كتب لأنبياء أرسلوا لأقوامهم خاصة أو للبشرية عامة، على الرغم من أن بعضها طاله التحريف، ولكن يعتبر الأصل فيها الدعوة إلى توحيد الله ﷻ دون سواه، وسأحاول فيما يلي أن أطرح بعض مواضع التوحيد في الكتاب المقدس مع التعرض إلى بعض مواضع التحريف، وصولا إلى القرآن الكريم المنزّه عن التحريف والمحفوظ من المولى ﷻ.

ب.1.التوحيد في اليهودية[2]:

يعتقد اليهود بوجود الله ووحدانيته وأنه خالق السماوات والأرض إله العالمين، فالديانة اليهودية في الأصل جاءت كديانة توحيدية أنزلها الله ﷻ على موسى عليه السلام في ألواح التي تحمل الشريعة[3]، وحملها الأنبياء الذين جاؤوا من بعده، وعلى الرغم مما اعتراها من تحريف وتغيير إلا أن التوراة تحتوي

(1)- François Lenorment, Histoire Ancienne de **L'Orient** jusqu'aux Guerres Médique, 9em Edition, A. Lévy Libraire Editeur, Paris, 1887, p230.

(2)- **اليهودية**: تعدّدت الآراء فيما يخص اشتقاق الكلمة فقد فهناك من يرى بأنها اشتقت من الهوادة أي المودة والسكينة، وهناك من يرى أن الذين هادوا أي مالوا عن دين موسى عليه السلام، وهناك من يسميهم التوابون، والأغلبية أجمعت على أنها تشتق من يهوذا أحد أبناء يعقوب والذي كان له دور كبير في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وقد أصبحت تطلق على كل من يدين بديانة موسى عليه السلام، وتجدر الإشارة إلى أنهم لُقِبوا بأسماء أخرى وأولها العبرانيين التي تخص أصولهم الأولى كجماعة من الناس سكنت أور ثم ارتحلت نحو الشمال إلى سورية ثم مصر ثم فلسطين. أنظر: طه الشريف، **التوراة والانجيل والقرآن**، دراسة تحليلية موثقة بالنصوص الحرفية، ط1، (د.ن)، (د.م.ن)، 2001، ص ص115-117. انظر كذلك: خالد رحال محمد الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الاسلام منها**، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 2007، ص ص36- 38.

(3)- حسين محمود أحمد المهدي، **الأنبياء والملأ** دراسة مقارنة من خلال القرآن الكريم والعهدين الجديد والقديم، تق: محمد بن حافظ الشريدة، ط1، شركة ابن خلدون، غزة، 2008، ص3.

على بعض الآيات والفقرات التي تتحدث عن التوحيد[1]، كما نصّت كذلك على أن عبادة غير الله حرام[2].

إلا أن اليهود لم يستطيعوا المحافظة على ذلك التوحيد فانصرفوا عنه للتجسيم والتعدد والتفريد؛ فقد وصفوا الله بصفات بشرية كالنقص والضعف والكذب والغفلة والجهل[3]، كما أنهم عاملوه كإله قبلي وقومي خاص بهم دون غيرهم، وتذكر التوراة انزلاقهم إلى عبادة آلهة أخرى مع الله فقد عبدوا الأشجار والأرواح ومعبودات الامم الأخرى، ولا أدلَّ على كثرة من انحرافهم عن عبادة الله وحلول الشرك فيهم من كثرة الأنبياء الذين أُرسلوا ليجددوا دعوة التوحيد[4]، وتقلَّبوا حتى في تسمية إلههم من "الله" إلى "الرب" إلى "يهوه" كما جاء في نصوص التوراة.

ب.2.التوحيد في النصرانية[5]:

إن الأصل في الديانة المسيحية هو توحيد الله ﷻ، فالتوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام كان امتداد للتوحيد الذي جاء به الأنبياء من قبله عليهم السلام، وقد ورد ذلك في العهد الجديد[6]، غير أن ذلك تغيَّر في مرحلة من تاريخ الديانة المسيحية بعد مجمع نيقية[7] الذي أقرّ بتأليه المسيح، وبعد ذلك استطاع أباطرة الرومان طمس روح التوحيد ومنع الموحدين[8] من إعلاء كلمتهم ومواجهة

(1)- أنظر: سفر الخروج (20: 3- 5، 23/ 34: 14).

(2)- أنظر: سفر التثنية (13: 1- 11/ 17: 2- 7).

(3)- سعدون محمود الساموك، **مقارنة الاديان**، ط1، دار وائل، الاردن، 2004، ص111.

(4)- خالد رحال محمد الصلاح، المرجع السابق، ص 108، 109.

(5)- **النصرانية**: هي ديانة أمة المسيح عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام، ويقال أنصار ونصراني أي دخل في الديانة المسيحية، والدعوة إليه كانت مطلباً جاء به الإنجيل، غير أن هذه الديانة قد تلوَّثت بالوثنية وخرجت عن أصولها التي جاء بها عيسى عليه السلام. أنظر: خالد رحال محمد الصلاح، المرجع السابق، ص ص156- 158.

(6)- أنظر: إنجيل متي (5: 17)، إنجيل برنابا (38: 2، 3).

(7)- **مجمع نيقية**: هو مؤتمر عقد في 325 م بأمر من الإمبراطور قنسطنطين للفصل في طبيعة المسيح أهو ابن الله كما كان يدعي (أنثنيسيوس)؟ أو انه ليس ابن الله كما كان ينادي (آريوس)؟، وخرج المؤتمرون بتأييد ادعاء أنثنيسيوس المؤيدة لأقوال بولص الرسول وطرد على اثر ذلك آريوس واتباعه ووصفوا بالهراطقة. أنظر: سعدون محمود الساموك، المرجع السابق، ص129.

(8)- أهمهم الأسقف الروماني "أريوس" الذي أقرّ المسيح بشر كسائر الرسل وأنه ليس ابن الله، على الرغم من أن اتباعه يقولون ان المسيح ابن الله. أنظر: خالد رحال محمد الصلاح، المرجع السابق، ص 202.

الاضطهاد الذي مارسه الرومان ضد المسيحية منذ بدايتها[1]، وصار الإله الواحد مجزأ إلى ثلاثة أقانيم[2] لكل منه وظيفته، وبات بذلك التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام تثليثا[3]، ومن ذلك التوحيد الذي يقره القديس أوغسطين "إن الإله السامي الحق هو كلمته وروحه القدوس الثالوث الواحد الإله الواحد القدير الخالق لكل نفس وجسد ينبوع السعادة..."[4].

ب.3.التوحيد عند المسلمين:

فسّر أهل السنة التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل وأن معنى وحَّدْت الله اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه، ومعنى وحَدته علمته واحداً وسلبت عنه الكيفية والكمية، فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا نظير له، ولا شبيه في ألوهيته وملكه وتدبيره، ولا شريك له ولا رب سواه، ولا خالق غيره[5]، فمعنى التوحيد تنزيه الله عز وجل عن الحدث والشبيه والنظير، وهو أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله سبحانه وتعالى[6].

إن توحيد الله في الإسلام امتداد واندراج ضمن الخط التوحيدي العام الذي أتى به الأنبياء جميعاً من عند الله، والتوحيد في الإسلام يمثل الركن الأول منه "شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله"، والقرآن الكريم كله من أوله إلى آخره دون مبالغة جاء تقريراً لأنواع التوحيد السالفة الذكر؛ فقد جاءت سوره وآياته بخبر عن الله عز وجل وأسماءه وصفاته وأقواله وأفعاله، كما جاء قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤** ﴾

(1)- نفسه، ص 202.

(2)- **أقانيم**: جمع أقنوم وهم في النصرانية ثلاثة: أب وابن وروح القدس، طبيعتهم واحدة وجوهرهم واحد وهم أزليون على حد سواء ولكن باختلاف المنشأ، فالأب موجود بنفسه والابن متولد من الاب والروح القدس منبثق من كليهما. أنظر: محمد أحمد الحاج، **النصرانية** من التوحيد إلى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق، 1996، ص209.

(3)- سعدون محمود الساموك، المرجع السابق، ص128.

(4)- القديس أوغسطين، **مدينة الله**، تر: يوحنا الحلو، المجلد الأول، الكتاب الخامس، ط2، دار المشرق، بيروت، 2006، الفقرة 11، ص238.

(5)- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852 هـ)، **فتح الباري** بشرح صحيح الإمام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري برواية ابي ذر الهروي عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهني، تح: عبد القادر شيبة الحمد، ج13، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2001، 357.

(6)- موسى محمد علي، **التوحيد** مفتاح دعوة الرسل، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت)، ص52.

﴾[1]، وذلك توحيد الأسماء والصفات والربوبية، أو جاءت بدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد دون غيره قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2] وهو توحيد الألوهية، أو جاءت بأوامر الله ونواهيه مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[3] والتي تعتبر من مكملات التوحيد، أو بأخبار عن إكرام أهل التوحيد أو أخبار بالوعيد والتنكيل بأهل الشرك، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[4]، فالقرآن إذن كله توحيد لله ﷻ في أسماءه وصفاته وربوبيته وألوهيته[5].

وعلى ضوء ما سبق يتبيّن الفرق بين التوحيد في العبادة والشرك؛ فكل خضوع نابع عن اعتقاد بألوهية المخضوع له وربوبيته، أو تفويض الأمر إليه هو عبادة للمخضوع له سواءً كان ذلك الاعتقاد حقا كما هو في عبادة الله سبحانه، أو باطلاً كما هو في عبادة الأصنام[6]، وكل منهما خضوع للمعبود أياً كان[7].

2. النبوة (prophétie):

ارتبط مفهوم النبوة بدعوات الأنبياء عليهم السلام الذين أرسلهم الله ﷻ إلى أقوامهم، ووردت أخبارهم في الكتب السماوية وفي أحاديث الرسول ﷺ، وحتى في النقوش القديمة، على أنهم جاؤوا بدعوة الحق وعبادة الله الواحد الأحد دون سواه.

(1)- سورة الإخلاص، الآية: 1-4.

(2)- سورة البقرة، الآية: 163.

(3)- سورة البقرة، الآية: 208.

(4)- سورة إبراهيم، الآية:7.

(5)- حسين محمود أحمد المهدي، المرجع السابق، ص23، 24.

(6)- كثيراً ما يحصل الخلط بين مفهومين هما الأصنام والأوثان، الأصنام جمع صنم وهو ما ينحت ويصاغ من فضة ونحاس وجاء أنه كل ما له جسم أو صورة وما لم يكن له كذلك فهو وثن. أنظر: جرجس داود داود، المرجع السابق، ص289.

(7)- جعفر السبحاني، **بحوث قرآنية في التوحيد والشرك** يبحث عن تحديد معالم التوحيد والشرك مع تطبيقات علمية، ط3، مؤسسة الإمام صادق، (د.م.ن)، 2005، ص50.

أ.تعريف النبي:

أ.1.لغة: النبي كلمة مشتقة من أنبأ بمعنى أخبر ومنه النبي وهو فعيل بمعنى فاعل، واشتقاقه من نبأ وأنبأ أي أخبر، وجمعه أنبياء على وزن أفعلاء لأنه من ذوات الياء، وفي اللغة النبوة والنباوة ما ارتفع من الأرض أي شرف على سائر الخلق، والنبي العلم من أعلام الأرض الذي يُهتدى به[1].

وهناك من يرد اشتقاق كلمة "نبي" (Nabi) إلى اللغة العبرية وتعني بأصلها الضجة الخارجية أو الضوضاء أي أنها تشير إلى حالة النداء التي يجد نفسه فيها الموجَّه منه أو إليه، فهو المختار ويفيد في بعض الأحيان الرائي[2]، ويرى البعض أن كلمة نبي مشتقة من أصل عبري من الفعل (Naba) الذي يعني حرفيا ينتشي ويسيل لعابه كفقاعات أو تسيل منه الكلمات بطريقة انفعالية شديدة، والاسم العبري (Nabi) يعني المنادي أو المعلن (Proclaims)[3]، ويذكر سيجال أن "نبأ" جاءت في الصيغ المزيدة على وزن "فعل" و"تفعل"، وهي مشتقة من الاسم "نبي" وهو الفعل المستعمل للدلالة على عمل النبي في العهد القديم[4]، ويقابل كلمة نبي في اللغات الاجنبية كلمة (prophet) وهي مشتقة من كلمة يونانية تعني الشخص الذي يتحدث عن محتوى رسالة بُلغت له عن طريق الإلهام الإلهي بواجبات علمية أو بالمستقبل[5].

أ.2.اصطلاحا:

النبي عند اليهود والنصارى هو الواسطة للإعلان الالهي يختاره الله، ويأهِّله بروحه ويحمِّله رسالته ويرسله بسلطانه، ويكون لديه اتصال مباشر مع الله، يأخذ منه رسالته ويعلنها للناس، أي أنه يعلن ما يضعه الله في فمه، وبذلك يصبح النبي الناطق بلسان الله[6].

---

(1)- ابن منظور، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، م6، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص4333.

(2)- اسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر: حسن حنيفي، ط1، دار التنوير، بيروت، 2005، ص30.

(3)- محسن نعيم، **نبوات ورؤى** النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسة في النصوص النبوية والرؤوية في الكتاب المقدس، ج1، دار الثقافة، القاهرة، 2005، ص19، أنظر كذلك: محمد خليفة حسن، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار الثقافة العربية، (د.م.ن)، 2002، ص 105، 106.

(4)- م. ص. سيجال، **حول تاريخ الأنبياء**، تر: حسن ظاظا، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، (د.ت)، ص17.

(5)- **The Oxford Cyclopedic Concordance**, Oxford University Press, London, (s.d), p236.

(6)- محسن نعيم، المرجع السابق، ص19، 20.

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أن كلمة نبي تطلق عند أهل الكتاب على الملهم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلية أرسله الله ليعلن مشيئته، وليصلح الأوضاع الاجتماعية والدينية، وقد عرف العهد القديم عدداً كبيراً من الأنبياء، كما حذّر من الأنبياء الكذبة[1].

وقد جاء ذكر كلمة "نبي" في العهد القديم 180 مرة وجاءت كلمة "نبية" كأنثى ست مرات[2]، وجاءت كلمة نبي جمعا بصيغة "أنبياء" 156 مرة، وجمعت بصيغة "نبيين" مرة واحدة[3]، وقد استعملت كلمة نبي في العهد الجديد 144 مرة والفعل 28 مرة، وفي الأغلب يأتي الفعل في صيغة المبني للمجهول.

والنبي في القرآن الكريم هو المنبئ عن الله المبلّغ شرعه، والمفضَّل على سائر الناس برفع منزلته، وسمي نبياً لأنه الطريق إلى الهدى، فالأنبياء هم المصطفون بالوحي من الله المبلغون شرعه السائرون عليه[4].

جاء ذكر كلمة "النبوة" في القرآن الكريم خمس مرات[5]، كما وردت كلمة "الأنبياء" في القرآن الكريم خمس مرات[6]، كما جاء ذكر كلمة "النبيين" و"النبيون" 16 مرة، وكلمة "نبي" مفردة جاءت 43 مرة، والغالبية العظمى منها كانت تقصد خاتم الأنبياء محمد ﷺ، بينما ذكرت كلمة "نبياً" تسع مرات، وكلمة "نبيهم" مرتين[7]، وقد ذكر من الرسل[8] الأنبياء في القرآن الكريم خمس وعشرون

---

(1)- بطرس عبد الملك وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، ط15، مجمع الكنائس بالشرق الأدنى، بيروت، 2011، ص949، 950.

(2)- سفر الخروج (15: 20)، سفر نحميا (6: 14)، سفر أخبار الأيام الثاني (34: 22)، سفر القضاة (4: 4)، سفر أشعيا (8: 3)، سفر الملوك الثاني (22: 14).

(3)- سفر ارميا (29: 15).

(4)- محمد بن عبد الله الإمام، **تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول**، ط1، دار الإمام أحمد، القاهرة، 2007، ص6، 7.

(5)- (سورة آل عمران، الآية:79)، (سورة الأنعام، الآية: 89)، (سورة العنكبوت، الآية: 27)، (سورة الجاثية، الآية: 16)، (سورة الحديد، الآية: 26).

(6)- (سورة البقرة، الآية:91)، (سورة آل عمران، الآية: 112، 181)، (سورة النساء، الآية: 155)، (سورة المائدة: 20).

(7)- منصور عبد الحكيم، **ازدراء وايذاء الأنبياء** قديما وحديثا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2006، ص14.

(8)- **الرسل**: جمع رسول ويعني مبلغ رسالة وهو أشمل من النبي لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، وبالتالي عدد الرسل أقل من عدد الأنبياء، والرسالة الخاصة جاء بها جميع الرسل عليهم السلام عدا محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة. أنظر: محمد سالم محسن، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص16.

رسول[1]، وهناك من الرسل الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾** ﴾[2].

فالنبوة إذن ظاهرة دينية اقترنت أساساً بالأديان التوحيدية، فهذه الأخيرة هي التي عرّفت ظاهرة النبوة وآمنت بعدد من الأنبياء والرسل، الذين كُلفوا عن طريق الوحي الإلهي بتبليغ رسالات إلهية إلى البشرية ممثلة في أقوامهم على الخصوص أو للإنسانية عامة كما جاءت دعوة محمد ﷺ، وتجدر الإشارة إلى بعض النماذج من مدعي النبوة في حياة الرسول ﷺ، مثل الأسود بن كعب بن عوف العنسي ومسيلمة بن حبيب وزوجته السجاج، وآخرون من العصر الحديث أمثال القادياني والبهاء[3]...

ب.خصائص النبوة:

تختلف نظرة المسلمين للنبوة عن نظرة اليهود والمسيحيين لها، وذلك ما نستشفُّه من أسفار الكتاب المقدس، وذلك راجع إلى تحريفهم للكتب التي أوحى بها الله ﷻ لأنبيائه قبل القرآن الكريم، مما صعّب الوصول إلى خصائص مشتركة للنبوة بينهم، وفيما يلي بعض صفات النبوة لا كلها؛ فقد استثنيت بعض الصفات التي اتصفت بها النبوة الاسرائيلية كالمعصية، والمعاناة...

ب.1.الوحي:

الوحي هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه ويخفى على غيره[4]، ميّز الله ﷻ أنبياءه به، وأمرهم بتبليغ الرسالات الإلهية إلى البشرية الممثلة في أقوامهم خاصة أو للإنسانية عامة كما جاء في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ**

(1)- آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، اسماعيل، اسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، داوود، سليمان، الياس، اليسع، يونس، زكريا، يحي، عيسى عليهم السلام أجمعين ومحمد صلى الله عليه وسلم. أنظر: عفيف عبد الفتاح طبارة، **مع الأنبياء في القرآن الكريم** قصص ودروس وعبر من حياتهم، ط26، دار العلم للملايين، بيروت، 2010، ص17.

(2)- سورة النساء، الآية: 164.

(3)- يحي محمد ربيع، **مدعو النبوة والرد عليهم**، جامعة قطر، (د.ت)، ص ص274-284.

(4)- السيد محمد رشيد رضا، **الوحي المحمدي** ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى السلام دين الآخرة الإنسانية والسلام، مؤسسة عز الدين، بيروت، (د.ت)، ص81.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾[1].

وطرق الوحي مختلفة كأن يأتيهم من وراء حجاب كما كان مع موسى عليه السلام، أو أن يتمثَّلَ في صورة إنسان كما كان مع مريم أم عيسى عليه السلام، أو يأتيه جبريل على هيئته الملائكية التي خلق بها كما كان مع الرسول ﷺ، أو أن يتمثل كرؤيا في المنام كما كان مع ابراهيم عليه السلام وحلم ذبح ابنه اسماعيل، أو أن يبثَّ في الروع ويحس به المتلقي ويعلمه[2]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[3].

أما عند اليهود فقد ورد في العهد القديم طرق أخرى لاستحضار الوحي كالتنبؤ الجماعي الذي كان يرأسه صمويل، والانطراح أرضاً لمدة يوم كامل مثل ما فعل شاول أمام صمويل والتعري أو التجرد من كل ما هو مادي[4]، وكذا الخيانة والخداع وسكب الخمور مثلما فعل يعقوب حسب روايات العهد القديم[5]، وذلك أكبر دليل على أن اليهود عرفوا النبوة الحقة وحرّفوها ولم يسلم منهم الأنبياء[6]، وأنهم قد مزجوا بين الأنبياء والكهنة والعرافين والسحرة والمنجمون[7]، حتى أنها نزلت بالمستوى إلى الحرفة والمهنة ودخل في فئة الأنبياء أناس لم يحل عليهم الوحي ولا يملكون المواهب النفسانية والروحانية التي كانت للنبي[8].

---

(1)- سورة النساء، الآية: 163.

(2)- السيد محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ص82، 83.

(3)- سورة الشورى، الآية: 51، 52.

(4)- م. ص. سيجال، المرجع السابق، ص38.

(5)- عبد العظيم المطعني، **الاسلام في مواجهة الاستشراق العالمي**، ط2، دار الوفاء، المنصورة، 1992، ص130.

(6)- احمد المشرقي، **النبوة** في الاديان الكتابية، ط1، دار الجيل، بيروت، 2004، ص7.

(7)- Adolphe Lods, The History of Civilization **Israel**, trad : S. N. Hooke, 1st pub, General Editor CK OGDEN, New York, 1932, p365.

(8)- م. ص. سيجال، المرجع السابق، ص41.

ب.2.الدعوة إلى الله:

جاءت دعوات الأنبياء والرسل أجمعين بعبادة الله الواحد الأحد لا إله غيره ونبذ الوثنية بكل أشكالها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥** ﴾[1]، فكل نبي بعثه الله يدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضا، والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم[2].

ويذكر الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ **لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠** ﴾[3]، بمعنى أن الله ﷻ قد أخذ عليهم ميثاقاً في التوراة على توحيده، وأنه أرسل إليهم النبيين ليبينوا لهم أحكام التوراة ويؤكدوا عهد الله، وبالمقابل كانوا في كل مرة ينقضون ذلك ويتبعون أهواءهم، كما أنهم ظنوا أن التوحيد خاص بقوم معينين، فقد اعتقدوا أن دينهم مقصور عليهم ومحصور في قومهم[4] ولذلك لم يعترفوا إلا بأنبيائهم.

ومع ذلك انحرفوا عن عبادة الله ﷻ ونسبوا له صفات تقلّل من شأنه تعالى كأن يصفوه بالآدمي[5] وأن ينسبوا له نقائص البشر (تعالى الله عما يصفون)[6]، وتاريخ اليهود يُظهر انحرافهم للوثنية فقد عبدوا العجل في حياة موسى ﷺ[7]، ونسبوا صناعته إلى هارون ﷺ[8]، وفيما بعد

---

(1)- سورة الأنبياء، الآية: 25.

(2)- أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير، **تفسير القران العظيم**، م3، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2002، ص1896.

(3)- سورة المائدة، الآية: 70.

(4)- محمد عثمان الخشت، **مدخل إلى فلسفة الدين**، دار قباء، القاهرة، 2001، ص64.

(5)- G. Ernest Wrigh, **The Old Testament Against its Environment**, SCM Press, London, 1968, p25, 26.

(6)- محمود بن عبد الرحمان قدح، "الاسفار المقدسة عند اليهود واثرها في انحرافهم عرض ونقد"، مجلة الجامعة الاسلامية، العدد 111، ص365، 366.

(7)- سفر الخروج (32: 7،8).

(8)- سفر الخروج (32: 4- 6).

ظهرت فيهم عبادة آلهة أجنبية[1] عديدة مثل البعل[2] وعشتاروت[3] فعادوا بذلك إلى الوثنية[4]، وذلك في الحقيقة جاء نتيجة التأثيرات الكنعانية على اليهود[5].

ب.3.التفضيل والاختيار:

النبوة هبة ربانية يهبها الله لمن يشاء من عباده ويختص بها من يريد من خلقه، وهي لا تدرك بالجد والتعب ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنما هي فضل إلهي واصطفاء واختيار، ولا تكون إلا لمن اختاره الله ﷻ لها ممن هم أهل لحملها[6]، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى موسى: ﴿ **وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾** ﴾[7]، وورد ذلك في التوراة في سفر الخروج: [**12فَقَالَ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ».**][8]، كما ذكر ارميا في سفره أن الرب اختاره وهو في بطن أمه: [**5«قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ».**][9]، مع أن الاختيار يكون لصفات في الشخص بعد أن يبلغ، فكيف لجنين أن يتميَّز بصفات عن غيره ويبعث نبي، عدا سيدنا عيسى عليه السلام الذي تكلّم في المهد، وذلك لأنها معجزة مريم وعيسى عليهما السلام.

---

(1)- سفر القضاة (10: 6، 7).

(2)- **بعل**: إله المطر والسحاب والصواعق وكل مظاهر الخصب عند السوريين، واسمه ايضا "حدد" وهو الإله الثاني بعد "ايل" رئيس مجمع الآلهة الكنعانية، إلا أنه كان المفضَّل والمحبوب لدى عامة الناس. انظر: فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى** دراسة في الاسطورة سوريا ارض الرافدين، ط7، دار علاء الدين، دمشق، 1988، ص380.

(3)- **عشتاروت**: إلهة ثانوية في اوغاريت ولكنها تعدو رئيسية لدى فنيقي الجنوب وتأخذ سلطان وصلاحيات الإلهة عناة الأوغاريتية. انظر: نفسه، ص383.

(4)- محمد علي دولة، **لتفسدون في الارض مرتين** صفحات في اليهوديات، ط1، دار القلم، دمشق، 2007، ص91، 92.

(5)- Ignaz Goldzeiher, **Mythology Among the Hebrews** and its Historical devlopment, trad: Russell Martineau, Longmans Green and CO, London, 1877, p20.

(6)- محمد علي الصابوني، **النبوة والأنبياء**، ط3، مكتبة الغزالي، دمشق، 1985، ص10.

(7)- سورة طه، الآية: 13.

(8)- سفر الخروج (3: 12).

(9)- سفر ارميا (1: 5).

أما عن الاختيار فكان وفق شروط إلهية لا دخل للبشر فيها؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾** ﴾[1]، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض الشروط لاختيار الأنبياء مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾** ﴾[2]، دلالة على أن الله ﷻ اختار الأنبياء الرجال من دون النساء[3]، في حين ورد عند اليهود النبيات من النساء[4].

ب.4.العصمة:

كرّم الله ﷻ الأنبياء بالعصمة والعزوف عن الشهوات واجتناب كل ما يخّل المروءة أو يحُط من قدر الإنسان، فهم أكمل الناس خلقاً وازكاهم عملاً واطهرهم نفساً، وقد مثلوا بأخلاقهم القدوة والأسوة للبشر، وفي الشرع تعتبر العصمة حفظ الأنبياء من الوقوع في المعاصي وارتكاب المنكرات والمحرمات[5]، ويقول بن تيمية: «إن الأنبياء كلهم منزّهون عن الشرك وعن تكذيب شيء من الحق أي من الوحي ولا إنقاص منه ولا تحريف»[6].

(1)- سورة الأنعام، الآية: 124.

(2)- سورة يوسف، الآية: 109.

(3)- عن نبوة النساء انظر: عمر سليمان الاشقر، **الرسل والرسالات**، ط6، دار النفائس، الاردن، 1995، ص86.

(4)- ويذكر قاموس الكتاب المقدس أنهن مريم اخت موسى وهارون، وديبورة، وحنة ام صمويل، وخلدة امرأة شلوم، وحنة بنت فنوئيل، وبنات فيلس الأربعة. انظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص952.

(5)- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص53، 54.

(6)- تقي الدين ابي العباس احمد بن تيمية (ت728 هـ)، **كتاب النبوات**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص428.

أما بالنسبة لليهود فقد نزعوا عن أنبيائهم صفة العصمة، حتى أنهم نسبوا صفات مسيئة للعديد منهم تُشكِّك في الاختيار الإلهي لهم[1]، كما أن مصطلح النبوة عندهم شمل شخصيات لا تنطبق عليها صفة النبوة ما جعل سهولة ظهور مدعي النبوة أو الأنبياء الكذبة[2]، بينما لا يؤمن النصارى إلا بعصمة المسيح وحده وباقي البشر والأنبياء يخطئون، لأنه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة اللازمة لكل ذرية آدم[3].

ب.5.الآيات والمعجزات:

المعجزة هي ما يتعذّر على العباد من نفس الجنس إتيانه تكون بتأييد من الله ﷻ[4]، ويرى بن تيمية أن يرتبها حسب أصحابها فيقول: «الآيات والبراهين للأنبياء والكرامات للصالحين والخوارق للكهنة والسحرة»[5]، وبذلك تكون آيات قدرة الله في بعض الصفات غير المتداولة لدى البشر كرّم بها أنبياءه، ومعجزة الأنبياء دائما تكون فيما برع فيه أقوامهم؛ فكانت معجزة موسى عليه السلام في السحر بأن قُلبت عصاه حية أمام السحرة، وجاءت معجزة عيسى عليه السلام بأن أحيا الموتى وأبرأ الأبرص، وكذلك كانت معجزة محمد ﷺ القرآن الكريم المعجز بألفاظه ومعانيه[6]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾** ﴾[7]، ومن آيات وبراهين الأنبياء ما يختص به النبي ومنها ما يأتي به عدد من الأنبياء، ومنها ما يشترك فيه الأنبياء كلهم ويختصون به وهو الإخبار عن الله بغيبه الذي لا يعلمه

(1)- أظهر العهد القديم نوح عليه السلام سكير شارب للخمر يتعرى داخل خبائه سفر التكوين (9: 20،21) كما صوّر ابراهيم عليه السلام أنه باع زوجته لقاء خير يرجوه من حسنها فأخذها فرعون سفر التكوين (12: 10- 20)، كما تنسب التوراة للوط زنا المحارم وشرب الخمر (سفر التكوين (19: 30- 38))، كما نسبت التوراة لموسى أنه أمر قومه بالسرقة بوحي من الله سفر الخروج (3: 21، 22)...

(2)- انظر: سفر ارميا (29: 21).

(3)- السيد محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ص87.

(4)- سيد مبارك، **معجزات الأنبياء والمرسلين**، المكتبة المحمودية، القاهرة، 2004، ص ص5- 7.

(5)- ابن تيمية، المرجع السابق، ص8.

(6)- سيد مبارك، المرجع السابق، ص7.

(7)- سورة الاسراء، الآية: 88.

إلا هو[1]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨**﴾[2]، أي أن الله سبحانه تعالى أمره أن يفوّض أمره إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب ولا اطلاع له على شيء[3]

3. الكتب السماوية:

تعتبر الكتب السماوية مجموعات للوحي المكتوب[4]، نزلت على الأنبياء وضمّت في ثناياها كلام الله الموجَّه للبشر على لسان جبريل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣** ﴾[5]، وفيما يلي مفهوم التوراة والقرآن الكريم:

ر. التوراة (Torah):

قبل أن أتطرق إلى مفهوم التوراة يجب توضيح الفرق بينها وبين العهد القديم والكتاب المقدس ككل، فترجمة هذا الأخير (Bible) وأصلها بيبلوس اليونانية وتعني الكتاب، وهي كلمة أصبحت علماً على الكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين، ويشتمل على "العهد القديم" (The Old Testament) و"العهد الجديد" (The New Testament)، ويمثل الأول كتاب اليهود المقدس الذي يشمل التوراة التي تعتبر أهم وأقدس جزء منه، بالإضافة إلى أسفار[6] وكتب الأنبياء، وكذا كتب

(1)- ابن تيمية، المرجع السابق، ص306.

(2)- سورة الاعراف، الآية: 188.

(3)- ابن كثير، المصدر السابق، م2، ص1244.

(4)- موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل** دراسة في ضوء العلم الحديث، تر: عادل يوسف،ط1، الدار الاهلية، الأردن، 2009، ص9.

(5)- سورة النساء، الآية: 163.

(6)- **اسفار**: جمع سفر وهي الكتب المؤلفة للتوراة وتعني في الاصل درج أو لفافة الورق، لأن كل كتاب كان يدوّن على صحيفة طويلة من الورق ثم تدرج وتحفظ إلى جانب الصحف المدرجة الأخرى. انظر: فراس السواح، **القصص القرآني** ومتوازياته التوراتية، دار علاء الدين، دمشق، 2013، ص10.

الأحكام والأمثال والأناشيد[1]، وهي 34 سفرا آخرا نُسبت لبني اسرائيل[2] على الرغم من أن البعض منها غير مُعترف به[3]، فيكون بذلك مجموع أسفار العهد القديم تسعة وثلاثون سفراً وفق النسخة البروتستانتية، في حين تضم النسخة الكاثوليكية والارثودوكسية ستة وأربعين سفراً[4]، أما اليهود فيطلقون على العهد القديم عدة تسميات منها: الأسفار القانونية "تناخ"[5]، و"المقرا" ، أي النص المقروء لأنهم مطالبون بقراءته[6]، كما سمي عندهم بـ"المسورت" التي تعني المقدس المروي عن الأسلاف[7]، وقد أطلق على كل العهد القديم مجازاً التوراة من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها –في زعمهم– إلى موسى عليه السلام[8]، في حين يمثل العهد الجديد الانجيل[9].

(1)– عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج2، ط5، دار الشروق، 2009، ص27.

(2)– **بني اسرائيل**: وهم أبناء يعقوب عليه السلام لأن اسمه الثاني إسرائيل وهي كلمة آرامية من مقطعين إسرا: عبد وإيل: الإله، ويكون معناها بالعربية "عبد الإله" ويذكر اليهود ان معناه بالعبرية الذي يجاهد مع الله أو الله يصارع على الرغم مما يحمل من تطاول على اسم الجلالة. أنظر: اسعد السحمراني، **اليهودية** عقيدة وشريعة، ط1، دار النفائس، لبنان، 2008، ص17، 18.

(3)– ظهرت كتب الرؤى وغيرها من الاسفار بعد تدوين العهد القديم استبعدت وسميت بالكتب الخفية أو "الابوكريفا" أو غير القانونية وسمي بعضها الآخر الكتب المنسوبة (سيود ابوكريفا) ومعظم هذه الكتب ذو اصل شعبي واضح. أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص27.

(4)– شريف حامد سالم، **نقد العهد القديم** دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011، ص14.

(5)– **التناخ**: ويكتب (ت، ن، ك) وهي الحروف الأولى من الألفاظ "توراة" و"نبيئيم" (أسفار الأنبياء) و"كتوبيم" (كتب الامثال والاناشيد). أنظر:

Encyclopédie Universelle, vol 22, Corpus 16 Néolithisation-Ornement Editeur, Paris, p847.

(6)– ibid, p847.

(7)– زالمان شازار، **تاريخ نقد العهد القديم** من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تر: أحمد محمود هويدي ومحمد خليفة حسن، المجلس الاعلى للثقافة، 2000، ص22.

(8)– احمد شلبي، **مقارنة الاديان** اليهودية، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978، ص238.

(9)– **الإنجيل**: لغة هو البشارة أو الخبر السعيد، ويضم "انجيل متي" و"انجيل مرقس" و"انجيل لوقا"، و"انجيل يوحنا"، بالإضافة إلى أعمال الرسل والرسائل التي وجهت لأهالي البلدان المجاورة، وتمثل في مجملها 27 سفراً، وتجدر الإشارة إلى أن الإنجيل لم يدون في عهد المسيح بل تمثل في كتابات وصفت حياة المسيح عيسى عليه السلام. أنظر: طه الشريف، المرجع السابق، ص157. أنظر كذلك: أسعد السحمراني، **ترجمان الأديان**، ط1، دار النفائس، لبنان، 2009، ص353.

أ.1. تعريفها:

–لغة: هناك من رد لفظة التوراة إلى أصل عربي؛ فـ"التوراة" تاؤها مقلوبة وأصلها من الورى وبناؤها عند الكوفيين "ووراة" على وزن "تفعله"، وقال بعضهم هي على وزن "تفعل"، وعند البصريين تنطق "ورى" على وزن فوعل نحو حوقل[1]، ويستشهدون بأن معناها الضياء والنور من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾[2]، كما وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾** ﴾[3]، في حين وردت في التوراة من أصل عبري ويُقصد بها الوصايا والتعاليم والشريعة، والقانون والناموس[4]، وهناك من يرى أن التوراة كلمة مشتقة من "تورة" الآرامية التي تعني الهداية والإرشاد[5].

(1)– ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، **المفردات** في غريب القرآن، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.م.ن)، (د.ت)، ص 98.

(2)– سورة المائدة، الآية: 44.

(3)– سورة الأنبياء، الآية: 48.

(4)– **The Bible new Revised Standard version The Hebrew Bible with the Apocryphal/ Deuterocanonical books** , Zaine Ridling, Ph D Editor, United States of America, 1989, p19.

(5)– اسماعيل ناصر الصمادي، **نقد النص التوراتي** التأريخ التوراتي المزيف بين اسرائيل الكنعانية واسرائيل العبرية واسرائيل الصهيونية، حفرية نصية تاريخية اركيولوجية في الماضي المتخيل الافتراضي لليهود، ط1، دار علاء الدين، سورية، 2005، ص81. أنظر كذلك: ليون جركسيان، **تاريخ أديان التوحيد** في الهلال الخصيب، خطوات، دمشق، 2011، ص132.

وباللاتينية سميت بـ(Pentateuque)، وهي كلمة يونانية مشتقة من (Penta) التي تعني خمسة و(Teukhos) التي تعني كتاب، ومن اللاتينية دخلت إلى اللغات المعاصرة كالإنجليزية، وتعني "مكونا من خمسة أجزاء" وهي نفسها أسفار موسى[1] الخمسة[2].

–اصطلاحا: استعمل اصطلاح التوراة للتعبير على شريعة موسى ﷺ في كل ما أوحاه الله ليبلغه إلى قومه[3]، وهي حسب أهل الكتاب تمثل كل الوصايا والاحكام التي كلّم الله بها نبيه موسى على جبل سيناء خلال فترة التيه التي وقعت للإسرائيليين بعد الخروج[4]، ويؤمن بها كل من اليهود والمسيحيين على أنها قد دُوِّنت بإلهام من روح الله على الرغم من أن يد البشر هي التي خطتها[5]، فهي بذلك تمثل الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ وهي: (سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد وسفر التثنية)[6]، وقد اصطلح في كثير من الأحيان بها على كل العهد القديم[7]، وتستخدم عند اليهود للإشارة إلى كل التراث الديني اليهودي، أما في المصادر الكلاسيكية فلم يكن يُشار إلى اليهودية وإنما إلى التوراة، وهذه الأخيرة يشار بها عامة إلى الجوانب الإلهية الثابتة في العقيدة اليهودية، أما كلمة يهودية فتشير إلى الجوانب التاريخية المتغيرة[8]، إذن التوراة مجموعة كتابات لاهوتية وتاريخية دُوِّنت لشريعة لها أتباعها وتاريخها[9].

أ.2.أسفارها:

تتألف التوراة من خمسة أسفار وكل منها يتكون من اصحاحات وتتكون بدورها من آيات، وقد أطلق اليهود على أسفار التوراة الخمسة أسماءً وفق اللفظ الذي يبدأ به كل سفر، أما اليونانيين

(1)– سميت كذلك لأنها تدور حوله فيما سميت الأسفار اللاحقة بأسفار الأنبياء لأن النبي هو الشخصية التي يدور حولها السفر كله. أنظر: اسبينوزا، المرجع السابق، ص26.

(2)– **The Bible new Revised Standard version The Hebrew Bible with the Apocryphal/ Deuterocanonical books** , loc cit, p20.

(3)– مصطفى زرهار، **مقاربات في دراسة النص التوراتي** (سفر راعوث انموذجا)، دار صفحات، سورية، 2012، ص35.

(4)– طه الشريف، المرجع السابق، ص30.

(5)– عبد الوهاب عبد السلام طويلة، **توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي**، ط1، دار القلم، دمشق، 2004، ص 32.

(6)– محمد احمد الخطيب، **مقارنة الأديان**، ط2، دار المسيرة، الأردن، 2009، ص87.

(7)– زكي شنودة، **المجتمع اليهودي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص285.

(8)– عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ص27، 28.

(9)– حسن الباش، **القرآن والتوراة** اين يتفقان واين يفترقان؟، ج1، دار قتيبة، (د.م.ن)، (د.ت)، ص20.

فقد أطلقوا على كل سفر اسم يتوافق ومحتوياته[1]، وهي كالتالي: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد وسفر التثنية.

-سفر التكوين (Genesis): تعني هذه التسمية في اليونانية "الأصل" أو "البدء"، وقد سمي كذلك لاشتماله على قصة خلق الكون[2]، أما في العبرية فقد أشار إليه العبرانيون بـ"بريشيت" التي تعني "في البدء" أو "بداية" التي يبدأ بها السفر، ويعتبر هذا السفر أول أسفار التوراة ويضم خمسون إصحاحا[3]، ويتناول هذا السفر خلق العالم من البداية وخلق آدم وحواء ثم حكايات قايين[4] وهابيل والطوفان وتعمير الأرض وبرج بابل وإعداد الله لإبراهيم عليه السلام وقصة لوط وسدوم وعمورة وولادة إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقصة يوسف وقيامه على خزائن الأرض، ويقال أن هذا السفر يحتوي في جوهره على روايات تتعلق بأحداث شعب اسرائيل، بل ويعتبره اليهود يشمل تاريخ البشرية، فكان أشبه بصورة مصغرة لمسيرة البشرية[5].

-سفر الخروج (Exodus): سمي عن الكلمة اللاتينية التي تعني الخروج ويُقصد بها خروج بني اسرائيل من مصر[6] لأن هذا السفر فصّل في ذلك، أما في العبرية فيسمى "شيموت" أي أسماء، وعدد إصحاحاته أربعون إصحاحاً[7]، ويتضمن أحداث معيشة بني اسرائيل في مصر ثم ولادة موسى عليه السلام وما كان بينه وبين فرعون ثم الخروج من مصر وأحداث التيه في صحراء سيناء[8]، كما يذكر قبل التيه

---

(1)- فتحي محمد الزغبي، **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم الاسلامية، مصر، 1994، ص48.

(2)- احمد شلبي، المرجع السابق، ص241.

(3)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص36، 37.

(4)- **قايين**: هو بكر آدم وحواء كما ورد في سفر التكوين (سفر التكوين (4: 1))، ظن أبواه انه المخلص الموعود مثل ما ورد في التوراة (سفر التكوين (3: 15))، فكان على خلاف ذلك فقد حسد أخوه هابيل فقتله فطرده الله من بيته ووطنه فخرج إلى بلاد نود شرقي عدن ثم بعد ولادة حنوك شرع في بناء مدينة سماها باسم ابنه حنوك مثل ما ورد في التوراة (سفر التكوين (4: 17)). أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص199.

(5)- ابراهيم الفني، **التوراة** تاريخيا اثريا دينيا، دار اليازوردي، الاردن، 2009، ص67.

(6)- احمد شلبي، المرجع السابق، ص241.

(7)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص38.

(8)- **سيناء**: هي برية وصل اليها العبرانيون بعد أن عبروا البحر الأحمر من ايليم إلى ريفيديم وفيها أنزل الله المنّ للمرة الأولى للشعب ولعل مكانها اليوم دبة الرملة وهي كومة رمال عند سفح جبل التيه. أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص497، 498.

الأمور التي حصلت بعد غياب موسى عليه السلام، وذهابه لتلقي ألواح الرب وارتداد قومه وعبادتهم العجل ووعيد الله لهم، كما تحدَّث عن تيههم الذي استمر أربعين سنة في صحراء سيناء، ويرى البعض أن هذا السفر يمثل ولادة جديدة لبني اسرائيل[1].

-سفر اللاويين أو الأحبار (Leviticus): سمي في اللاتينية نسبة إلى أسرة "لاوي" أو "ليفي"[2]، أما في العبرية فيسمى "ويقرا" أي "ودعا"[3]، وهم جماعة ينتمون إلى سبط[4] من أسباط الإسرائيليين وكانوا قد عُرفوا بالتقوى وينحدر موسى عليه السلام من فرعهم، وقد كان يعرف بـ"توراة كوهانيم" أي شريعة الكهنة[5]، ويعتبر هذا السفر أصغر أسفار التوراة حيث يضم سبعة وعشرون اصحاحا[6]، ويشتمل على الشرائع والتوجيهات والطقوس الخاصة بالذبائح والكهنة والشعب وكذلك بيان المواسم والأعياد، وكذا الحفلات التي كانت تجري لتكريس هارون وبنيه لممارسة الكهنوت كوسطاء في مهمتهم، كما تطرَّق إلى النجاسات التي تمنع الإنسان من الإتصال بالله، ومن ثم تحليل تشريعي ليوم الغفران وأوامر الله إلى الشعب المختار[7].

-سفر العدد (Numeri): الاسم مشتق من اللاتينية والعبرية؛ ففي هذه الاخيرة سمي بـ"المدبار" أي "العدد"[8]، وقد سمي كذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم[9]، وعدد إصحاحاته ستة وثلاثون إصحاحاً[10]، ويذكر الاستعداد لدخول أرض

---

(1)- حنا حنا، **هفوات التوراة**، ط1، دار رام، سورية، 2007، ص133، 134.

(2)- احمد شلبي، المرجع السابق، ص242.

(3)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص38.

(4)- **سبط**: ولد الولد كأنه امتداد للفروع أي قبائل كل قبيلة من نسل رجل أسباط أمما، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس ان سبط مشتقة من كلمة عبرانية لفظها "شبط" ومعناها "عصا" أو "جماعة يقودها رئيس بعصا" وكانت تطلق عادة على كل من أولاد يعقوب وكذلك كل من افرايم ومنسى ابني يوسف. أنظر: الراغب الاصفهاني، المصدر السابق، ص293. أنظر كذلك: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص455.

(5)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص42.

(6)- طه الشريف، المرجع السابق، ص79.

(7)- حنا حنا، (هفوات)، المرجع السابق، ص135، 136.

(8)- مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص44.

(9)- احمد شلبي، المرجع السابق، ص242.

(10)- طه الشريف، المرجع السابق، ص87.

فلسطين وبعض طقوس الطهارة والحوار الذي تمّ بين كل من مريم وهارون وموسى عليهم السلام، والتمرد الذي أُعلن على هذا الأخير، وعدد الحروب التي خاضها بنو إسرائيل ضد أعداءهم والهزائم التي ألحقوها بهم، وكذا النزول في سهول موؤاب[1].

-سفر التثنية (Deuteronomium): الاسم مشتق من اللغة اليونانية واللاتينية التي تعني إعادة أو تثنية الإشتراع ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم[2]، أما في العبرية فقد سمي بـ"ديفاريم" أي "هذا هو الكلام" ربما السابق للتكرار، ويشمل هذا السفر على أربعة وثلاثون إصحاحاً[3]، وتناول التعاليم والمسائل التي سبق ذكرها في الأسفار السابقة، وقد أضاف هذا السفر العديد من الأحداث التي لم ترد في ما سبق إلى غاية وفاة موسى عليه السلام عن عمر يناهز 120 سنة.

أ.3.تدوينها:

يعتقد أهل الكتاب أن موسى عليه السلام هو محرّر التوراة[4] استنادا إلى ما ورد في أسفار التوراة: [9**وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لاَوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ.**][5]، وذلك دليلهم على أن موسى عليه السلام قد كتب 13 نسخة منها، وأعطاها لكل سبط من الإثنا عشر سبطاً من اليهود، واحتفظ بنسخة في تابوت العهد المقدس[6].

وقد جاء في القرآن الكريم أن التوراة كتاب مُنزَّل موحى به إلى موسى عليه السلام، غير أن الله عز وجل قد بيّن أن التوراة المنزَّلة على موسى عليه السلام ليست هي التي بين أيدينا في كثير من المواقف، وبالتالي لم يكن

---

(1)- **موؤاب:** أرض يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم وتنقسم إلى قسمين: أرض المؤاب ما وقع شرق البحر الميت وتسمى بلاد مؤاب، وعربات مؤاب وهي ما كان في الاردن مقابل اريحا. أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص927، 928.

(2)- احمد شلبي، المرجع السابق، ص243.

(3)- مصطفى الزرهار، المرجع السابق، ص45، 46.

(4)- يقول السيد محمد عاشور: أن عيسى بن مريم قد اعترف بأن موسى ليس كاتب التوراة بل هم أحبار اليهود واستشهد بـ إنجيل برنابا (44: 1-4). أنظر: السيد محمد عاشور، **اليهود ونقد التوراة**، دار الاتحاد العربي للطباعة، (د.م.ن)، 1994، ص5، 6.

(5)- سفر التثنية (31: 9).

(6)- **تابوت العهد المقدس:** يسمى ايضا بـ"تابوت الشهادة" وقد صنعه موسى بأمر من الله من خشب السنط ومغشى بالذهب، وضع فيه وعاء المن ووعاء هارون وكتاب التوراة ولوحي التوراة الموسوية، وضعه سليمان في الهيكل ولم يعرف مصيره. أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص209.

موسى كاتبها وإنما حرّفها اليهود فأضافوا وأنقصوا على هواهم[1]، وفي الحقيقة هذه الفكرة قد تخلى عنها الكثير من علماء العصر الحديث[2]، وقد اعترف بذلك حتى الكتابيون مثل "باروخ سبينوزا" (Spinoza Baruch) (1632–1677م) الذي أكّد في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) أن التوراة التي بين أيدينا لم يكتبها موسى ﷺ، وأن من كتبها عاش بعد موسى بزمن طويل، ويؤكّد على كلامه بمجموعة من الأدلة؛ فالتوراة التي نزلت على موسى ﷺ كانت أصغر بحيث دوّنت على حائط المعبد الذي لم يتجاوز 12 حجراً، كما أنه لو كان موسى هو من كتب التوراة لاستعمل ضمير المتكلم بدل صيغة الغائب التي نجدها في الأسفار، كما جاء في الآية: [11**وَأَوْصَى مُوسَى الشَّعْبَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً:**][3]، كما لم يكتب سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن، فقد مات قبل ذلك، وكيف له أن يكتب في نفس السفر عن وفاته والحزن الذي خيّم على بني إسرائيل، والحداد الذي أُقيم على موته، مثل ما جاء في الآية: [7**وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ.** 8**فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاَثِينَ يَوْمًا. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى.**][4]، وأن في الأسفار الخمسة تسميات لم تكن زمن موسى ﷺ أو قبله، بل عرفت بعده بفترة طويلة مثل "جبل موريا"[5] الذي ذكر باسم "جبل الرب" في سفر التكوين في الآية: [14**فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى».**][6]، مع أنه عرف كذلك بعد موت موسى ﷺ وبعد بناء المعبد[7].

---

(1)- انظر: (سورة الانعام، الآية:91، 154)، (سورة النساء، الآية:46)، (سورة المائدة، الآية:13، 41، 43، 44)، (سورة ال عمران، الآية:3، 93)، (سورة التوبة، الآية:111)، (سورة الاعراف، الآية: 145، 157)، (سورة البقرة، الآية: 79)...

(2)- H. H. Rowley, **the Growth of the Old Testament**, Hutchinson's University Library, London, 1950, p18.

(3)- سفر التثنية (27: 11).

(4)- سفر التثنية (34: 7، 8).

(5)- **جبل موريا**: أو جبل بيت المقدس أو الحرم، وقد ورد اسمه في التوراة في قصة الذبيح الذي أمر الله ابراهيم أن يقدمه قربان، وحدّد له هذا الموضع ليذبح فيه ابنه. أنظر: حسن ظاظا، **أبحاث في الفكر اليهودي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015، ص22.

(6)- سفر التكوين (22: 14).

(7)- اسبينوزا، المرجع السابق، ص23.

ويستدلّ آخرون للتأكيد على أن موسى عليه السلام لم يكن كاتب التوراة التي بين أيدينا اليوم من لغتها؛ فوجود اختلالات داخل النص يؤكد على أنها قد أدخلت عليها إضافات غيّرت من النص الأصلي[1]، وبذلك يجمع العلماء على أن كتابة التوراة التي بين أيدينا بدأت في القرن السادس قبل الميلاد بعد السبي البابلي[2].

ويرجّح أن عزرا[3] (444ق.م) هو من كتب التوراة وقد ساعده في ذلك "زربابل بن شاتيل"[4]، لأن الروايات كلها تنتهي قبله، ويذكر عزرا في السفر الذي يحمل اسمه أنه وهب حياته لتنقية الشريعة وعرضها[5]، كما جاء في الآية: [**10لأَنَّ عَزْرَا هَيَّأَ قَلْبَهُ لِطَلَبِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ وَالْعَمَلِ بِهَا، وَلِيُعَلِّمَ إِسْرَائِيلَ فَرِيضَةً وَقَضَاءً**][6]، غير أنه يرّجح أن عزرا لم يكن من أعطى هذه الأسفار صيغتها النهائية، بل اقتصر عمله على جمع الروايات من كتب أخرى ونقلها دون ترتيب أو تحقيق[7].

(1)- Israël Finkelsteim and Ashar Silberman, **La Bible Dévoilée** les Nouvelles Révélations de L'archéologie, trad: Patric Gherardi, 8em Tirage, Bayard édition, Paris, 2002, p23.

(2)- فرج الله عبد الباري، **موسوعة العقيدة والأديان اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري**، دار الآفاق العلمية، (د.م.ن)، (د.ت)، ص31.

(3)- **عزرا**: هو عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا ابن شلوم بن صادوق بن اخيطوب بن امريا بن عزريا بم ميرايوث بن زرحيا بن عزي بن بقي بن ابيشوع بن فيخاس بن العازار بن هارون، كما وجد في سفر عزرا واخبار أخرى له موجودة في سفر نحميا، ومعنى اسمع بالعبرية عون وقد نشأ اختصارا لاسم عزريا. أنظر: أحمد معاذ علوان حقي، "أثر عزرا في الديانة اليهودية"، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، المجلد23، العدد75، 2008، ص123.

(4)- **زربابل بن شاتيل**: يعني اسم زر بابل في الأكادية زرع بابل أو المولود في بابل، رجع اليهود من بابل إلى اليهودية في أول دفعة تحت قيادته اشترك مع يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة في بناء المذبح لإصعاد المحرقات وتنظيم العبادة، تسلّم من كورش الآنية المقدسة التي ردت إلى أورشليم ثم انه عين واليا ووضع أساس الهيكل وكانت له اليد الأولى في إرجاع الطقوس الدينية الاعتيادية للشعب. أنظر: بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص425.

(5)- اسبينوزا، المرجع السابق، ص26.

(6)- سفر عزرا (7: 10).

(7)- اسبينوزا، المرجع السابق، ص26، 27.

ومن دلائل تحريف التوراة اختلاف الروايات، ويحصي النقاد مصادر مختلفة للتوراة تتمثل في الرواية اليهوية[1]، والإلوهيمية[2]، ورواية ثالثة لا ترجع إلى الأصلين وهي تكملة للرواية الإلوهيمية[3]، وهي الرواية الكهنوتية[4]، بالإضافة إلى الرواية التثنوية[5]، التي وجدت في سفر التثنية[6]، وبالتالي كانت هذه المصادر الأربعة دليل على أن التوراة دوّنت في فترات زمنية متباعدة، كما يذهب موريس بوكاي إلى أن تحرير أسفار موسى امتد لثلاثة قرون على أقل تقدير[7].

ويحدِّد تاريخ كتابة كل سفر من أسفار التوراة أن سفري التكوين والخروج أُلفا حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وسفري العدد واللاوين أُلفا حوالي القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، أي بعد النفي[8]، أما سفر التثنية فقد كتبه عزرا في زمانه[9] ويذكر محمد الخطيب أنه دوّن في أواخر القرن

---

(1)- **المصدر اليهوي**: هي الرواية التي تستخدم اثناء روايتها التاريخية الاسم الرباعي "يهوه" (Yahweh)، وقد دوّن في يهوذا المملكة الجنوبية لليهود، رمز لهذا المصدر اختصارا بالحرف "جي" (J). التي تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد. أنظر: علي سري محمود المدرس، **العهد القديم** دراسة نقدية، ط1، الأكاديميون، الأردن، 2007، ص71.

(2)- **المصدر الايلوهيمي**: هي الرواية التي تستخدم اثناء سردها للأحداث الاسم "ايلوهيم" (Elohim) أو "ايل" في حديثها عن الله، دون في الشمال مثل قبائل افرايم ومنسى وبنيامين، وقد رمز لها اختصارا بالحرف "إي" (E)، وتجدر الإشارة إلى اأ المصدر الالوهيمي لم يكن حاضرا في سفر التكوين لأن الفترة من الخلق والطوفان وحتى ابراهيم فيها جزء من النص اليهوي ويتبعه جزء من النص الكهنوتي التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. أنظر: موريس بوكاي، المرجع السابق، ص38. أنظر كذلك: مصطفى الزرهار، المرجع السابق، ص242، 243. أنظر كذلك:

Frank Moore Cross, **Canaanite Myth and Hebrew Epic** Essay in the History of the Religion of Israel, Harvard University Press, USA, 1973, p323.

(3)- فتحي محمد الزغبي، المرجع السابق، ص340.

(4)- **المصدر الكهنوتي**: (Priestly) واختصروه بالرمز (بي P) وقد سمي كذلك لأنه يركز على الشرائع المتعلقة بالعبادة وأشكال الطقوس، صدرت عن كهنة معبد القدس وتعود إلى عصر النفي أو ما بعد النفي أي القرن السادس والخامس قبل الميلاد. أنظر: موريس بوكاي، المرجع السابق، ص29، 35. أنظر كذلك: شريف حامد سالم، المرجع السابق، ص95.

(5)- **الرواية التثنوية**: وهو سفر التثنية أو تثنية الإشتراع يرمز في اللغات الأوروبية بحرف (D) اختصار لـ(Deuteronomion) والتي تعود إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد. أنظر: مصطفى زرهار، المرجع السابق، ص243.

(6)- للمزيد أنظر:

Adolphe Lods, Les Prophètes **d'Israël et les débuts du JudaÏsme**, Éditions Albin Mechel, Paris, 1969, pp20-22.

(7)- موريس بوكاي، المرجع السابق، ص36.

(8)- فتحي محمد الزغبي، المرجع السابق، ص342.

(9)- نفسه، ص353.

السابع قبل الميلاد، وأن جميعها كتبت بأقلام اليهود[1]، ويذكر الأعظمي أن التوراة استكملت في حدود 400 ق.م، والأنبياء في حدود 200 ق.م، والكتب في حوالي 90 م، ولو كان ذلك من عند موسى عليه السلام أو من الله عز وجل لما تردّد العلماء في الاعتماد على شرعيته[2]، وأيا كانت تواريخ تأليفها فهي عمل جماعي لا يتجاوز تجميع وترقيع لمصادر مختلفة، كتب كلٌ منها تحت ظروف تاريخية مختلفة لإبداء وجهات نظر دينية أو سياسية مختلفة.

ب.القرآن:

يعتبر القرآن الكريم معجزة عقلية خالدة حبى الله بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي تحدى به العرب بأن يأتوا بسورة[3] من مثله فعجزوا رغم فصاحتهم وبلاغتهم، فكان معجزة باقية كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾** ﴾[4].

ب.1.مفهومه:

–لغة: يقال قرأ الشيء قراءة و"قرآنا" تتبع كلماته نظراً ونطق بها، ويقال أيضاً قرأت الشيء قرآنا بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وبذلك يصبح معنى القرآن الجمع، وجاء أنه سمي كذلك لأنه يجمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور فيضمها إلى بعض[5]، وهناك من يرى أنه سمي كذلك لأنه جمع ما جاء في الكتب السماوية السابقة له[6]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿

(1)– محمد أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص92.

(2)– محمد ضياء الرحمان الاعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند**، ط2، مكتبة الرشيد، السعودية، 2003، ص133.

(3)– **سورة:** مأخوذة من سور المدينة أو من السورة بمعنى المرتبة والمنزلة الرفيعة، أما في الاصطلاح فالسورة قرآن يشتمل على أي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها 3 آيات، هي كالسور تحيط بآيات وتجمعها كاجتماع البيوت وفي تقسيم القرآن إلى سور وآيات. أنظر: نور الدين عتر، **علوم القرآن الكريم**، ط1، مطبعة الصباح، دمشق، 1993، ص39، 40.

(4)– سورة يونس، الآية: 38.

(5)– حسن عز الدين الجمل، مخطوطة الجمل **معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن**، ج3، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2007، ص329.

(6)– فخري خليل النجار، **تاريخ الحضارة العربية الاسلامية**، ط1، دار صفاء، عمان، 2010، ص103.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]، كما جمع القرآن الكريم ثمرة جميع العلوم كما يبين ذلك الاعجاز العلمي الآن[2].

والقرآن مصدر وقد تحذف منه الهمزة تخفيفاً فيقال (القران) وهو مرادف للقراءة وهمزته أصلية ونونه زائدة، وقد نُقل ليصبح علماً على الكتاب الكريم، وقد نسميه للمفعول بالمصدر أي إطلاق المصدر المراد به اسم المفعول[3] يستدل في ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[4]، ومصطلح مقروء لم تعهده العرب في جاهليتها فلفظة "قرآن" في حد ذاتها قرآنية لم تستعمل قبل نزوله ككتاب[5].

-اصطلاحا: اختلفت التعريفات باختلاف أهل الاختصاص في كل علم ووفق العصور المختلفة، ولكن ما أجمعت عليه كتب التفسير والفقه وعلم الكلام والأصول، تعريف يشمل جميع صفات وخصائص القرآن الكريم فهو كتاب الله الذي أنزل على رسوله الكريم محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب بالمصاحف والمنقول الينا بالتواتر بلا شبهة[6]، المعجِز ولو بسورة منه لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ

(1)- سورة المائدة، الآية: 48.

(2)- الإعجاز بالعلوم وقف عندها العلم الحديث مثل الخلق علم الفلك الأرض عالم الحيوان عالم النبات التناسل الإنساني... أنظر: موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة. http://www.eajaz.org/ أنظر كذلك: موريس بوكاي، المرجع السابق.

(3)- حسن عز الدين الجمل، المرجع السابق، ص330.

(4)- سورة القيامة، الآية: 17، 18.

(5)- فخري خليل النجار، المرجع السابق، ص103.

(6)- الجرجاني علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص92.

لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾[1] المتعبد بتلاوته المكتوب في المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس[2]، وهو كتاب المسلمين المقدس الذي يحتوي على أصول دينهم وشرائع حياتهم في مختلف شؤونهم الروحية، المادية، الاجتماعية، الاقتصادية، القضائية وحتى السياسية[3]، وهو آخر الكتب السماوية الذي لا يحتمل الخطأ والمحفوظ من الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[4]، ويشتمل القرآن الكريم على ثلاثون جزءاً وستون حزباً[5]، و114 سورة تختلف تسمية كل واحدة منها حسب طبيعتها وأبرز موضوعاتها، وتتألف من آيات[6] جرى ترقيمها ليسهل الرجوع لها، ولدينا من السور المكية التي أنزلت على الرسول ﷺ وهو في مكة، ومنها المدنية وهي التي أنزلت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة[7].

وللقرآن الكريم اسماء أخرى مثل الفرقان مثل قولها تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[8]، والكتاب في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[9]، والذكر كما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم

(1)- سورة الإسراء، الآية: 88.

(2)- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تح: فواز أحمد زمرلي، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995، ص20. أنظر كذلك: محمد بن لطفي الصباغ، **لمحات في علوم القرآن** واتجاهات التفسير، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990، ص25.

(3)- ليون جركسيان، المرجع السابق، ص352.

(4)- سورة الحجر، الآية: 9.

(5)- فخري خليل النجار، المرجع السابق، ص109.

(6)- **آيات**: جمع آية وأصلها علامة وأما في اصطلاح علم القرآن الكريم، فهي مركب من جمل ولو تقدير ذو مبدأ ومقطع مندرج ضمن سورة. أنظر: نور الدين عتر، المرجع السابق، ص39.

(7)- فراس السواح، (القصص)، المرجع السابق، ص17.

(8)- سورة الفرقان، الآية: 1.

(9)- سورة البقرة، الآية: 2.

﴿ مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ ﴾[1]، والتنزيل في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ ﴾[2].

ب. جمعه وتدوينه:

أنزل القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام في ليلة القدر من شهر رمضان كاملا إلى بيت العزة من السماء الدنيا كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾[3]، ثم نزل منجماً على رسول الله ﷺ في 23 سنة حسب الحوادث[4]، وكذلك تدوينه كان على مراحل:

ب.1.تدوين القرآن في حياة النبي ﷺ: عني الرسول ﷺ بكتابة القرآن أيما عناية فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن دعا الكتاب فأملاه عليهم وكتبوه، في ما توفر لهم من الأدوات[5]، وفي الحقيقة كان عدد كتاب الوحي من الصحابة كثيرون ومنهم: معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهم، وقد أثبتت العديد من الأحاديث أن القرآن الكريم قد حُفظ في الصدور وفي السطور في هذه المرحلة[6].

ب.2. تدوين القرآن في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه: عرف عصره موت الكثير من قراء القرآن من الصحابة رضوان الله عليهم بسبب حروب الردة فأشار عمر بن الخطاب لأبي بكر بعد حادثة اليمامة (12هـ) بجمع القرآن الكريم من مصادره المكتوبة في عصر النبي ﷺ ومما حفظ في صدور القراء والصحابة رضوان الله عليهم خوفاً من أن يستفحل القتل فيهم في الحروب ويذهب القرآن معهم، وبذلك جُمعت نسخة المصحف بأدق توثيق، واستغرق هذا الجمع تقريبا سنة، وأودعت نسخة

(1)- سورة الأنبياء، الآية: 2.

(2)- سورة الشعراء، الآية: 192.

(3)- سورة القدر، الآية: 1.

(4)- فخري خليل النجار، المرجع السابق، ص109.

(5)- مثل الرقاع الجلود وما إلى ذلك)، اللخاف (الحجارة الرقيقة)، الأكتاف (عظام أكتاف الحيوانات كالجمال)، العسب (جريد النخيل)، الأخلاف (عظام حوض الحيوانات)، الأقتاب (السرج من الخشب). أنظر: ليون جركسيان، المرجع السابق، ص357.

(6)- نور الدين عتر، المرجع السابق، ص ص167-169.

المصحف لدى الخليفة لتكون مرجعاً للمسلمين في المستقبل[1]، وبعد وفاته وضعت عند عمر بن الخطاب ﷺ، وبعد وفاته احتفظت بها ابنته حفصة[2].

ب.3.تدوين القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ: بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية، ودخول أمم غير عربية في الإسلام، اختلف المسلمون في قراءة القرآن، ما دفع بعثمان بن عفان إلى أن يستدرك الأمر، خوفاً من أن يختلف المسلمون اختلاف اليهود والنصارى في الكتاب، فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر، لكي ترسل له المصحف الذي دوّن في عهد أبي بكر، وأمر كل من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام بنسخ مجموعة من المصاحف بلغة قريش لأنه نزل بها، وأرسلها إلى كل الأمصار الاسلامية، وأمر أن يُحرق ما دونها، وأرسل مع كل مصحف مقرئاً، فكان ذلك سبباً في الحفاظ على نص القرآن الكريم من التحريف، الذي شهدته الكتب السماوية السابقة[3].

وقد عرف القرآن الكريم في العصر الأموي عملية التنقيط لأن الحروف لم تكن قد قبلت بعد الحركات الصوتية، فكانت بعض الكلمات متشابهة بدون تنقيط، وتختلف به فيتغيَّر معنى الآية، وقد قام بالعملية كل من "الخليل بن أحمد الفراهيدي" و"ابي الأسود الدؤلي"، فكان بذلك ضبط القرآن الكريم نهائيا وحفظه من التحريف بالزيادة أو بالنقصان فالله ﷻ قال: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ۝٩ ﴾[4].

4. الأسطورة (légende):

تعتبر الأسطورة من أهم محرِّكات الدين عامة، وقد شكل مفهومها تشويشاً في أذهان كثير من المتخصصين ناهيك عن عامة المهتمين[5]، الذين أكّدوا على اختلافها وتميُّزها وخصوصيتها، وعملوا

(1)- نور الدين عتر، المرجع السابق، ص ص169-171.

(2)- فخري خليل النجار، المرجع السابق، ص112.

(3)- نفسه، ص 112، 113. انظر كذلك: نور الدين عتر، المرجع السابق، ص ص 171-174.

(4)- سورة الحجر، الآية: 9.

(5)- خزعل الماجدي، **بخور الآلهة** دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، دار الأهلية، لبنان، 1998، ص57.

على محاولة توضيح وتحديد مفهوم لها على أكبر قدر ممكن من الدقة، فمنذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ظهرت العديد من المدارس التي حاولت إعطاء نظريات لها ودراسة بواعث نشوئها[1].

أ. مفهومها:

أ.1.لغة: لا يعتبر مصطلح الأسطورة في اللغة العربية من الكلمات المستحدثة، فالمضامين التي استوعبتها هذه الكلمة في الاستعمالات الحديثة تستند إلى مضامينها القديمة، وتفيد المعاجم العربية بأن كلمة أسطورة جاءت من السطر وهو الخط والكتابة، وجمعه أسطار كما هو الحال في سبب وأسباب[2]، وجمع الجمع أساطير، ونعثر على أول استعمال للكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا** ۝﴾[3]، ويذكر ابن كثير في تفسيره أن المقصود بأساطير الأولين يعنى بها كتب الأولين[4].

واشتقاق مصطلح أسطورة في العربية يقارب اشتقاقها في اللغات الأوربية، فنجد (Myth) مأخوذة من الكلمة اليونانية (Mutho)[5] التي تعني حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال، ويعتبر أفلاطون[6] أول من استعمل مصطلح (Muthologia) للدلالة على فن رواية القصص، وبشكل خاص ذلك النوع الذي ندعوه اليوم بالأساطير، وقد أصبح علماً بذاته فبإضافة الشق (Logy) الذي يعني علم فيصبح "علم دراسة الأساطير" يدعى ميثولوجيا (Mythology)[7]، ويقول القديس

---

(1)- عن الاسطورة والايديولوجيا انظر: شمس الدين الكيلاني، **من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي** الاسطورة الدين الايديولوجيا العلم، ط1، دار الكنوز الادبية، بيروت، 1998.

(2)- بطرس البستاني، **محيط المحيط** قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص401.

(3)- سورة الفرقان، الآية: 5.

(4)- ابن كثير، المصدر السابق، م3، ص2071.

(5)- وهناك من يشتقها من الكلمة الانجليزية (mouth) التي تعني فم وهي بذلك تعني الكلام المنطوق أي انها نوع من السرد الشفوي. أنظر: اسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص50.

(6)- **أفلاطون (Platoon)**: (428-348 ق.م) فيلسوف إغريقي ينحدر من أعرق الأسر الأثينية، درس مذاهب الإيليين وخاصة الفيثاغوريين، درس فلسفة هيراقليطس وكان على صلة قوية بالسفسطائيين، أسّس معهده الشهير الأكاديميا في اثينا في سنة (388/387 ق.م)، عدد المؤلفات التي تنسب اليه 28 محاورة و23 رسالة، أصبحت الفلسفة بمجيئه نظاما محكماً متسقا له فرضيات واضحة. أنظر: محمد الخطيب، **الفكر الاغريقي**، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999، ص138، 139.

(7)- فراس السواح، (مغامرة)، المرجع السابق، ص12.

أوغسطين: «أن معنى كلمة أسطورة خرافة لأن التعبير الإغريقي للأسطورة (Mythe) يعني خرافة (Fable)»[1].

أ.2. اصطلاحا: يتناول فراس السواح في كتابه (دين الإنسان) جملة من التعاريف لمصطلح الأسطورة، يعرِّفها على أنها شكل من أشكال الأدب الرفيع، لها سلطان على العواطف والقلوب، كما يذكر في تعريف آخر أنها قصة تقليدية حافظت على ثبات نسبي تناقلتها الأجيال، وليس لها زمن معين بل أحداثها ذات ظهور دائم، فعندما لا يكون للحدث الأسطوري الطابع المتكرر والمتجدد، وموضوعاتها تتميز بالجدية والشمولية؛ كونها تدور حول المسائل الكبرى التي ألحت دوماً على العقل البشري، مثل الخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر، وغيرها من المواضيع التي تتناولها الفلسفة خصوصا والعلوم الإنسانية عموما[2]...

ويدعم خزعل الماجدي رأي فراس السواح في قوله أن الأسطورة: «قصة تقليدية ثابتة نسبية ومقدسة، مربوطة بنظام ديني معيَّن ومُتناقلة بين الأجيال، ولا تشير إلى زمن محدد بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي»[3]، بتعبير آخر تدل الاسطورة على تاريخ حقيقي جرت أحداثه في بداية الزمان وتفيد كنموذج لسلوك البشر[4].

إذن الاسطورة هي عملية تفسير للعالم البدائي فهي تضع ميثاقاً اجتماعياً أو نمط أخلاقي، وهي عنصر لا غنى عنه في كل ثقافة متجددة باستمرار وتتعلق بشكل غير مباشر بحقيقة تاريخية ثابتة في اعتقاد من يؤمن بها، ولا يمكن الفصل بينها وبين طقوس وتقاليد وعادات وأخلاق وثقافة الشعوب[5].

(1)- القديس أوغسطين، المصدر السابق، الكتاب السادس، الفقرة 5، ص288.

(2)- فراس السواح، **دين الإنسان** بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات علاء الدين، دمشق، 1994، ص57،58.

(3)- خزعل الماجدي، (بخور)، المرجع السابق، ص58.

(4)- ميرسيا إيلياد، **الأساطير والأحلام والأسرار**، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 2004، ص22.

(5)- Bronislaw Malinowski, **Magic Science and Religion and other Essays**, The Free Press Glencoe Illinois, 1948 , p119, 123.

ب. أنواعها:

تعتبر الأسطورة نموذجاً من نماذج التعليل تنطوي على رؤية تجزيئية للعالم، لأنها وسيلة تعليلية لذهن يدرك الأشياء كوحدات منعزلة، يسعى إلى تفسيرها من دون وعي بارتباطاتها بالأحداث الأخرى، وهذا ما جعل لكل حادث تفسيره الخاص القائم على إيجاد علاقة رئيسية مباشرة بقوى تصوِّرها الأسطورة بشكل قصصي، والدراسات التي تُعنى بالأسطورة جعلت لكل منها ميدانها الخاص وخصائصها[1]، ومن ذلك تباينت التقسيمات التي اعتمدوها لإبراز أنواعها:

ب.1. الأسطورة الكونية (Creative Myth): وهي أسطورة تختص بتصوير خلق الكون[2]، اعتماداً على التأمل في ظواهر الكون والطبيعة ومحاولة من الخيال لفهم العالم وظواهره، ومثال على الأسطورة الكونية موجود في كل الحضارات القديمة مثل أسطورة التكوين البابلية التي تصوِّر كيف خلق الكون وأصله وكيف خلق الإنسان والنزاع بين الآلهة[3]، وهناك من يجعل الأسطورة الكونية وحدها تتحدث عن خلق الكون وهناك من يضيف لها الأسطورة التعليلية ويدمج معها كل الأساطير التي تبحث عن تفسير وتعليل حدوث هذه المظاهر ويسميها الأسطورة الطبيعية التكوينية التعليلية[4].

ب.2. الأسطورة الدينية أو الطقوسية (Rituel Myth): هي الأسطورة التي تعالج طقوس العبادة وترتبط بها ويذهب البعض إلى أن الأسطورة كانت نمطاً من أنماط طقوس العبادة، فقد بدأت في شكل مسرحية وما فيها من أصوات ورقصات إيمائية، ثم تحوَّلت إلى أناشيد دينية ثم حفظت في شكل نقوش تصويرية ثم كتابية وانتقلت بين الحضارات كذلك[5]، ويقول في ذلك جيمس فريزر أن الأسطورة نتاج طقس ديني مرّ عليه زمن طويل، وذلك ما صعّب الاتصال بممارسيه، وفي إطار البحث عن تفسير له تحل الأسطورة المشكلة، وتعطي له تفسيراً ليظل الطقس مبجلاً عند ممارسيه ومثال على

(1)- صلاح فليفل الجابري، "الدين والاسطورة والعلم مستويات مختلفة للفهم والتأويل"، **فلسفة الدين** مقول المقدس بين الإيديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 2012، ص29.

(2)- نبيلة إبراهيم، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار النهضة، مصر، (د.ت)، ص17.

(3)- فضيلة عبد الرحيم حسين، **فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ**، دار اليازوري، الأردن، 2009، ص32، 33.

(4)- اسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص 58.

(5)- نفسه، ص55.

الأسطورة الطقوسية نذكر أسطورة أوزيريس[1] المصرية التي ظلت تمارس كطقس عند اعتلاء الملك العرش على أساس أن أوزيريس استرجع العرش من أخيه ست[2].

ب.3. الأسطورة الرمزية (Symbolic Myth): وتأتي كقصة تعتمد على الإيحاء يلعب فيها الآلهة وأنصاف الآلهة وبعض الشخصيات المميزة كالملوك الأدوار الرئيسية، فهي تخاطب العقل من خلال الرواية الترميزية التي تُصاغ غالباً ضمن قالب شعري غنائي، فالأسطورة الرمزية تتوسط بين الواقع والحلم وتميل إلى الخرافة[3]، وهي أكثر تعقيداً من الأسطورة الطقوسية لأنها تعبِّر عن فكرة دينية أو كونية مثل أسطورة "أدابا"[4] التي يظهر فيها الرمز متجسداً في الريح للدلالة على القوة والبطش، فهي القدر الذي يترصد الإنسان[5].

ب.4. الاسطورة التاريخية (Historical Myth): ظهر تصنيف هذه الأسطورة بعد اتفاق مجموعة من المفكرين على أن الأسطورة أساسها أحداث تاريخية، وأن الآلهة هم أشخاص عاشوا في تلك الحقبة من الزمن، ومنهم من يردها إلى أنها نص من عبادة الأسلاف مثل أسطورة الملك السومري "دموزي"[6]، ولكن تجدر الإشارة إلى صعوبة استنتاج الحدث التاريخي الذي بنيت حوله الاسطورة،

---

(1)- **أسطورة اوزيريس**: اسطورة إله النيل والمحاصيل ابن إله الأرض جب وإلهة السماء نوت، زوجته ايزيس إلهة السحر اعادت زوجها للحياة بعد ان قتله اخوه ست، وانتقم ابنه حورس لموته واسترجع حكم اباه. أنظر:

E. O. James, **the Tree of life An Archeological Study**, E.J. Brill Leiden, Netherlands, 1966, p7.

(2)- James George Frazer, **The Golden Bough** A Study of Magic and Religion, Temple of Earth Publishing, New York, 1953, p420.

(3)- اسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص56،57.

(4)- **أسطورة أدابا**: من المؤلفات الادبية البابلية، ويدور موضوع الاسطورة حول أصل الشر وطبيعة الإنسان وحتمية الموت ومسألة الخلود وعلاقة الإنسان بالآلهة، عثر على أقدم الواحها في تل العمارنة ويعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. أنظر: طه باقر، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ط1، بيت الوراق، بغداد، 2010، ص 166. أنظر كذلك:

G. Lieck**, A Dictionary of ancient Near Eastern Mythology**, London, 1998, p2,3.

(5)- فضيلة عبد الرحيم حسين، المرجع السابق، ص38.

(6)- **أسطورة دموزي**: هي قصيدة سومرية من النصوص الأدبية التي تدور حول الآلهة عشتار أو إنانا وعشاقها إله راع يسمى تموز أو دوموزي ونافسه في ذلك الإله المزارع "انكميدو"، وتقدَّم كل منهما بقربان لها من منتجاته فقبلت تقدمة دوموزي الراعي وتزوجته ولم تقبل تقدمة منافسه. أنظر: طه باقر، المرجع السابق، ص208، 209. أنظر كذلك: فراس السواح، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق، ص381.

لأن بداية البشرية كانت تأخذ من الحادثة التاريخية وتضخمها بحيث لا يُسمح لها أن تقارن بالمنطق الحالي، والأسطورة التاريخية لم تعالج الماضي فقط بل حاولت أن تتدخل في صناعة المستقبل من خلال المعتقدين بصحتها ودورهم في صناعة الأحداث التاريخية اللاحقة[1]، وهناك من يسميها الأسطورة الحضارية على أساس أنها تتناول صراع الإنسان مع الحياة، وإصراره على الانتقال من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية[2]، وأهم مثال لهذه الأسطورة الأساطير التي زخر بها الكتاب المقدس، والتي تخدم فكرة مازالت إلى يومنا هذا تجد من يصغي لها وهي العنصرية.

كانت المصطلحات والمفاهيم التي لها علاقة بالموضوع مباشرة، للإحاطة بها واعطي لمحة عنها لتساهم في فهم الموضوع وتأصيله، كونها في الحقيقة تمثل مصادر للموضوع؛ فالتوحيد وما يقابله من تعدّد الآلهة التي آمن بها سكان وادي الرافدين خلص إلى البحث عن أنموذج للدعوة التوحيدية من جهة في ظل الوثنية التي سادت المنطقة من جهة اخرى، وكان ذلك بالاستشهاد بنصوص التوراة أولا وآيات القرآن ثانيا ومقارنتها بما خلّفه سكان وادي الرافدين من رقم طينية وما جاء فيها من أساطير، فجاءت بذلك دعوة نبي الله نوح عليه السلام لقومه وما ارتبط بها من عقاب، وهو الطوفان الذي ظرب المنطقة.

(1)- اسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص ص59-63.

(2)- فضيلة عبد الرحيم حسين، المرجع السابق، ص36.

الفصل الأول: تحديد زمان ومكان نوح عليه السلام.

1. تسمية نوح عليه السلام
2. نسب نوح عليه السلام
3. صفات نوح عليه السلام
4. عمر وزمان نوح عليه السلام
5. عبادة قوم نوح عليه السلام
6. مكان نوح عليه السلام

كانت البشرية منذ آدم أمة واحدة مؤمنة بالله موحدة له[1]، غير أنها لم تستمر على توحيدها لله ﷻ فقد جاءت أجيال انقادت للشيطان وكفرت بالله[2]، فكانت حجّة الله ﷻ ليبعث النبيين مُبشرين ومُنذرين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]، ومن بين الأنبياء الذين أرسلهم الله عزّ وجل نوح عليه السلام[4]، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[5].

وقد ارتبطت دعوة نوح عليه السلام بقصة الطوفان الذي يعتبر حدثاً هاماً في تاريخ البشرية، خصّ الله به قوما ظلموا وبالغوا في ظلمهم، وقد عبّرت عنه الكلمة البابلية (abubu)، ويتمثل في ارتفاع الماء، وقد تصوَّره الأقدمون كونياً، ولم يقتصر على إقليم معين وإنما شمل الكون بأسره، ونظراً لما خلَّفه هذا الحدث في النفس البشرية فقد باتت كلمة (abubu) تعني الدمار[6]، وقد خصص العبرانيون كلمة "مَبّول" العبرانية لطوفان نوح عليه السلام دون غيره[7].

(1)- عن التوحيد الذي يسبق التعدد ونظرية التطور في العقيدة انظر: فرج الله عبد الباري، **موسوعة العقيدة والاديان** العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006، ص ص88-98.

(2)- انظر: أبو بكر محمد زكريا، المرجع السابق، ص182.

(3)- سورة البقرة، الآية: 213.

(4)- عمر سليمان الاشقر، (العقيدة)، المرجع السابق، ص271، 272.

(5)- سورة هود، الآية: 25، 26.

(6)- كارم محمود عزيز، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الادنى**، ط1، دار الحصاد، 1999، ص193.

(7)- وليم مارش، **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم** شرح سفر التكوين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1973، ص 54.

ونظراً لكون الطوفان بات عبرة كما اراد الله له أن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَد أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝١٤ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٥** ﴾[1]، أي أن العذاب حقَّ على قوم نوح عليه السلام[2] لأنهم ظلموا ولم يتّبعوا نبيّهم، والعبرة كانت في السفينة التي جعلها الله عز وجل آية للعالمين أي ظاهرة وباقية[3].

1. تسمية نوح عليه السلام:

عُرف نوح عليه السلام بهذا الاسم في الكتب السماوية، بينما عُرف في الأساطير القديمة التي تناولت موضوع الطوفان بعدة تسميات، سأحاول ذكرها مع إبراز معانيها هذه التسميات كما وردت في مصادرها:

أ. في الأساطير:

وردت رواية الطوفان في مختلف الحضارات القديمة بالرغم من البعد الجغرافي، وقد اختلفت تسمية بطل الطوفان من رواية لأخرى في الحضارة الواحدة، وأخصّ بالذكر أساطير وادي الرافدين، فقد اختلفت تسمية بطل الطوفان من رواية لأخرى؛ ففي الأساطير السومرية سمي بـ"زيوسودرا" (ziu-sud- ra) بمعنى "الرجل الذي طال عمره"[4]، أما في الرواية البابلية فقد وجدت ثلاث روايات فقد سمي في إحداها بـ"أوتا–نبشتم" (Ut-napish- tim) بمعنى "لقد وجدت الحياة" كناية بالطبع على حصوله على الحياة الأبدية[5]، وسمي في أخرى بـ"اترا–حاسيس" (Atra-Hasis) بمعنى الرجل الكثير

(1)– سورة العنكبوت، الآية: 14، 15.

(2)– يقال أن قوم نوح عليه السلام كانوا يسمون بنو راسب. أنظر: محمد علي قطب، **زوجات الأنبياء وأمهات المؤمنين** رضي الله عنهن، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004، ص22.

(3)– ابن كثير، المصدر السابق، ج3، ص2198.

(4)– رعد شمس الدين الكيلاني، **الأنبياء في العراق** دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001، ص169.

(5)– فاضل عبد الواحد علي، **الطوفان في المراجع المسمارية**، جامعة بغداد، 1975، ص39.

الإحساس والعاطفة أو مفرط الحس مع الحكمة[1]، وجاء في رواية بيروسوس[2] باسم "اكسيسوثروس" (Xisuthros) ويرى البعض أنه تحريف يوناني لاسم "زيوسدرا" بطل الطوفان السومري[3].

ويظهر الاختلاف اللفظي للتسمية بين ما ورد في أساطير وادي الرافدين وما جاء في الكتب السماوية، غير أن معنى الاسم يبقى واحداً، وصفاته متشابهة كما سيأتي الذكر، فمن خلال ترجمة التسميات السابقة يظهر أنها تشترك في المعنى، لكونها صفات بطل اختارته الآلهة لينقذ البشرية من طوفان هالك لورعه وتقواه وحكمته البالغة.

ب. في التوراة:

ذُكر نوح عليه السلام في التوراة واحد وأربعون مرة، وقد اختلفت معاني الاسم التي وردت عند أهل الكتاب، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن نوح اسم سامي[4] ومعناه "راحة"[5]، لأنه سيريح الناس، كما جاء في النص: [**وَدَعَا اسْمَهُ نُوحاً قَائِلاً: «هَذَا يُعَزِّينَا عَنْ عَمَلِنَا وَتَعَبِ أَيْدِينَا بِسَبَبِ الأَرْضِ الَّتِي لَعَنَهَا الرَّبُّ»**][6]، وتعزية نوح كانت من الكلمات التي تعهّد بها الله بعد الطوفان أن لا يلعن

---

(1)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص169.

(2)- **بيروسوس "برعوشا"**: كاهن ومؤرخ وفلكي كلداني ولد في بابل في 330 ق.م هجر مسقط رأسه ليقيم في جزيرة كوس، حيث افتتح مدرسة لتعليم الفلك، كتب "برعوشا" قرابة العام 280 تاريخا عن بابل استند فيه الى المراجع القديمة لم يصلنا منها إلا ما نقله يوسيفوس وأوزابيوس القيصري وغيرهما من المؤرخين القدامى، يحتوي المجلد الأول على وصف جغرافي لبابل ومنطلق الحضارة فيها وملحمة الخلق، ويحتوي المجلدان 2 و3 على تاريخ بابل وأشور مع سلسة ملوك ما قبل الطوفان ثم قصة الطوفان ثم عودة الملكية فسلسلة ملوك ما بعد الطوفان فتاريخ خمس سلالات ملكية وتجدر الإشارة إلى أن معظم روايات برعوشا تأكدت صحتها باكتشاف نصوص مسمارية جاءت تؤيدها. انظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص219.

(3)- U. Cassuto, **A Commentary of the Book of Genesis**, trad: Israel Abrahams, part 2 from Noah to Abraham, the Manges Press the Hebrew University, Jerusalem, 1963, p14.

(4)- **سامي**: مصطلح أطلق على الأقوام العربية التي هاجرت من جزيرة العرب، أوجده المستشرق الألماني "شلوتزر" (1781م) على المتكلمون بإحدى لغات العائلة السامية كالعربية والعبرانية والأكادية والآشورية والآرامية والكنعانية، بناءً على تشابه هذه اللغات، وظناً منه أنهم ينحدرون من نسل سام بن نوح عليه السلام، كما تجدر الإشارة إلى أن مصطلح الساميين جاء نسبة إلى أحد أبناء نوح عليه السلام فكيف لأب أن يُكنّى باسم ابنه. أنظر: Georges Roux**, la Mésopotamie,** Éditions du Seuil, 1995, p172. أنظر كذلك:

Adolphe Lods**,** Histoire des Religions **La Religion d'Israël**, Librairie Hachette, Paris, 1939, p7, 8.

(5)- بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص982.

(6)- سفر التكوين (5: 29).

الأرض مرة أخرى[1]، كما جاء في الآيات: [**20وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، 21فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ.**][2].

ويذكر لويس جنزبرج أن سبب تسمية "نوح" بـ"المريح" لأن في حياته استراحت الشمس والقمر، وأضيئت السفينة بحجر كريم كان أشد ضوءً بالنهار منه في الليل، ليتمكن نوح من تمييز النهار عن الليل[3]، مع أنه سمي كذلك قبل أحداث السفينة، وقبل هذه التعليلات غير المنطقية المعروفة في الروايات التوراتية، وجاء أيضا أن اسمه كان "نحموليل" (Na-ah-mu Liel)[4]، في حين يترجم البعض الآخر الاسم "نوح" (Noah) إلى "نواش" (Noach) وفق اللغة العبرانية القديمة التي كتب بها الكتاب المقدس، وهو يتكون من حرفان هما "نون" (Nun) و"شد" (Ched)، وتعني الطوفان البدائي، غير أنها لم تحوِ حروفاً متحركة ما يجعل إمكانية نطقها خطأ[5].

ج. في المصادر الاسلامية:

جاء ذكر "نوح" عليه السلام في القرآن الكريم في عدة مواضع؛ كما نزلت سورة كاملة باسمه، وقال المفسرون أن اسمه "يشكر"، وقد سمي "نوحا" لنواحه مدة خمسمائة سنة خوفاً من الله تعالى ولحسرته على ضَلال أمته[6]، وقد سمي كذلك لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فأهلكوا فندم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾** ﴾[7].

---

(1)- منصور عبد الحكيم، **طوفان نوح عليه السلام** في القرآن والأساطير القديمة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2012، ص30.

(2)- سفر التكوين (8: 12).

(3)- لويس جنزبرج، **أساطير اليهود** أحداث وشخصيات العهد القديم من بدء الخليقة إلى يعقوب، تر: حسن حمدي السماحي، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2007، ، ص155.

(4)- Leonard Woolley, **Abraham** découvertes récentes sur les origines des Hébreux, trad: A et H. Delavaud, Payot, Paris, 1949, p176.

(5)- جاري جرينبرج، **101 اسطورة توراتية** وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي، تر: دينا إمام، ط1، دار العين، القاهرة، 2013، ص101.

(6)- السيد حسن اللواساني، **تواريخ الأنبياء**، ط1، مؤسسة الوفاء، لبنان، 1984، ص27.

(7)- سورة نوح، الآية: 26.

في حين ينفي البعض أن اسم نوح كان عربياً، ويرجّح أنه اسم أعجمي، ولا صلة له بالبكاء والنواح في العربية[1]، ويقول المقدسي أن اسمه "سكن" لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم عليه السلام[2]، على الرغم من وجود نبيين بينهما وهما شيث وإدريس[3] عليهما السلام.

وقد جاء أن معنى اسم "نوح" هو "الإناخة" بمعنى الإقامة، وجاء في لسان العرب أن "النوخة" بمعنى الإقامة والمكوث في الأرض[4]، ويثبت أصحاب هذا الرأي ذلك بقولهم أن القدماء زمن "نوح" لم يعرفوا حرف "الخاء" ولفظوها "حاء" فنطق "نوح" بدل من "نوخ"[5]، وبذلك يفسرون اقتران اسمه بالمكوث لطول لبث "نوح" عليه السلام في الأرض؛ فقد جاء في القرآن الكريم أن زمن دعوته فقط كان ألف سنة إلا خمسين عاماً لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ** ﴿١٤﴾ ﴾[6].

(1)- صلاح عبد الفتاح الخالدي، **مواقف الأنبياء** في القرآن تحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، (د.ت)، ص59.

(2)- مظهر بن طاهر المقدسي، **البدء والتاريخ**، ج3، مكتبة المثنى، بغداد، 1965م، ص151.

(3)- يتفق علماء التفسير على أن إدريس أو ما سمي في الكتاب المقدس "أخنوخ" هو جد نوح عليه السلام، وأنه ثالث الأنبياء بعد آدم وشيث عليهما السلام. أنظر: ابي الفداء اسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية** مبدا الخليقة وقصص الأنبياء، تح: محي الدين ديب مستو، ج1، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 2010، ص154. كما يذكر هذا النبي في سلسلة الأنبياء الذين التقى بهم الرسول ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج، حيث التقى به في السماء الرابعة وقال (مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح). أنظر: محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم البستي (ت254هـ)، **الثقات**، تح: السيد شرف الدين أحمد، ج1، ط1، دار الفكر، سوريا، 1975م، ص 101.

(4)- ابن منظور، المرجع السابق، ص4571.

(5)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص ص29- 32.

(6)- سورة العنكبوت، الآية: 14.

2. نسب نوح عليه السلام:

لم يرد في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة أية تفصيلات عن نسب سيدنا نوح عليه السلام، ما جعل العديد من الدراسات ترجع في ذلك إلى مدونات أهل الكتاب، خاصة وأن التوراة قد فصّلت في ذلك، ما ترك المجال خصباً للإسرائيليات ومن يعتمد عليها في التطرق لذلك.

أ. في الأساطير:

تجدر الاشارة إلى أن نسب بطل الأسطورة لم يكن معروفاً في كل الأساطير تقريباً فلم يرد في الأسطورة إلا ذكر والده، فمثلا نجد زيوسدرا ابن الملك "أوبار-توتو" ويُرجّح أنه كان يحكم "شوروباك"[1] بناءً على ما جاء في قوائم سلالات الملوك الذين حكموا قبل الطوفان[2]، كما ورد في ملحمة جلجامش أن "اوتا-نبشتم" هو ابن "اوبار-توتو" و"أكسيسوثروس" ابن "اردیتیس" الذي يُرجّح أنه أيضا اسم محرف عن الاسم البابلي "اوبار-توتو"[3].

ب. في التوراة:

فصّلت التوراة في ذكر نسب نوح عليه السلام [4] وذكرت أن "آدم" كان الجد العاشر له فقيل هو: **[نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم أبي البشر»، أمه هي "بنتوس ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم]**[5].

---

(1)- **شوروباك أو فارة (Fara)**: مدينة تقع ما بين بابل وأور على طول نهر الفرات، تقع اليوم في "قفريباب" على بعد 30 ميل إلى 40 ميل إلى الشمال الشرقي من أوروك. أنظر:

H. Donald Daae P. Geol, **Bridging the Gap the 7 th Day** who was Early Man vol2, Library Of Congress, USA, 2010, p173.

أنظر كذلك: فؤاد جميل، **الطوفان في المصادر السومرية والبابلية الاشورية العبرانية**، المركز الاكاديمي للأبحاث، العراق، 2014، ص44.

(2)- قاسم الشواف، **ديوان الأساطير**، ج2، ط1، دار الساقي، بيروت، 1997، ص277.

(3)- طه باقر، **ملحمة جلجامش**، ط2، دار الوراق، لندن، 2009، ص243، 244.

(4)- أنظر: سفر التكوين (5: 3-31).

(5)- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري**، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 108. أنظر كذلك: ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الثعلبي (ت427هـ)، قصص الأنبياء المسمى **عرائس المجالس**، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص54.

ج. في القرآن الكريم:

لم يتطرق القرآن الكريم إلى نسب "نوح" عليه السلام فالإشارة الوحيدة التي وردت في القرآن الكريم لوالدي "نوح" عليه السلام كانت مرة واحدة وبدون ذكر الأسماء، وذلك عندما استغفر لهما في دعائه على لسان نوح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ **رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا** ﴾[1].

ويُرجَّح أن نوح عليه السلام كان من أشرف الأسر، ويعلِّل عبد الحليم محمود ذلك أن سنة الله سبحانه وتعالى أن يبعث الرسل في أحساب قومها، وذلك لأن يكون للرسول أسرة ذات شوكة ومنعة تحميه من أذى الكفار حتى يبلِّغ الرسالة ويتم إكمال دينه وملته[2]، بدليل ما جاء في حديث الرسول ﷺ عن أبي كريب قال: «حدَّثنا عبده وعبد الرحيم عن محمد بن عمرو نحو حديث الفضل بن موسى إلا أنه قال: ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه»، وتعني الثروة الكثرة والمنعة[3].

د. زوجته وأولاده:

جاء ذكر زوجة نوح عليه السلام في التوراة في عدة مواضع وفي إصحاحات مختلفة، ففي كل مرة يذكرها يقرنها بأبنائه وركاب الفلك كما جاء في أمره له بصعود الفلك مع أهله، كما جاء في الآية: [18**وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ**][4]، وجاء ذكرها في موضع آخر بعد أن نفّذ نوح عليه السلام أمر الله، وصعد مع أهله إلى الفلك وهم بنوه وزوجاتهم بالإضافة لزوجته، كما يظهر في الآية: [7**فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ.**][5]، وجاء في نفس السياق في إصحاح آخر ذكر أبناءه بأسمائهم سام وحام ويافث كما جاء في الآية: [13**فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ**

(1)- سورة نوح، الآية: 28.

(2)- عبد الحليم محمود، **قصص الأنبياء** في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 2010، ص65.

(3)- أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت679 هـ)، **الجامع الكبير**، تح: بشار عواد معروف، م5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص193. باب ومن سورة يوسف، (رقم الحديث: 3116)

(4)- سفر التكوين (6: 18).

(5)- سفر التكوين (7: 7).

نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ.][1] وجاء في الآية بعد الطوفان أمر الله له بالخروج من الفلك مع امراته وبنيه ونسوتهم: [**16**«**اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ.**][2]، وجاء في نفس الإصحاح تأكيد طاعة نوح عليه السلام لأمر الله، ومن معه بما فيها زوجته كما جاء في الآية: [**18فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ.**][3].

وقد وصف القرآن الكريم زوجة نوح عليه السلام بالخيانة، غير أنه لم يشر إلى اسمها فقال: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ** ﴾[4]، ويذكر الطبري أن بن عباس رضي الله عنه عندما سُأل عن خيانة زوجة "نوح" عليه السلام قال: إنها لم تكن خيانة بالزنا[5]، ويذكر القرطبي أن امرأة نوح عليه السلام كانت تقول للناس: "أنه مجنون"، وأن امرأة لوط كانت تخبر بأضيافه، وأن خيانتهما في الدين، وكانتا مشركتين، أو منافقتين، أو أن خيانتهما النميمة إذا أوحي إليهما شيء أفشتاه إلى المشركين[6].

ويذكر في هذا الصدد عبد الحليم محمود أن النظام الإلهي في الزواج أن تكون الزوجة سكناً لزوجها، وأن تكون مودة ورحمة، فإذا كانت سبباً في الضيق والسوء والشر فإنها تكون خائنة أي انحرفت عن الوضع الإلهي الخاص بالزواج، وهذه الخيانة قد تكون بالأمر الهيّن في الوضع العام للزواج حين يكون الزوج من الأفراد العاديين، ولكنها تبلغ الذروة في السوء حينما يكون الزوج من النبيين

(1)- سفر التكوين (7: 13).

(2)- سفر التكوين (8: 16).

(3)- سفر التكوين (8: 18).

(4)- سورة التحريم، الآية: 10.

(5)- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 ه)، **تفسير الطبري** جامع البيان عن تأويل أي قرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ج23، ط1، هجر، القاهرة، 2001، ص111.

(6)- أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671ه)، **الجامع لأحكام القرآن** والمبين لما تضمنته من سنة وأي فرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، ج21، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2006، ص103.

والمرسلين، لأنها آنذاك تصل الخيانة إلى الرسالة في حد ذاتها، فتكون الخيانة كفراً، وقد كانت خيانة امرأة نوح عليه السلام كفراً به وبرسالته[1].

ويذكر المفسّرون أن زوجة "نوح" عليه السلام لم تكن ممن آمن معه، وقد ورد اسمها أحياناً "واعلة" وذكرت أحيانا أخرى "واغلة"، وهي التي ولدت له "كنعان"، وبقيت على كفرها بدعوته، ويقول بن الأثير: «أن اسمها "عزرة ابنة براكيل بن محويل بن أخنوخ بن قين بن آدم"»[2]، أما بن اسحاق فيذكر أن "نوح" عليه السلام نكح "بن لمك عمذرة ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم" وهو ابن خمسمائة سنة فولدت له سام وحام ويافث[3]، ويذكر القرطبي في تفسيره أن اسمها كان "والهة"[4]، في حين يذكر محمد علي قطب أن زوجة نوح عليه السلام كان اسمها "والغة"، وأن خيانتها تمثلت في أنها كانت عيناً لقومها على نوح عليه السلام [5].

ويبقى الأهم أن زوجة نوح عليه السلام لم تكن على ملّته، وهلكت مع الكافرين كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠** ﴾[6]، وبما أن زوجة نوح عليه السلام كانت من الكافرين فقد وجب عليها العذاب الذي ألحقه الله بالكافرين وكانت مع الهالكين، وهو الذي يوضّح نهاية الكافرين مع الذين ظلموا أنفسهم، كما ورد في الآية قوله تعالى: ﴿ **فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ**

(1)- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص81، 82.

(2)- محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير (ت630 هـ)، **الكامل في التاريخ**، تح: ابي الفداء عبد الله القاضي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص52.

(3)- محمد ابن اسحاق، **المبتدأ في قصص الأنبياء**، تح: محمد كريم الكواز، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2006، ص76.

(4)- القرطبي، المصدر السابق، ص102.

(5)- محمد علي قطب، المرجع السابق، ص24.

(6)- سورة التحريم، الآية: 10.

﴿ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾[1].

ويحاول البعض ممن يرون نجاة زوجة نوح -تيمناً بما جاء في التوراة- الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾[2]، على أنه قصد زوجته أيضاً ويقرنها بآية من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ ﴾[3]، وقد جاء في تفسير الطبري أن امرأة العزيز أشارت إلى مراودة يوسف لها بقولها "من أراد بأهلك سوءاً" يعني بزوجتك الفاحشة ولا ذكر هنا للأولاد[4]، في حين يحدّد الله سبحانه وتعالى في نفس الآية ويتبع "أهلك" بـ"إلا من سبق عليه القول" استثناءً للذين لم يتبعوا دعوة نوح عليه السلام وهما زوجته وولده[5].

أما فيما يخص أبناء نوح عليه السلام فقد تكلّمت التوراة بشكل مفصّل عنهم، فيما عدا ابنه الذي رفض أن يركب معه الفلك، وورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ ﴾[6]، ويذكر محمد علي قطب أن نوح عليه السلام كان له قبل

(1)- سورة المؤمنون، الآية: 27.

(2)- سورة هود، الآية: 40.

(3)- سورة يوسف، الآية: 25.

(4)- الطبري، (تفسير)، المصدر السابق، ص103.

(5)- محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت1393 هـ)، **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**، ج3، دار عالم الفوائد، (د.م.ن)، (د.ت)، ص32.

(6)- سورة هود، الآية: 42، 43.

أن يُبعث نبياً "يام وحام ويافث" وابنة اسمها "عابر" توفيت قبل الطوفان[1]، ويورد ابن كثير أيا مخالفاً بأن نوحاً عليه السلام لم يولد له قبل الطوفان إلا كنعان الذي غرق وعابر مات قبل الطوفان[2].

وجاء ذكر أبناء نوح عليه السلام الباقين في التوراة لأكثر من اثنتين وعشرين مرة وهم "سام" و"حام" و"يافث"، وورد تفصيل نسلهم وأبنائهم، يقول العهد القديم: [**32وَكَانَ نُوحٌ ابْنَ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ. وَوَلَدَ نُوحٌ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ**][3]. [**10وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ.**][4].

في حين جاءت في القرآن الكريم إشارات مقتضبة حول ذرية "نوح" عليه السلام، فأحيانا يعبّر عنهم بمصطلح "ذريته" مثل قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ** ﴾[5]، وأحيانا يذكرهم "بأهله" بما فيهم أبناءه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ﴾[6].

3. صفات نوح عليه السلام:

اختلفت صورة نوح عليه السلام بين الأسطورة وبين ما جاء من وصفه في القرآن الكريم وما جاء في التوراة، وسأحاول فيما يلي أن أدرج الصفات التي اتصف بها في الأساطير وصفاته من التوراة والقرآن والسنة.

أ. في الأساطير:

تشابهت صفات المنقذ من الطوفان في أساطير وادي الرافدين، ويظهر ذلك كما سبق وذكرت في التسمية التي استمدت من صفاته، ففي كل مرة تظهره الأساطير بأنه رجل طاهر ورع متعبد تقي وصالح، كما ورد في الأسطورة السومرية أن "زيوسدرا" كان ملكاً صالحاً وتقياً، وكذا "اترا-حاسس"

(1)- محمد علي قطب، المرجع السابق، ص24.

(2)- أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، **قصص** الأنبياء، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار الفيحاء، دمشق، 2005، ص98.

(3)- سفر التكوين (5: 32).

(4)- سفر التكوين (6: 10).

(5)- سورة الصافات، الآية: 77.

(6)- سورة المؤمنون، الآية: 27.

البابلي الذي يحمل اسمه معنى الرجل الكثير الإحساس والعاطفة، أو مفرط الحس مع الحكمة[1]، وبالتالي لُقب بـ"المتناهي في الحكمة" أو "واسع الحكمة"، والحكمة لا تُعطى لأي شخص، بل لشخص مميز[2].

ب. في التوراة:

صوّرت التوراة نوح عليه السلام على أنه شارب للخمر لدرجة الثمالة والكفر بالله[3] تارة كما جاء في النص: [**[20]وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. [21]وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. [22]فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. [23]فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. [24]فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، [25]فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». [26]وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. [27]لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ».**][4]، وملخص القصة التي وردت في التوراة أن "حام" أبصر عورة[5] أبيه فقال لأخويه، فأخذ "سام" و"يافث" الرداء وسارا ووجهيهما إلى الوراء وستراه[6]، وكان من نوح عليه السلام بعدما أفاق من سُكره أن لعن حفيده كنعان، وجعله عبداً لأبناء سام[7].

وكيف لنوح عليه السلام أن يأخذ كنعان بذنب حام وهو نبي ومن صفاته الحكمة؟ كما أن التوراة جاءت بآيات تدل على عدم محاسبة الابن على أفعال أبيه، مثل الآية: [**[20]اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ.**][8].

---

(1)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص169.

(2)- سعيد الغانمي، **اترا- حسيس ملحمة الخلق والطوفان**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2008، ص19.

(3)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص92،93.

(4)- سفر التكوين (9: 20 –27).

(5)- ويفسر الكتاب المقدس العورة بأنه ما يستره الانسان من أعضاءه. أنظر: **شروح مصطلحات الكتاب المقدس**، ص 29.

(6)- حنا حنا، **دراسات توراتية**، ط2، دار رام، دمشق، 2006، ص373،374.

(7)- Madeleinne. S. Miller and J. Lane Miller, **Harper's Bible Dictionary**, Harper's & Row Publisher's, London, (s.d), p34.

(8)- سفر حزقيال (18: 20).

ويذكر محمد علي البار أن التوراة المحرَّفة ترسم صورة مشوهة لنبي الله نوح عليه السلام، يشرب الخمر حتى يسكر ويتعرى ولا يشعر بنفسه، فيدخل ابنه حام –وهو الابن الأصغر حسب كلام التوراة– ويخبر أخويه الأكبر منه سناً، سام ويافث، فيدخل هذان على أبيهما ويغطيان عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها، وهو عمل حسن منهما، وعندما يفيق نوح عليه السلام ويعلم بما فعل حام، يلعن كنعان ابن حام، الذي لا دخل له في هذا الموضوع البتة، ويجعله عبد العبيد لأبناء سام[1]، ويظهر ذلك تشويه التوراة المحرفة لصورة نبي بشكل قبيح[2]، كما أنها قد لوَّثت صورة الله ذاته تعالى[3].

استطاعت التوراة بهذه الرواية أن تضرب عصفورين بحجر واحد، وهو حثّ اليهود على استعباد شعوب وادي النيل من المصريين والسودانيين والحبش، بزعم أن جدهم حام باء بلعنة من أبيه نوح عليه السلام من جهة، وتحريضهم من جهة أخرى على استحواذ على أرض العرب اصحاب فلسطين بزعم أن جدهم كنعان باء بلعنة من جده نوح عليه السلام[4].

ويذكر مفسري التوراة أن الله أراد أن يبيّن من خلال إدراج هذه الآية في الكتاب أنه حتى الرجال الأتقياء يمكن أن يخطئوا أو أن تأثيرهم السيء يمتد إلى عائلاتهم، ومع أن الأشرار قد هلكوا مع الطوفان، إلا أن إمكانية حدوث الشر موجودة في قلوب البشر، ويضيف في تفسيره للعنة نوح عليه السلام لكنعان أنها ليست تمييز عنصري، بل إن لعنة نوح عليه السلام لم تكن موجهة لجنس معين من البشر، بل إلى

---

(1)- والسبب في ذلك أن مؤلفي التوراة المحرفة أرادوا أن يثبتوا دعاواهم في فلسطين أرض الكنعانيين، فاختلقوا هذه القصة وهذا الإفك المشين، ولوثوا صورة نوح عليه السلام، والغريب حقا أن يقوم نوح السكران الذي تعرى بلعن حفيده كنعان الذي لا دخل له في هذه الجريمة التي اقترفتها يدا نوح نفسه! كما أعلن نوح عليه السلام بركاته على سام جد اليهود، كما يعتقدون، وجعل كنعان عبدا لسام، وبالتالي ينبغي أن يكون جميع أهل فلسطين عبيدا لليهود، وأرض فلسطين تكون من نصيب أولاد سام، والمقصود من ذلك قطعا اليهود. أنظر: محمد علي البار، **الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام** في التوراة والعهد القديم دراسة مقارنة، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1990م، ص68.

(2)- نفسه، ص65.

(3)- شوّهت اليهود صورة الله عزّ وجل وورد ذلك في التوراة المحرفة بأنه قاتل كما جاء في سفر العدد (15: 32-36)، سفر الخروج (4: 22- 23/ 12:29/ 20: 5)، وأنه عنصري وهذه الاخيرة تخول لليهود استعباد الغير وامتلاكهم وتستبيح لهم الظلم بأنواعه كما ورد في سفر التثنية (23: 19) إلى غير ذلك من الصفات القبيحة التي تمادوا بها في وصفه سبحانه تعالى عن كل ذلك. أنظر: حنا حنا، المرجع السابق، ص ص237-242.

(4)- عصام الدين حفني ناصف، **اليهودية في العقيدة والتاريخ**، ط1، دار المعاط الجديد، القاهرة، 1977، ص171.

الأمة الكنعانية التي كان الله أعلم بأنها ستصبح شريرة ورديئة، وقد تحقّقت اللعنة عندما دخل بنو إسرائيل الأرض الموعودة وطردوا الكنعانيين منها[1].

وتارة أخرى وصفت التوراة "نوح" عليه السلام بأنه بار بربه، وأنه وجد نعمة في عيني الرب[2]، كما جاء في موضع آخر: [8**وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. 9هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ**][3]، وفي الحقيقة ذلك ليس جديداً على التوراة فقد امتلأت أسفارها بأوامر وأخلاق تتنافى مع الأخلاق التي من المفروض أن يدعو لها الأنبياء مثل النفاق والخداع والغش والسرقة[4].

ج. في القرآن الكريم:

أثنى القرآن الكريم على نوح عليه السلام ووصفه بالقوة والصبر والعزيمة والشجاعة والطاعة لله والارتباط به، فصّنفه من عباده الشاكرين في قوله تعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣** ﴾[5]، ويفسِّرها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري أن نوح كان إذا طعم أو لبس حمد الله فسمي عبداً شكوراً[6]، ولذلك خصّه الله عز وجل بالثناء الحسن في كل أمة لقوله تعالى: ﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[7]، ويفسّر القرطبي الآية بأن الله عز وجل ترك عليه الثناء حسناً في كل أمة[8]، وجعله قدوة النبيين من بعده لقوله تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ**

(1)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص29.

(2)- لواء أحمد عبد الوهاب، **الإسلام والأديان الأخرى** نقاط الاتفاق والاختلاف، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص32.

(3)- سفر التكوين (6: 8، 9).

(4) - Abraham. J. Heschel, **The prophets**, Library of Congress Cataloging- in- Publication Data, New York, 2001, p4.

(5)- سورة الإسراء، الآية: 3.

(6)- العسقلاني، المصدر السابق، ج8، ص256.

(7)- سورة الصافات، الآية: 78-80.

(8)- القرطبي، المصدر السابق، ج18، ص47.

﴿وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1]، وجعله من المحسنين الذين يستجاب لهم الدعاء لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[2]، يتبين من هذه الآيات كيف صنّف الله سبحانه وتعالى نوحاً من العباد المؤمنين المحسنين، وغيره من الكفار جعلهم هالكين.

د. في السنة النبوية الشريفة:

وصف نوح عليه السلام في السنة النبوية الشريفة بأحسن الأوصاف بدليل ما ورد في حديث الشفاعة، حيث قيل له أول الرسل وسماه الله عبدا شكوراً، كما جاء في حديث الرسول ﷺ عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفعت اليه الذراع -وكانت تعجبه- فنهس منها نهسة وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بمن يجمع الله الاولين مع الاخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون الى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة. ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضبا بم يغضبه قبله مثله، ولا يغضبه بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيت. نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً. أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضبه قبله مثله، ولا يغضبه بعده مثله. نفسي نفسي، ائتوا

(1)- سورة الشورى، الآية: 13.

(2)- سورة الصافات، الآية: 75-82.

النبي ﷺ فيأتوني، فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال محمد بن عبيد: لا أحفظ سائره»[1].

أما عن صفات نوح الجسمانية فيذكر الرواندي أن نوحاً عليه السلام كان يميل إلى الأدمة دقيق الوجه، في رأسه طول، عظيم العينين دقيق الساقين كثير لحم الفخذين ضخم السّرة طويل اللحية عريضاً طويلاً جسيماً، وكان في غضبه وانتهاره شدة[2].

4. عمر وزمان نوح عليه السلام:

إن محاولة تحديد عمر وزمن نوح عليه السلام ليس بالأمر الهيّن، فذلك يقتضي الغوص في الكثير من التأويلات، والرجوع إلى ما جاء في الإسرائيليات من جهة، وما أثبته علم الآثار من جهة أخرى، وفي البداية تجدر الإشارة الى أعمار من سبقوه لمعرفة الزمن الذي بُعث فيه نوح عليه السلام.

أ. عمره من التوراة:

جاء في التوراة العديد من التفصيلات فيما يخص نوح عليه السلام لم ترد في أي مصدر آخر، ومن ذلك ما يتعلق بعمر نوح عليه السلام؛ حيث تذكر صراحة في الإصحاح التاسع من سفر التكوين أن عمر نوح عليه السلام كان تسعمائة وخمسون سنة كاملة، كما جاء في الآية: [29**فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.**][3]، ويذكر بن حزم أن التوراة اضطربت في أعمار أبناء نوح فقد ذكرت أن نوحاً لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافث وسام وحام، ولما بلغ ستمائة سنة كان الطوفان، ولسام يومئذ مائة سنة، وقالت بعد ذلك أن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد ارفخشاد لسنتين بعد الطوفان وبالتالي وفق ذلك يكون عمر سام عندما يولد له ارفخشاد مائة وسنتين وليس مائة سنة[4]، وبذلك كيف لها أن تعطي تاريخ صحيح لعمر نوح وهي بعملية حسابية بسيطة تظهر أخطاءها.

---

(1)- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، **صحيح البخاري**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 2002، ص821. (رقم الحديث 3340) كتاب الجهاد والسير.

(2)- قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، **قصص الأنبياء**، تح: غلام رضا عرفانيان، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، 1409هـ، ص84.

(3)- سفر التكوين (9: 29).

(4)- ابي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري (ت406هـ)، **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، تح: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ج1، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص212.

ب. عمره من القرآن والسنة:

لم يرد ذكر عمر سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم، وإنما جاء تحديد المدة التي قضاها فقط في دعوة قومه إلى التوحيد، وكانت تسع مائة وخمسون عاما، لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤** ﴾[1].

أما في السنة النبوية الشريفة فقد جاء ذكر المدة بين آدم ونوح عليهما السلام، عن أبي إمامة أن رجلا قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟ قال: "نعم مكلم"، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: "عشرة قرون"[2]، ويضيف البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) أن بين آدم ونوح عشرة قرون، وبين نوح وإبراهيم عشرة أخرى[3]، وقد اختلفت كتب التفسير في معنى القرون؛ حيث يشير ابن جرير الطبري في تفسيره أن هناك من يفتي في القرن سبعون سنة وهناك من يقول أربعون سنة[4]، وهناك من يقول ثمانون سنة ومنهم من يحدّدها بثلاثون سنة والقرن في الناس أهل زمان واحد أو هو الجيل من الناس[5] بدليل قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١** ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ **وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨** ﴾[7].

ويمكن القول أن كل ما ورد في الفترة الفاصلة بين آدم ونوح عليهما السلام تبقى مجرد تخمينات، فتكون ألفاً وتكون آلافاً من السنين ولا يقين في الموضوع، والملاحظ أنهم لم يعيشوا فترات عيش هذا الزمان، حتى أن البعض حاول أن يجعل من سنوات عيشهم سنين أسر لا أفراد[8].

---

(1)- سورة العنكبوت، الآية: 14.

(2)- علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تح: شعيب الأرناؤوط، ج14، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص 69. (رقم الحديث: 6190).

(3)- أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، **دلائل النبوة** ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلعجي، ج6، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988، ص504.

(4)- الطبري، (تفسير)، المصدر السابق، ج17، ص455.

(5)- عمر سليمان الأشقر، (العقيدة)، المرجع السابق، ص271.

(6)- سورة المؤمنون، الآية: 31.

(7)- سورة الفرقان، الآية: 37، 38.

(8)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص202.

ج. طول أعمار الاولين:

أحدثت مسألة طول الأعمار التي وردت في التوراة وفي قوائم الملوك مشكلة كبيرة؛ الأمر الذي اقتضى تسليط الضوء على ظاهرة طول أعمار الأقوام الأولى، فالتوراة أوردت أن عمر آدم مثلا 930 سنة، وجاء في القرآن الكريم أن عمر نوح أزيد من 950 سنة بحكم أن هذه المدة كانت للدعوة فقط، وجاء في السنة النبوية الشريفة أن عمر آدم كان ألف سنة[1]، وذلك يبيّن أن هذه الأعمار لم تكن فقط للأنبياء بل للجميع وإلا لكان ذلك من معجزاتهم فكانت الحجة كافية لإقناع أقوامهم، وفي تفسير طول أعمار الأقوام الأولى العديد من الآراء[2].

حيث يعتقد البعض ممن لا يؤمنون بطول أعمار الأولين عامة والأنبياء خاصة، أنها كانت أعمار أسرات وليست أعمار أفراد، كما ذهب البعض الآخر إلى أن مؤرخي اليهود حاولوا ملء الفراغ الواقع بين ما عندهم من أسماء في تدويناتهم، وما اعتبروه تاريخاً صحيحاً لخلق الكون، وعوض أن يبتكروا أسماءً جديدة عملوا على الزيادة في أعمار البعض حتى باتت خرافية[3].

ويذكر مفسري التوراة ثلاث تفسيرات مختلفة لطول أعمار الأولين: فالأول يرى أن السلالة البشرية كانت ما تزال نقية في ذلك العصر الباكر، وبالتالي لم تكن هناك الكثير من الأمراض التي تنهي حياة الإنسان، بينما فسّر الرأي الثاني ذلك بأن الأمطار لم تكن قد هطلت وبخار الماء حجز الأشعة الكونية الضارة فقلّت عوامل البيئة الضارة بالإنسان، في حين فسّر الرأي الثالث ذلك بمهمة الإنسان في تعمير الأرض وبالتالي أطال الله أعمارهم ليتسنى لهم ملأ الأرض[4]، وذلك ما ذهب له العديد من العلماء الذين يرون أن الله سبحانه وتعالى عوَّض تلك الأجيال بطول العمر ليكثر العدد، ويستدل البعض في ذلك بما يقابل حياة الحيوانات مثلا السلحفاة يبلغ عمر بعضها مئات الأعوام بينما الذباب الذي يتوالد بالملايين لا تعيش الواحدة منه لأكثر من أسبوعين، وفي ذلك نظام وإلا

(1)- محمد عبد الناصر الألباني، **الجامع الصغير وزيادته**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988، ص837. (رقم الحديث:4560).

(2)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص84.

(3)- نفسه، ص82.

(4)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص22.

لاختل نظام البيئة بزيادة عنصر أو نقص آخر فيكون هلاك الأرض، غير أن الله سبحانه وتعالى بنا ذلك منذ بداية الخليقة على نظام محكم واضح المهام[1].

ويتماشى رأي إعمار الأرض مع الأثر الذي ورد عن ابن عمر عن مجاهد رضي الله عنهما قال: (قال لي ابن عمر –رضي الله عنهما– كم لبث نوح ﷺ في قومه قلت ألف سنة إلا خمسين عاما قال: فإن من كان قبلكم كانوا أطول أعمارا ثم لم يزل الناس ينقصون في الأخلاق والآجال والأحلام والأجسام إلى يومهم هذا)[2]، ورسول الله ﷺ قال في حديث شريف أن أعمار أمة محمد ﷺ بين الستين والسبعين، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»[3].

وذلك ما أكّدته بعض الأبحاث العلمية الحديثة التي درست أعمار البشرية من البداية وافترضت –استنادا إلى حديث رسول الله أن عمر آدم 1000 سنة، وعمر نوح أكثر أو يساوي 950 سنة –كما ورد في القرآن الكريم– وتوصَّلت دراسة المعطيات في دالة لوغارتمية إلى منحى تناقص أعمار الأولين وصولا إلى 65 سنة في الوقت الحالي، وهي ضمن المدة التي حدَّدها رسول الله ﷺ أي ما بين الستين إلى السبعين[4].

د. عصره:

اختلفت الروايات فيما يخص وقت ولادة سيدنا "نوح" ﷺ والعصر الذي عاش فيه، وبما أنه لم ترد نصوص موثوقة تتحدث عن ذلك من القرآن والسنة النبوية الشريفة، لم يبق إلا ما جاء في الإسرائيليات على الرغم مما تتميز به من مبالغات وخرافات، وذلك جعل آراء المؤرخين تتباين فيما إذا كان نوح ﷺ قد ولد في حياة "آدم" ﷺ أو بعد وفاته، والألواح السومرية التي جعلت الطوفان تاريخا

(1)– رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص83، 84.

(2)– السيوطي، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، **الدر المنثور** في التفسير بالمأثور، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج12، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية، (د.م.ن)، (د.ت)، ص456.

(3)– الألباني، المصدر السابق، ص301. (رقم الحديث 349)

(4)– أنظر بحث عمر البشرية ومنحى نقصان عمر الإنسان للباحث السعودي في العلوم الإنسانية والاجتماعية عز الدين كزابر من موقع القرآن والعلم. http://kazaaber.blogspot.com/2012/11/blog-post.html يوم: 2014/01/18 على الساعة: 09:35.

معلمياً لكثير من الأحداث أدرجت في قوائم سلالات الملوك تواريخ حكم ملوك قبل وبعد الطوفان، وبيّنت أن "أوتنا-بشتم" بطل أسطورة الطوفان البابلية عاش بين (2800-2500 ق.م)[1].

أما التوراة فقد حدّدت في شجرة النسب[2] أعمار كل فرد فيها وصولا إلى نوح ﷺ، وتقول أن آدم ﷺ عاش 130 سنة وولد "شيث" الذي عاش 105 سنة وولد "أنوش" الذي عاش 90 سنة وولد عنده "قينان" الذي عاش بدوره 70 سنة وولد "مهللئيل" الذي عاش هو الآخر 65 سنة قبل أن يولد "يارد" الذي عاش 162 سنة وولد "أخنوخ" الذي عاش 65 سنة وولد "متوشالح" الذي عاش 187 سنة ليولد له "لامك" الذي عاش 182 سنة حتى ولد نوح ﷺ[3]، وبعد حساب الأعمار التي جاء ذكرها يمكن القول: أن ولادة نوح ﷺ كانت بعد ولادة سيدنا "آدم" 1056 سنة[4].

وقد جاء في سفر التكوين ان نوح ﷺ كان عمره زمن حدوث الطوفان 600 سنة، كما ورد في الآية: [**11في سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.**][5]، وعلى اعتبار أن عمر نوح كاملا هو 950 سنة كما ورد في التوراة، فيكون زمن حدوث الطوفان هو 1656 سنة بعد ميلاد آدم ﷺ، أما بالنسبة لعمر سيدنا ابراهيم ﷺ، ولأن زمنه وفق جدول الأنساب يعود لـ(1800-1850 ق.م) تقريبا، ومن ذلك يكون زمن حدوث الطوفان يسبق زمن إبراهيم ﷺ بـ292 سنة فقط أي بثلاثة قرون قبل زمن ابراهيم ﷺ[6].

(1)- ستيفاني دالي، **أساطير بلاد ما بين النهرين** الخليقة الطوفان جلجامش وغيرها، تر: نجوى نصر، ط1، بيسان، لبنان، 1991، ص66.

(2)- أنظر: سفر التكوين (5: 3-31).

(3)- سفر التكوين (5: 3-28).

(4)- موريس بوكاي، المرجع السابق، ص62.

(5)- سفر التكوين (7: 11).

(6)- موريس بوكاي، المرجع السابق، ص62،63.

ويذكر موريس بوكاي فيما يخص المعطيات السابقة أن الفترة التي ذكرت فيما يخص عصر سيدنا ابراهيم والطوفان تتماشى مع الفترة التي تسبق الدولة الوسطى في مصر (2100 ق.م) أما في بابل فيتزامن مع أسرة أور[1] الثالثة، وبذلك تكون التوراة في هذا التاريخ خصوصاً قد وقعت في تناقض فمن جهة أغرق الطوفان كل الأرض، ومن جهة نجد حضارات تزامنت مع حدوثه لم يظهر عليها أثر الاندثار أو الانقطاع الحضاري[2]، والظاهر أن تكون الفترات المذكورة غير صحيحة، أو أن يكون الطوفان قد شمل المحيط الجغرافي لقوم نوح عليه السلام فقط.

وتشير التوراة إلى عصر سيدنا "نوح" عليه السلام وتصفه بانتشار الظلم والطغيان، ما جعل الله عز وجل يرى ضرورة معاقبة كل ما على الأرض، يقول سفر التكوين: [**4كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ.5وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».**][3]...[**11وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. 12وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ**][4].

ويذكر لويس جنزبرج أن الأرض قبل "نوح" عليه السلام ضلَّت تعاني لعنة من الله جراء الخطيئة التي جلبها "آدم" عليه السلام، فقد كانت البقرة لا تطيع الحارث وتمرّدت كل القنوات، فإذا بذرت الأرض قمحاً نبت فيها الشوفان، كما أن البحر كان يتجاوز حدوده مرتين يومياً صباحاً ومساءً ليفيض على

---

(1)- **أور (Ur)**: مدينة في وادي الرافدين يطلق عليها اليوم "تل المقير"، تقع على بعد 330 كم جنوب بغداد و240 كم من راس الخليج الفارسي و37 كم الى الغرب منه، تشغل منخفض من الصحراء العلوي، ورد اسمها في التوراة بأنها كانت الموطن الاصلي لإبراهيم عليه السلام. انظر:

Leonard Woolley, **Ur Excavations the Royal Cemetery**, Vol 2, the Aid of A Grant From The Carnegie Corporation, New York, 1934,p1. أنظر كذلك:

Peter G Stone and Joanne Farchakh Bajjaly, **the Destruction of Cultural Heritage in Iraq**, The Boydell Press, United Kingdom, 2008, p152.

(2)- موريس بوكاي، المرجع السابق، ص62،63.

(3)- سفر التكوين (6: 4-7).

(4)- سفر التكوين (6: 11، 12).

الأرض حتى يصل إلى القبور، ولكن بمجيء "نوح" عليه السلام بدأت الأرض تنبت ما يزرع فيها، وعندما بلغ نوح عليه السلام مرحلة الرجولة اخترع المحراث والمنجل والعزاقة وغيرها من الأدوات الزراعية التي لم يعرفها قومه قبله، وتطوَّعت البقرة والأرض وظل البحر قيد حدوده، فتوقف الرب عن إهلاك الأرض[1].

تظهر هذه الرواية أن "نوح" عليه السلام كان المخترع الأول للأدوات الزراعية التي لم يعرفها الإنسان قبلاً، وأن البحر الذي كان يتجاوز حدوده ما هو إلا ظاهرتي المد والجزر، لكن تشوبها الكثير من الخرافات التي نفاها القرآن الكريم؛ مثل أن الله سبحانه وتعالى عاقب الأرض على خطيئة "آدم" عليه السلام كان عقابه بأن أخرجه وزوجه من الجنة السماوية إلى أخرى في الأرض، فيها من الخيرات ما يلبي حاجة بني آدم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾** ﴾[2]، ويؤكد ذلك ما جاء في تفسير هذه الآيات على لسان ابن كثير: «أن المتاع الذي ورد ذكره في الآية قرار وأرزاق وآجال»[3]، كما أن القرآن الكريم يذكر أن الله سبحانه وتعالى غفر لـ"آدم" عليه السلام فعلته في قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾** ﴾[4].

وجاء في المصادر الاسلامية بعض الآراء في ما يخص وقت ولادة سيدنا نوح عليه السلام؛ حيث يذكر الخطيب البغدادي أن "نوح" عليه السلام ولد في حياة "آدم" عليه السلام في الألف الأول من الدنيا التي هي سبعة آلاف سنة، وبعث في الألف الثاني منها[5]، وهناك من قال كان مولده بعد وفاة "آدم" عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة، وبعث وهو ابن خمسين سنة[6]، أو وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، أو ابن

(1)- لويس جنزبرج، المرجع السابق، ص142،143.

(2)- سورة البقرة، الآية: 35،36.

(3)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م1، ص180.

(4)- سورة البقرة، الآية: 37.

(5)- أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (ت463هـ)، **تاريخ الأنبياء**، تح: آسيا كليبان علي البارح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص43.

(6)- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص146.

أربعمائة وثمانين سنة[1]، ويقول الثعلبي في (عرائس المجالس): «أن "نوح" عليه السلام بعث نبياً وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً»[2]، ويضيف البغدادي أن نوح عليه السلام أُرسل إلى قومه وهو ابن أربعمائة وخمسين سنة فدعا قومه، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد هلاكهم خمسين عاماً فذلك ألف سنة وأربعمائة وخمسون سنة، ويرى البعض أن عمره كله كان ألفا إلا خمسين عاما، وقال آخرون بُعث وهو ابن خمسين سنة، ودعا قومه ألفا إلا خمسين عاما وعاش بعد قومه مائتي سنة فعمره كله ألف ومائتا سنة[3].

ويستدل المفسرون على أن زمن نوح كان عصر بداية حضارة، فقد كانت الزراعة مصدراً للمعيشة، كما يظهر من الجنات والتي تمثل الزروع سواء كانت أشجارا أم بساتين أم غيرها[4]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[5].

ويقول عمرو الشاعر: «أن الأموال لم تكن مشاعاً بدليل ترغيب سيدنا نوح عليه السلام لقومه بها، غير أن المال يطلق على كل ما يتمول به من غير العقارات، فالبقر مال والحلي مال أما الشجر والبيوت فعقارات» [6]، ويستدلُّ بالآية في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[7].

كما لمح القرآن الكريم بأن قوم "نوح" عليه السلام كانوا ذوي صناعة أو أن هذه الأخيرة كانت في بدايتها، حيث أنهم لبسوا الثياب، وكما يظهر من فوران التنور الذي يدل على صناعة الفخار، وصناعة الفلك، وبالتالي فالعصر الذي بُعث فيه "نوح" عليه السلام كان فيه استعداد وبدايات تطوير

(1)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص75،76.

(2)- الثعلبي، المصدر السابق، ص54.

(3)- البغدادي، المصدر السابق، ص43.

(4)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص87.

(5)- سورة نوح، الآية: 10-12.

(6)- عمرو الشاعر، **قصص القرآن** قراءة قرآنية، ط1، مكتبة نافذة، مصر، 2013، ص136.

(7)- سورة هود، الآية: 29.

قابليات الانسان نحو الصناعة، كما أن استعمال القار[1] الذي طليت به السفينة كان معروفاً بدليل الفخاريات التي عثر عليها في موقع "جرمو"[2] فقد شاع استعماله في ذلك العصر[3]، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[4].

كما يظهر أن عصر سيدنا نوح عليه السلام كان "مجتمع طبقي"، حيث ينقسم إلى ملأ وأرذال حيث يرضى أكثر الناس بالتبعية ويقوى القلة منهم على القيادة[5]، كما عرفوا صناعة الملابس بدليل استعمالهم للملابس والثياب كما يبرز في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[6].

أما الدراسات الحديثة فقد أكّدت حدوث فيضانات بين عامي 4000 إلى 2000 سنة قبل الميلاد، فيما يسمى بلاد ما بين النهرين[7]، ويشير شوقي أبو خليل إلى أن الحفريات التي حدثت في

(1)- **القار**: سمي عند السومريين بـ"اسير" وعند الاكديين بـ"إدُّو" كما اطلقوا عليه فيما بعد اسم "نابتو" الذي يعتبر مقدمة للفظ "النفط" بالعربية، وأطبق عليه عرب العراق فيما بعد "سيالي" أو "الزفت"، وبالإنجليزية (Bitumen) أو (Asphalt) و"الاوزفلت" اول منتج بترولي استعمله الانسان في التاريخ، أول استعمال له كان في حضارة وادي الرافدين عند العبيديين مستوطني الاهوار لأنه ثبت عندهم مقاومته لتسرب الماء، كما استعمله البابليون كمادة لاصقة في بناء برج بابل. أنظر: عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، **طوفان نوح**، ط1، دار سعد الدين، مصر، 2011، ص ص123-125.

(2)- **جرمو**: مدينة في بلاد ما بين النهرين تعتبر من اقدم التجمعات السكانية المعروفة فإن المعدات الزراعية وأدوات العمل التي وجدت فيها أثناء الحفريات تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص315.

(3)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص ص87- 90..

(4)- سورة نوح، الآية: 7.

(5)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص102، 103..

(6)- سورة هود، الآية: 27.

(7)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص27.

كل من "أور" و"أوروك"[1] و"كيش"[2] و"شوروباك" على وجود فيضانات كان أولها بين عصر العبيد[3] وعصر السلالات الأولى، وفيضان آخر حصل في عصر "جمدة نصر"[4] بالتحديد في أواخره[5].

أما زمن الطوفان حسب ما ورد في قوائم سلالات الملوك وفي ملحمة جلجامش، والذي يرجّح طه باقر أن يكون طوفاناً واحداً، وإذا أخذنا بافتراض أن سلالة كيش حكمت مباشرة بعد الطوفان يقع تاريخها في عصر فجر السلالات[6] الثاني ولاسيما الأطوار الأولى منه، وإن زمن جلجامش في بداية الطور الثالث من هذا العصر فأقرب الاحتمالات أن ذلك الطوفان حدث ما بين دور جمدة نصر وبين عصر فجر السلالات الأول[7].

---

(1)- **أوروك** (**Uruk**): (حاليا الوركاء) تقع جنوب وادي الرافدين من مراكز الحضارة السومرية في أدوار فجر السلالات، ورد اسمها في سفر التكوين في الاصحاح العاشر بـ"ايريخ"، ويرجع تأسيسها الى الالف الخامس قبل الميلاد شهدت أول اكتشاف للكتابة، كانت مقرا للعديد من السلالات المهمة كانت مقرا للإله انو والإلهة انانا. أنظر: نفسه، ص26، 39. انظر كذلك:
G. Leick, Op. Cit, p174.

(2)- **كيش** (**Kish**): مدينة سومرية تعرف اليوم بـ"تل الأحيمر"، تقع في وسط وادي الرافدين تبعد 14 كم شمال شرق مدينة الحلة على نهر الفرات، كانت مدينة مهمة للعديد من السلالات خلال الالف الثالث قبل الميلاد، ولقب ملك كيش كان ضمن هيمنة سومر وأكاد ، وخلال الالف الثاني قبل الميلاد دخلت ضمن سيطرة بابل. أنظر: Ibid, p172. أنظر كذلك:
P.R.S. Moorey, **Kish Excavations** 1923-1933, Clarendon Press, London, 1978, p xx.

(3)- **عصر العبيد**: هو فترة من عصور ما قبل التاريخ تتراوح بين (4500-3800 ق.م) سميت بذلك نسبة الى تل العبيد ويقع بالقرب من اور ويبعد 25 كم جنوب الناصرية، امتدت حضارة من الشمال الى الجنوب ميزها فخار بلون واحد مع نقوش بنية او سوداء او خضراء. أنظر:
Ann Louise Perkins, **The comparative Archeology of Early Mesopotamia**, 7 PR, University of Chicago Press, London, 1977, p46, 47.

(4)- **جمدة نصر**: هو الدور الثاني من أطوار العصر الشبيه بالكتابي يلي دور الوركاء، اخذت تسميته من اسم جمدة نصر (تل نصر) وهو موضع أثري صغير على بعد 15 ميل شمال شرقي كيش. أنظر: طه باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ط2، دار الوراق، بيروت، 2012، ص270.

(5)- شوقي أبو خليل، **أطلس القرآن** أماكن أقوام أعلام، دار الفكر، دمشق، 2003، ص26.

(6)- **عصر فجر السلالات**: كمصطلح وضعه الأستاذ هنري فرانكفورت (H. Frankfort)، وهو يمثل عصر قيام المدن السومرية أو السلالات الحاكمة، يصطلح على تسميته طه باقر بعصر دول المدن (City states) أو عصر الحضارة السومرية على الرغم من مساهمات غير السومريين فيها مثل الساميين، وهو عصر مهم لأنه عهد الحضارة الناضجة التي وضعت الاسس الاولى للحضارة ومقوماتها. أنظر: طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص279، 280.

(7)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص333.

ويذكر رعد شمس الدين الكيلاني في تحليله لبيئة نبي الله نوح عليه السلام أن العصر الأنسب لعصر نوح عليه السلام كان دور جرمو الذي يمتد من 6000 إلى 5000 سنة قبل الميلاد ومن ميزاته الزراعة، واستدلّ بالأمطار، وكذا تدجين الحيوانات بالإضافة إلى الفخار، وعلاقته بفوران التنور الذي هو موقد النار وقد ارتبط بصناعة الفخار، وكذا صناعة السفينة وطليها بمادة القار الأسود الذي وجد أيضا في فخاريات عثر عليها في موقع جرمو[1].

5. عبادة قوم نوح عليه السلام:

لم تتطرق التوراة إلى عبادة قوم نوح عليه السلام بل كانت فيها إشارة فقط إلى الظلم والطغيان الذي ساد قبل زمان نوح عليه السلام، وفي المقابل أسّهب القرآن الكريم في ذكر عبادة قوم نوح عليه السلام، حتى أنه عدّد آلهتهم الوثنية التي جعلتهم يحيدون عن سبيل الله، وجعل الله عز وجل بها حجة ليبعث نبيهم بدعوة الحق، ومن لم يتبعها حقّ عليه العذاب الذي جسّده في طوفان مهلك.

أ. في القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم إلى دعوة نوح عليه السلام لقومه، وكيف كانت أصنامهم تحيد بهم عن عبادة الله عز وجل فجاء في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ** ﴿٥٩﴾ ﴾[2]، إن الله عز وجل أرسل نوح عليه السلام لقومه ليعبدوا الله الواحد الأحد، ولكنهم كذّبوه فاستحقوا العذاب، وجاء قوله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ** ﴿٩﴾ **فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ** ﴿١٠﴾ **فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ** ﴿١١﴾ **وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ** ﴿١٢﴾ **وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ** ﴿١٣﴾ **تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ** ﴿١٤﴾ ﴾[3]، دليل على ذلك العذاب الذي أقرّه الله سبحانه وتعالى لمن كفر بدعوة نبيه وبه.

(1)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص89، 90.

(2)- سورة الاعراف، الآية: 69.

(3)- سورة القمر، الآية: 9-14.

وجاء كذلك في القرآن الكريم تدقيق اكثر لعبادة قوم نوح عليه السلام قبل مبعثه، وكيف كانوا يعبدون من دون الله آلهة متعددة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا** ﴾[1]، ولقد خصّ القرآن الكريم قسماً من أصنام قوم "نوح" عليه السلام بالذكر دون غيرها، ربما لأنها أكبر أصنامهم وأعظمها، فقد ذكر "ود" و"سواع" و"يغوث" و"يعوق" و"نسرا"، وقد فصّلت كتب التفسير في الحديث عن هذه المعبودات.

ب. في المصادر الاسلامية:

اختلفت الروايات حول نشأة عبادة الأصنام فقيل أنهم أسماء رجال صالحين من أولاد "آدم" عليه السلام وكان "ودّ" كبيرهم وأبرهم بوالده، وهو أول من عُبد من دون الله[2]، وبعد أن ماتوا صوّر الشيطان لقومهم تماثيل على صورهم فقاموا يتقربون إليها شيئا فشيئا، حتى أتى الجيل الذي بعدهم وزيّن لهم الشيطان ذلك، وقال لهم هي آلهة آبائكم[3].

وفي رواية أخرى حول نشأة عبادة الأوثان بعد توحيد الله عز وجل يذكر الكلبي أن "آدم" عليه السلام لما مات جعله بنو "شيث" في مغارة في الجبل الذي هبط عليه "آدم" بأرض الهند[4]، وقال عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان بنو "شيث" يأتون جسد "آدم" في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بني قابيل بن "آدم" «يا بني قابيل إن لبني شيث دورا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء» فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها، ويقال أن "ود" و"سواع" و"يغوث" و"يعوق" و"نسر" كانوا قوماً صالحين ماتوا في شهر، فجزع عليهم ذويهم فقال رجل من بني قابيل: « يا قوم

---

(1)- سورة نوح، الآية: 23، 24.

(2)- زهير علي عبد المجيد كاخي، **الثمين من قصص الأنبياء والمرسلين**، ط1، دار المحبة، دمشق، 2004، ص20.

(3)- أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت204هـ)، **الأصنام**، تح: أحمد زكي باشا، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، (د.ت)، ص51.

(4)- فيما يخص مكان هبوط آدم فيه اختلاف بين المسلمين وأهل الكتاب ففي التوراة جاء أن الجبل بالهند واسمه راسم عند واد يقال له بميل بين الدهنج والمندل بلدين في الهند، وقيل عند جماعة المسلمين أنه هبط في سرنديب على جبل يقال له نود. أنظر: ابي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والامم**، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995، ص208.

هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً، قالوا: نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم»، فكان الرجل يعظِّم أخاه وعمه وابن عمه حتى ذهب ذلك القرن الأول، وعملت على عهد "يردي بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم"، ثم جاء قرن آخر فعظّموهم أشد تعظيم من القرن الأول، ثم جاء القرن الثالث فباتوا يعظّمونهم أكثر، ويرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم، واشتد كفرهم، فبعث الله لهم نبيه إدريس فكذبوه[1].

يقول ابن عباس ﷺ: «صارت الأوثان التي كانت في قوم "نوح" عليه السلام في العرب بعد الطوفان، أما ود فكانت لكلب في دومة الجندل[2]، وأما سواع فكانت لهذيل[3]، وأما يغوث فكان لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف[4] عند سبأ[5]، وأما يعوق فكانت لهمذان[6]، وأما نسر فكانت لحمير[7] لآل ذي الكلاع.

(1)- الكلبي، المرجع السابق، ص ص50-53.

(2)- **دومة الجندل**: اسم حصن على خمس عشرة ليلة من المدينة ومن الكوفة على عشر مراحل. أنظر: بطرس البستاني، المرجع السابق، ص300.

(3)- **هذيل**: قبيلة عربية كبيرة قطنت شمالي الجزيرة اشتركت مع القبائل العربية الأخرى في الدفاع على الكعبة ضد أبرهة الحبشي. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص883.

(4)- **الجوف**: واد في شمال شرق صنعاء بمسافة 145 ميل، وفي الحدود الغربية والشمالية لمحافظة مأرب، ربما جاءت تسميتها كتعبير لطبيعتها الحاضنة للسيول القادمة اليها من جبال صنعاء الشمالية والشرقية وجبال خولان العالية، وهي موطن دولة معين وبراقش. أنظر: ابراهيم أحمد المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، دار الكلمة، الجمهورية اليمنية، 2002، ص373، 374.

(5)- **سبأ**: مملكة قديمة تقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية وتشكل قسماً من اليمن، عاصمتها مأرب ومن ثم ظفار، اشتهرت بإنجازاتها في مجال الري، امتدت سيطرتها حتى شواطئ الحبشة. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص465. أنظر كذلك: أسامة خليل أندراوس، **المرشد الى الكتاب المقدس**، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، 2011، ص190.

(6)- **همذان**: مدينة في الإقليم الرابع سميت كذلك على همذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام، وقد وجد في بعض كتب السريانيين في أخبار الملوك والبلدان أن الذي بنى همذان يقال له "كرميس بن حليمون"، وقد قال بعض علماء الفرس أن همذان أكبر مدينة بالجبال. أنظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، **معجم البلدان**، ج5، دار صادر، بيروت، 1977، ص410.

(7)- **حميّر**: قبائل تنتمي إلى حميّر بن سبأ بن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، روي أن اسمه العرنج وسمي كذلك لكثرة لبسه الاحمر من الثياب، ومنهم قبائل قضاعة والأضايح والمعافر والكلاع والشراعب... انظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص513.

وهم أسماء لرجال صالحين من قوم نوح ﷺ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا»[1].

ويفصِّل الكلبي في أشكال هذه الآلهة فيقول: «أن "ود" كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر عليه حلتان، متزر بحلة مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة بمعنى جعبة فيها نبل، ويضيف أن "ود" حمله "عوف بن قضاعة" إلى وادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه "عبد ود" فكان أول من سمي به»[2]، يقول ياقوت الحموي: «أنه كان يقال له "أد" أحياناً، وأنه كان لبني وبرة بدومة الجندل، وكانت سدانته لبني الفرافصة ابن الأحوص الكلبيين، وهو الجبل الذي أنزل عليه "آدم" ﷺ وسموه بـ"نَوْد"، وهو أخصب جبل على الأرض، وهو في "الهند"، وأن الأصنام التي عبدها قوم "نوح" ﷺ هبطت على هذا الجبل بعد الطوفان وجرفتها الماء إلى أرض جدة»[3].

ونسر هو "نشر" (Nesher) في العبرانية وهو صنم من أصنام اللحيانيين، وقد يكون من أصنام العرب الشماليين، لورود اسمه في الموارد العبرانية والسريانية على أنه اسم إله عربي، وذكر على أنه صنم كان يعبده العرب باسم "نشرا" (Neshra)، وورد اسمه عند السبئيين، وكان من الآلهة المعبودة عند الساميين، أما شكل نسر فكان على هيئة طائر، ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على هيئة أسد ويعوق على صورة فرس[4]، وقد ورد في يغوث أن اسمه ورد في سفر التكوين باسم "يعوش" (Ye'ush) أحد أجداد أدوم[5]، أما سواع فجاء أنه كان صنم على صورة امرأة[6].

(1)- عبد العزيز بن عبد الله العبيدي، **تفسير ابن عباس** ومروياته في التفسير من كتب السنة، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص910.

(2)- الكلبي، المرجع السابق، ص55،56.

(3)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص367، 368.

(4)- جواد علي، "أصنام العرب"، مجلة سومر، مج23، ج1،2، مديرية الآثار، بغداد، 1967، ص30،31.

(5)- سفر التكوين (36: 5، 14، 18).

(6)- جواد علي، المرجع السابق، ص26.

وقد وردت روايات أخرى مختلفة في أشكال وصور الأصنام، غير أن الاختلاف لا يؤثر في كون هذه الأصنام قد عبدت سواء أكانت على شكل واحد أم على أشكال متعددة[1]، والمهم أنه على إثرها انتشر الفساد في الأرض وعمّ البلاء.

ج. في السنة النبوية الشريفة:

يذكر الطبري أنه كان بين "آدم" و"نوح" –عليهما السلام– عشرة قرون، كلهم على ملة الحق، وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذي بعث فيه "نوح" عليه السلام[2]؛ ويذكر ابن تيمية بأن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[3].

6. مكان نوح عليه السلام:

اختلفت الآراء حول موطن قوم "نوح" عليه السلام ومكان حدوث الطوفان؛ فمنهم من قال أن مسكنه بأرض العراق، ومنهم من قال أن دمشق كانت دار "نوح" عليه السلام[4] وفي رأي آخر جاء أنه كان في أرض الجزيرة العربية في اليمن، وفي الحقيقة ينبع هذا الاختلاف بالدرجة الأولى من اختلاف كتب التفسير، وذلك نتيجة عدم ورود نص صريح بمكان قوم "نوح" عليه السلام لا في التوراة ولا في القرآن الكريم، ما ترك المجال خصباً للتأويلات والفرضيات التي تبحث عن برهان منطقي يتماشى مع العقل ومع نتائج التنقيبات الأثرية في المنطقة، وسنأتي على التفصيل في كل من هذه الآراء فيما يلي بالاستناد إلى بعض الشواهد:

أ. مميزات البيئة:

حاول البعض معرفة مكان قوم "نوح" عليه السلام انطلاقاً من مميزات البيئة التي عاش فيها؛ حيث ورد أن أهل "نوح" عليه السلام عاشوا بـ"الطائف" في شبه الجزيرة العربية، ويستند هذا الرأي لدلائل جغرافية؛ فبيئة "نوح" عليه السلام لم تكن ذات أودية ويتضّح ذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ**

(1)– ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص69.

(2)– الطبري، (تاريخ الطبري)، المصدر السابق، ج1، ص178.

(3)– أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت728هـ)، **بيان تلبيس الجهمية** في تأسيس بدعهم الكلامية، تح: أحمد معاذ علوان حقي، ج3، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1426هـ، ص65، 66.

(4)– مجير الدين الحنبلي العيلمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، (د.ن)، (د.م.ن)، (د.ت)، ص19.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا ۝١٢ ﴾[1]، ويذكر ابن كثير أن الأمطار هنا متواصلة، أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأمدّكم بأموال وبنين[2]، وإن الإرسال يكون عادة بعد حبس، ووعد "نوح" عليه السلام لقومه بإرسال السماء أمطاراً إن هم استغفروا ربهم، ما يدل على احتباس المطر عنهم أو أن أرضهم كانت قليلة المطر وأن ليس بها أنهاراً[3].

كما يرى أصحاب هذا الرأي أن بيئة نوح عليه السلام كانت جبلية ذات جبال شامخة؛ فحين كانت السفينة تجري بهم قال ابن "نوح" عليه السلام لأبيه قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ ﴾[4]، فشموخ الجبال جعل قوم "نوح" عليه السلام يتوهمون النجاة فيها، وهذا ينفي انطلاق الطوفان من الكوفة[5] المعروفة بسهولها وجريان نهريها دجلة والفرات[6]، إلا إذا كان وجود النهرين لاحقاً بعد الطوفان[7].

غير أن هذا يبقى مجرد افتراض قابل للنقاش؛ فنوح عليه السلام ربما دعا لقومه بالأمطار من الله عز وجل لأنهم كانوا يطلبون المطر من الأوثان، ويؤكد ذلك الطبري في تفسيره أن "نوح" عليه السلام سأل قومه أن يستغفروا ربهم عن ذنوبهم، ويتوبوا إليه من كفرهم وعبادة ما سواه من الآلهة، وأن يخلصوا له العبادة كي يغفر لهم ذنوبهم، ويتبعها بأن الله سيرسل عليهم السماء مدراراً أي غيثاً متتابعاً[8]، فالآيتان المتتابعتان

---

(1)- سورة نوح، الآية: 10-12.

(2)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، ج4، ص2970.

(3)- منصور عبد الحكيم، (طوفان نوح)، المرجع السابق، ص55.

(4)- سورة هود، الآية: 43.

(5)- **الكوفة**: بالضم مصر مشهور بأرض بابل من سواد وادي الرافدين. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج4، ص490.

(6)- **دجلة والفرات**: هما نهران ينبعان من جبال أرمينيا في جنوب القوقاز ويصبان في بحر اريتيريا (خليج العجم)، لكل من الكلمتين اشتقاق؛ الفرات كلمة ذات أصل سومري وردت في النصوص البابلية باسم "بورتم" أو "بوراتوم" بالآكدية، وهو نهر يقسم البلاد الى شطرين، أما دجلة فقد وردت في النصوص القديمة تحت اسم "دقلات" أو "أدجلات" و"حداقل" بالعبرية. أنظر: سامي سعيد الأحمد، **السومريون وتراثهم الحضاري**، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975، ص24. أنظر كذلك:
Hérodote, **Histoires**, Livre I, trad: Legrand, Les belles lettres, paris, 1936, CLXXX .

(7)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص ص50-56.

(8)- الطبري، (تفسير)، المصدر السابق، ج23، ص293.

تؤكد أنه لا تصح العبادة للأوثان ولا الاستسقاء منها، بل الله ﷻ الوحيد القادر على أن يبعث غيثا ومتتاليا إن أخلصوا له العبادة.

وينفي رأي آخر أن تكون البيئة التي عاش فيها قوم "نوح" ﷺ صحراوية أصلا؛ فقد جاء على لسان الخازن في تفسيره: «أن الله ﷻ جعلها كذلك عقابا لقوم "نوح" ﷺ لتكذيبهم لنبيه، فحبَس عنهم المطر، وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم ومواشيهم، فقال لهم استغفروا ربكم أي من الشرك، واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليهم أبواب النعمة»[1]، كما أن الإنسان القديم سكن المناطق التي فيها مياه كشرط أول من شروط الاستقرار، وقد جاء أن قوم "نوح" ﷺ جاؤوا في زمن زراعة وصناعة، فكيف لهم ذلك في بيئة لا تحتوي على مصادر المياه.

ب. عبادة قومه:

وهناك رأي ينطلق من عبادة قوم "نوح" ﷺ ليصل إلى موطنهم، فيرى أن مكانهم كان في شبه الجزيرة العربية[2]، ويستدل أصحاب هذا الرأي بالأوثان التي عبدوها قبل الطوفان وكيف انتقلت إلى عرب شبه الجزيرة العربية لو لم يرثوها عن أسلافهم، ويضيف أن القرآن الكريم في حديثه عن قوم "هود" أن "هود" بعث ليذكرهم بقوم "نوح"[3] عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ **أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾** ﴾[4].

وقد ورد في المصادر الاسلامية أن الطوفان حمل هذه الأوثان إلى شبه الجزيرة العربية، وجاء في معجم البلدان أن الأصنام حملها الطوفان، وهبطت في جبل يقال له "نوْدَ" إلى الأرض حتى قذفها إلى أرض جدة، في شبه الجزيرة العربية[5] بحكم أنها كانت على حدود جغرافية مع حضارة وادي الرافدين،

---

(1)- علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت725هـ)، **تفسير الخازن** المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص341. انظر كذلك: القرطبي، المصدر السابق، ج21، ص254.

(2)- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**، م1، ط3، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ص30.

(3)- أحمد الدبش، **عورة نوح** ولعنة كنعان وتلفيق الاصول، خطوات، دمشق، 2007، ص ص73-86.

(4)- سورة الأعراف، الآية: 69.

(5)- ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص367، 368.

كما أن القرطبي في تفسيره يذكر أن خلفاء جمع خليفة على التذكير والمعنى، وأن الله ﷻ منّ عليهم بأن جعلهم سكان الأرض بعدهم[1]، والخلافة تأتي مما حبا الله به "نوح" عليه السلام بأن كان من نسله الأنبياء، وذلك بأن أعقم أرحام قومه إلا أبناءه، وبالتالي يكون قوم "هود"[2] من نسل نوح عليه السلام، أما فيما يخص التذكير، فيمكن القول أنه قصد العبرة لقوله "لتكون آية" كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[3]، وذلك يفسِّر أنه أوّرد في نفس السورة أنبياء آخرين مثل صالح ولوط وشعيب -عليهم السلام-، وكيف لم يعتبر الأقوام الذين جاؤوا بعدهم ويقول في نفس السورة: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4].

وهناك من يزعم أن قوم "نوح" عليه السلام سكنوا وادي حضرموت في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، وأن سفينة النجاة استوت في "شبوة"[5] العاصمة التاريخية لحضرموت، ويستدلّ في فرضيته بأرقام آيات القرآن الكريم كإحداثيات لخطوط الطول ودوائر العرض لتعيين مكان رسوا السفينة[6]، غير أنها تبقى نظرية ما دام لم يبرهن عنها علم الآثار، وتبقى كذلك إلى أن يثبت علم الآثار ذلك.

---

(1)- القرطبي، المصدر السابق، ج9، ص264. أنظر كذلك: الخازن، المصدر السابق، ج2، ص217.

(2)- هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح". أنظر: القرطبي، المصدر السابق، ج9، ص263.

(3)- سورة العنكبوت، الآية: 15.

(4)- سورة الأعراف، الآية: 100، 101.

(5)- **شبوة:** مدينة تاريخية هامة تعتبر القلب الجغرافي لخريطة اليمن، تمتد من الصحراء شمالا حتى البحر جنوبا وتطل على خليج عدن، قامت على أرضها ثلاث ممالك يمنية قديمة أولها قتبان وثانيها أوسان وآخرها حضرموت التي اتخذت منها عاصمة لها، ثم صارت من أهم المدن السبئية التجارية كانت تنطلق منها القوافل التجارية إلى سائر أنحاء الجزيرة العربية وصوب مناطق البحر الأبيض المتوسط، تعرضت للخراب بفعل السيول الجارفة في القرن الأول ميلادي. أنظر: ابراهيم أحمد المقحفي، المرجع السابق، ص846، 847.

(6)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص59.

ج. الأبحاث الاثرية:

وهناك آراء انطلقت مما أفرزته الأبحاث عن المخلفات الاثرية التي تعتبر الأقدم تاريخياً من الكتب السماوية وما جاء فيها عن قصة سيدنا "نوح" عليه السلام، التي تؤكّد أن الطوفان حدث في منطقة وادي الرافدين، ويستند إلى ما أفرزته التنقيبات الأثرية التي أجراها كل من عالم الآثار النمساوي "ماكس مالوان" و"ليونارد وولي" في المنطقة، والتي أثبتت وجود طبقة من طين الصلصال بسمك 3.5 متر، يرجَّح أنها طبقة تشكلت من الكتل الصلصالية التي حُملت مع مياه الطوفان، والتي لا يوجد مثلها في أنحاء العالم إلا تحت سهول وادي الرافدين[1]، ويضم شوقي أبو خليل رأيه إليه ويرى أن الطوفان حدث في بلاد ما بين النهرين بدليل الحفريات التي قامت في "أور" و"كيش" و"شوروباك"، وأكدّت حدوث فيضان عظيم بين عصر العبيد وعصر السلالات الأولى، وفيضان آخر حصل في آخر عصر "جمدة نصر"، وما وجده العالم الأثري "وولي" من طبقات كثيفة من الغرين في مدينة "أور" على عمق مترين ونصف، وآثار السكنى البشرية فوق هذه الطبقات وتحتها، واستنتج من ذلك أن آثار الغرين قد أتت به مياه فيضانات دجلة والفرات[2].

كما استدلّ البعض بأقدم المدونات الأدبية التي تكلمت عن الطوفان العظيم الذي ضرب المنطقة وأهلك قومها ترجع إلى حضارة وادي الرافدين، ما يؤكد أن المدونات التي جاءت بعدها في كل العالم أخذت عن القصة التي سمعتها من سكان وادي الرافدين، كون المنطقة تتوسط العالم ما يرجِّح إمكانية حدوث ذلك[3].

أكّد مجموعة من العلماء العراقيون على أن نوح عليه السلام كان في بلاد الرافدين وأن سفينة نوح عليه السلام رست بالنجف[4]، واستندوا في ذلك إلى وثائق مسمارية، وذلك ما تؤكِّده ملحمة جلجامش،

---

(1)- هارون يحي، **الأمم البائدة**، ط1، دار القبس للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص35.

(2)- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص26.

(3)- هارون يحي، المرجع السابق، ص 27،28.

(4)- **النجف**: في اللغة العربية تعني المكان المرتفع الذي لا يعلوه الماء، وهي تقع وسط العراق حاليا هي محافظة من محافظات العراق الثامنة عشر، تحيط بها محافظتا كربلاء وبابل من الشمال ومحافظتي القادسية والمثنى من الشرق ومحافظة الانبار من الغرب والحدود الدولية مع المملكة العربية السعودية من الجنوب، تبعد عن الكوفة ب10 كلم. أنظر: موسى جعفر عطية، "أرض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي"، مجلة تراث النجف، العدد الاول، السنة الاولى، ص94.

وتتراوح أزمنتها بين القرن التاسع والقرن الثاني قبل الميلاد[1]، وقد ورد في اللوح الحادي عشر قصة الطوفان، وكيف رست السفينة على جبل نصير وقد ظل ممسكا بها ستة أيام[2]، ويقع في شرق دجلة في المثلث الذي يشكله النهر وروافده مثل نهر الزاب الصغير جنوب نينوى[3].

ونجد في أطلس القرآن أن قوم "نوح" عليه السلام كانوا في جنوبي وادي الرافدين حول مدينة الكوفة حالياً[4]، ويؤكد ذلك اللوساني أن منزل "نوح" عليه السلام كان في قرية على متن الفرات، مما يلي غربي الكوفة من وادي الرافدين[5].

د. فوران التنور:

هناك من استشهد بفوران التنور كدلالة على مكان الطوفان، فموقعه يدل على مكان قوم "نوح" عليه السلام، ويتم التأكيد بمسار السفينة ورسوها، غير أن البداية كانت اختلاف في معنى التنور[6]؛ يقول ابن كثير: «أن المراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض، أي نبعت الأرض من سائر أرجائها حتى نبعت التنانير التي هي محال النار، وقال أيضا عن علي بن أبي طالب المراد بالتنور فلق الصبح وتنوير الفجر، أي إشراقه وضياؤه[7]، وجاء في فوران التنور أنه بركان في المنطقة، كما روي أنه فوران الماء على سطح الأرض أو طلوع نور الفجر»[8].

وقد حدث في ذلك اختلاف بين المؤرخين فهناك من يذكر أن مكان التنور في "الهند"، وهناك من يراه في الكوفة، وذهب رأي ثالث إلى أنه في الجزيرة، ويضم رأيه إلى رأي فوران التنور من الكوفة، ويستدل برأي عالم الآشوريات "سيتون لويد" الذي يصف مكان بالكوفة يعتقد أنه الأنسب

(1)- فراس السواح، **جلجامش** ملحمة الرافدين الخالدة، ط2، منشورات دار علاء الدين، سورية، 2002، ص86، 87.

(2)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص184، 185.

(3)- C. De Kirwan, **Le Déluge de Noé** est les Races Pré diluviennes, tome 2, Libraire Blood et Barrel, Paris, 1899, p5.

(4)- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص24،25.

(5)- اللوساني، المصدر السابق، ص23.

(6)- سنفصل في ذلك في الفصل الخامس.

(7)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص90.

(8)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص24.

لقوم نوح عليه السلام، ويعتقد أن بالكوفة جامع كبير به مقصورة في باطن الأرض تدعى السفينة، يعتقد أن الفلك استقر بها[1].

ويرى الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ الأنبياء) أن السفينة سارت من الكوفة حيث فار التنور ورأس العين، فلما بلغت موضع البيت طافت به سبع مرات ثم مضت، وسارت إلى اليمن ثم إلى الحبشة[2] ثم إلى ناحية الروم ثم إلى أرض الشام راجعة، ويضيف إلى أن من زعم أن الماء ملأ الأرض وأنها طافت الأرض كلها، ورجعت إلى ناحية الجزيرة، ويضيف في الحاشية أنها بين دجلة والفرات مجاورة للشام تشمل "ديار بكر"[3] و"ديار مضر"[4].

ويُدرج ابن كثير مجموعة من الآراء فيقول: «عن ابن عباس أن التنور عين في الهند، وعن الشعبي أن التنور عين في الكوفة، أما عن قتادة فيروي انه عين بالجزيرة»[5]، ويقول العيلمي: «أن دمشق كانت ديار "نوح" عليه السلام وأن التنور فار بالكوفة، وقيل فار بالشام وقيل غير ذلك»[6].

كانت هذه لمحة عن شخصية نبي الله نوح عليه السلام انتقالا مما جاء في الأساطير وما ذكرته الكتب السماوية، وما جاء في السنة النبوية الشريفة، وكذا ما أثبتته الأبحاث الأثرية في منطقة وادي الرافدين، وقد جاءت بآراء حول موطن نبي الله نوح عليه السلام، وكانت تصب في معظمها حول المحيط الجغرافي الذي يمثل الإطار الجغرافي لحضارة وادي الرافدين وبعض حدودها كبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، وتركيا على حدود أرمينية، ومازال الأثريين يواصلون أبحاثهم لفضّ النزاع حول هاته المسألة، كما سيأتي في الفصل الثاني.

---

(1)- سيتون لويد، **آثار بلاد الرافدين** من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، ط1، دار دمشق، سورية، 1993، ص78.

(2)- **الحبشة**: تسمية أطلقها الجغرافيون القدامى على المنطقة في إفريقيا الشرقية الواقعة في البحر الأحمر ونهر النيل، وذلك على اسم إحدى القبائل اليمنية التي استوطنت المنطقة وحكمتها. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص340.

(3)- **ديار بكر**: مدينة كبيرة بأرض الجزيرة تسمى أيضا "أمد" و"فرة أمد" واسمها القديم "اسيدا" وهو اسم لصقع كبير حاضرته المدينة المذكورة. انظر: احمد زكي بك، **قاموس الجغرافية القديمة**، ط1، المطبعة الكبرى الاميرية، مصر، 1889، ص41.

(4)- البغدادي، المرجع السابق، ص46،47.

(5)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص90.

(6)- العيلمي، المصدر السابق، ص 19.

الفصل الثاني: طوفان نوح عليه السلام في الاثار والابحاث العلمية

1. بدايات البحث الأثري في العراق
2. الطوفان في قوائم الملوك السومرية
3. التنقيبات عن مدن الطوفان
4. الاستكشافات عن مراسي سفينة نوح
5. الاسباب العلمية للطوفان

1. بدايات البحث الأثري في العراق:

جاءت بداية البحث الأثري في العراق نتيجة للضجة التي أحدثها كتاب الرحالة اليهودي "بنجامين ياراجونا" في أوروبا، ومن بعده السائح الإيطالي "بيترو ديلا فال" (Peitro Delle Valle) الذي زار المنطقة في الفترة (1616م-1625م)[1]، فقد ساهمت تلك الرحلات في شدّ الأنظار إلى حضارة وادي الرافدين، في حين لم تتعدَ التنقيبات التي تلتها جمع القطع الفنية والكنوز المدفونة في باطن الأرض بأقل تكاليف ممكنة وفي أسرع وقت، غير أنها أثمرت في القرن الثامن عشر عن ورغبة في نبش أخبار الماضي، ونشّطت الأكاديميات والمؤسسات العلمية الأوروبية، ومن أمثال تلك البعثات البعثة الدانماركية برئاسة العالم الرياضي "كارستن نيبور" (Karsten Neibuhr)[2] الذي زار المنطقة في 1761م، ونشر نتائج تحرياته الدقيقة في 1778م، بالإضافة إلى ما نشره الأب "جوزيف دي بوشان" (Abbé Joseph Beauchamp) في مجلة العلماء الفرنسيين في الفترة (1785-1790م)[3].

وقد شهد القرن التاسع عشر تنافساً حاداً بين المنقبين الفرنسيين والإنجليز والأمريكيين فيما بعد على نهب الآثار، وعن أمثلة هذه التنقيبات نذكر أعمال الطبيب الفرنسي "بول إميل بوتا" (Paul Emile Botta) في خورسباد[4] في (1843م-1844م)[5]، وأعمال "هنري لايارد" (Henry Layard) (1845-1847م) في نمرود[6]، ومن بعده "هنري رولنصن" (Henry Rawlinson)

---

(1)- أسامة الجوهري، **الآثار العراقية** أكبر كارثة ثقافية منذ أكثر من خمسة قرون، دار هلا، مصر، 2006، ص53

(2)- أنظر: كارستن نيبور، **رحلة الى شبه الجزيرة العربية** والى بلاد أخرى مجاورة لها، ج2، ط2، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2013.

(3)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص132، 133

(4)- **خورسباد** (**دور شاروكين**) (**Dour-Sharroukin**): مدينة تقع على بعد 15كلم شمالي شرقي الموصل أنشأها سرجون الثاني في سبعة أعوام اعتبارا من 713 ق.م، تقوم على اطلالها اليوم "خورس أباد" تم اكتشافها سنة 1843م. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص401.

(5)- أنظر تنقيبات بوتا بالتفصيل في:

Morris Jastrow, **Babylonia and Assyria** its romains language histury religion law art and literature, J.B Lippincott Company, Philadelphia, 1915 , p p15- 18.

(6)- أنظر تنقيبات لايارد بالتفصيل في:

Austen Henry Layard**, Nineveh and its Remains** a narrative of An Expedition To Assyria, John Murray Albemarie street, London, 1867

(1810-1895م) الذي أسّهم في حل رموز الخط المسماري، وبالإضافة إلى بعثة جامعة بنسلفانيا برئاسة "بيترز" (Peters) في عام 1877م[1].

ومع بداية القرن العشرين بدأ بعض المشتغلين بالدراسات القديمة في أوروبا يهتمون بالدلائل الأثرية وتفسيراتها والطبقات البنائية وتعاقبها إلى جانب اهتمامهم باللقى، فيما يعرف بالتنقيبات العلمية المنتظمة، وقد تميّزت بعثات القرن 20 عما سبقها بتنوع أعضاءها، منهم رئيس البعثة والمهندس المعماري والرسام والمصور والمسجل والمختص بقراءة الخطوط المسمارية والجيولوجي والانثروبولوجي وعالم الأحياء[2]، كما شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تعاوناً بين الآثريين وعلماء الطبيعة والرياضيات والذرة، مما فتح أفاقا جديدة أمام البحث الأثري، وعرف هذا الأخير طرق علمية مثل المسح والتحري الميداني، ومن ثم التحليل والمعالجة المخبرية، بالإضافة إلى استعمال الأجهزة التي قدّمت نفعاً كبيراً للأثري وقلّلت الجهد والوقت وحتى النفقات مثل: مثقب التنقيب (Drilling Machine) ومقياس المقاومة (Resistivity Metre) ومقياس المغناطيسية (Magneto Metre) وغيرها من المعدات[3].

وقد أكّدت التنقيبات الأثرية التي عرفتها منطقة وادي الرافدين على أنها كانت عرضة للعديد من الكوارث الطبيعية نتيجة لفيضان كل من نهري دجلة والفرات، وهذا دليل على أن المنطقة كانت دائماً عرضة للفيضانات ومن المحتمل جداً أن يكون أحد هذه الفيضانات التي ألفتها المنطقة طوفان نوح عليه السلام الذي ورد في القرآن وأهلك أمة برمتها[4]. (أنظر الملحق رقم 01 ص 285)

وقد أسفرت التنقيبات الأثرية على العديد من الكنوز المادية والمعرفية في حضارة وادي الرافدين، ولعل في مقدمتها الألواح التي حوَت أحداث الطوفان، انطلاقاً من أساطير الطوفان السومرية والبابلية إلى قوائم سلالات الملوك، التي تعتبر مصدرا مهماً لتسلسل الملوك الذين حكموا قبل الطوفان وبعده، والتي جعلت من الطوفان حدثاً معلمياً ما أجاز ذكرها في هذا الصدد.

---

(1)- A. M. Lord**, Mesopotamian Archeology**, McMillan and LTD and Philiplee Warner, London, 2007, p p42- 49.

(2)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص ص134-137.

(3)- بهنام أبو الصوف، **التاريخ من باطن الارض** آثار وحضارات واعمال ميدانية، مطابع شركة الاديب، الاردن، 2009، ص ص56-59.

(4)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص195.

2. الطوفان في قوائم الملوك السومرية:

كان الطوفان حدثاً من الحوادث المهمة التي أعارها المؤرخون الأقدمون في وادي الرافدين أهمية بارزة؛ بحيث اتخذوه حدثاً معلمياً فصلوا به بين ملوك وسلالات حكمت قبل حدوثه وأخرى بعد حدوثه[1]، وقد سميت هذه القوائم أو الجداول بقوائم سلالات الملوك السومرية، علماً أنه توجد قوائم سلالات الملوك البابلية وقوائم سلالات الملوك الآشورية[2]، ولكنها لا تمت لحدث الطوفان بصلة ما جعلني أستبعدها ولا أدرجها في هذا المقام.

أ. اكتشافها:

لقيت قوائم سلالات الملوك السومرية اهتماماً كبيراً في الأوساط العلمية بعد اكتشافها؛ فقد أُوجد أول لوح مدوَّن لسجل ملوك سومر في أوائل القرن العشرين في مدينة نفر[3] وهو لوح يعود تأريخه إلى 4000 سنة قبل الميلاد، وقد تمكن "هرمان هلبريخت" (Hilprecht)، من ترجمته، وقد لحقه ثمانية عشر من نماذج مشابهة لسجل الملوك، يعود معظمها إلى سلالة إيسن حوالي (2017-1794ق.م)، أحد هذه السجلات يرجع الملكية[4] السومرية إلى بداية السلالات، وربما أقدم سجل نُظِّم في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد[5].(أنظر الملحق رقم 02 ص 286)

ويفصّل عالم الآثار الأمريكي المختص بالسومريات "ثوركيلد جاكوبسن" (Thorkild Jacobsen) في منشورات العلماء التي سبقت أعماله عن سجلات الملوك بالسنوات؛ حيث يذكر أن أول جزء من قوائم سلالات الملوك نشر في 1906م، من قبل العالم الألماني "هيلبريخت" (Hilprecht)،

---

(1)- فاضل عبد الواحد علي، "ثم جاء الطوفان"، مجلة سومر، مج31، ج1،2، مديرية الآثار، بغداد، 1975، ص4.

(2)- H. Gasche. J. A Armstrong, S.W. Cole and V. Gurzadyan, **Mesopotamian History and Environment** Dating the Fall of Babylon, The University of Ghent and the Oriental Institute of the University of Chicago, Belguim, 1998 , p50.

(3)- **نفر**: هو الاسم الحالي لمدينة نيبور وهي مدينة تقع على ضفتي أحد المجاري القديمة لنهر الفرات شمالي بلاد سومر بالقرب من كيش وبابل، كانت مركز عبادة الإله السومري "انليل". أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص767.

(4)- يعلّق أحمد سوسة على أن الآلهة هي التي كانت تحكم الكون والبشر وأن نظام الحكم والملوكية وشاراتها كانت عند الآلهة في السماء ولكي تحكم الأرض والناس فإنها تنتدب أو تفوّض نواباً عنها تصطفيهم من بين البشر ليكونوا حكاماً، ويتحجج بسنين الحكم الخرافية الخارجة عن الأعمار الطبيعية. أنظر: أحمد سوسة، **تاريخ حضارة وادي الرافدين** في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثرية والمصادر التاريخية، ج1، (د.ن)، (د.م.ن)، (د.ت)، ص201.

(5)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص33، 34.

وثاني جزء نُشر من قبل الأب "شيل" (Sheil) في سنة 1911م، وقد تلتها عشر سنوات شهدت تدفق مستمر من المواد الجديدة، التي تُظهر أربع نصوص هامة نشرها العالم الأمريكي المختص في السومريات "آرنو بوبل" (Arno Poebel) في عام 1914م، واثنين آخرين نشرهما "ليقرن" (Legrain) في سنتي (1921/1920م)، وجاء آخر المنشورات على يد "ولد بلونديل" (Weld-Blundell)، وهي في الحقيقة تعتبر آخر دراسة تسبق دراسة "جاكوبسن" لقائمة سلالات الملوك، وقد وصفت بالصحة مقارنة مع سابقاتها التي اهتمت تقريبا بملء ثغرات النص، وذلك في الحقيقة شكّك في صحة هذه القوائم[1].

ب. تعريفها:

قوائم سلالات الملوك السومرية هي أثبات مطولة ومفصّلة، شملت الملوك الذين حكموا البلاد في عهد ما قبل الطوفان، ثم السلالات التي حكمت من بعد ذلك، إلى الزمن الذي جمعت فيه تلك الأثبات؛ فقد جمع الكتبة في حضارة وادي الرافدين قوائم بأسماء الملوك والسلالات الحاكمة في البلاد، وخلّفوا من ذلك نماذج متنوعة ومهمة بعضها يتضمن أسماء ملوك سلالة معينة واحدة، وبعضها يتضمن جملة من السلالات، فيما يعرف بـ"أثبات الملوك السومرية" (The Sumerian King List)[2]، وقد سميت بالسومرية "نام لوجال" (Nam- Lugal) وبالأكدية "لوجوجرام"[3].

ويعرِّفها "سيتون لويد" على أنها مجرد سجّل، تم استعادته وجمعه في وقت لاحق نتيجة لمعلومات تقليدية، في الوقت الذي كان الحكام يورّثون السلطة من مدينة إلى أخرى، ولذلك جاء تسجيل تسلسل السلالات، مع ارتباط الملوك بالمدن والتي ارتبطت بالملكية، وبذلك أدّت هذه القوائم إلى توضيح مفهوم رابطة الدم الملكي لدى السومريين على الأرض، وأنها تجسِّد للمرة الأولى فهرساً

(1)- Thorkild Jacobsen, **The Sumerian King List**, The University of Chicago Press, Chicago, 1939, pp 1-3.

(2)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص165، 166.

(3)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص33، 34.

بأسماء المدن السومرية الرئيسية، كما ورد ذكرها في اللوح مثل: سيبار[1] وأور وشوروباك وكيش وآداب[2] وماري[3] وأكشاك[4] ولجش وايسن[5] ولارسا[6] وغيرها من المدن[7].

وتعتبر قوائم سلالات الملوك من المصادر المهمة التي اعتمدها الباحثون في حضارة وادي الرافدين، لتحديد تسلسل الحكام والملوك والسلالات التي حكمت في وادي الرافدين منذ أبعد العصور إلى العصور التاريخية[8].

ويعلِّق طه باقر على هذه الأثبات بأنها ذكرت السلالات الحاكمة، مع عواصمها أو المدن التي حكمت فيها على أنها متعاقبة، في حين أن الكثير منها كان متعاصراً بصورة كلية أو جزئية، كما

---

(1)- **سيبار** (**Sippar**): إحدى المدن السومرية تقع بالقرب من الفرات شمالي بابل، كانت مدينته مركز سلالات ما قبل التاريخ وقد اشتهرت بعبادة الإله "اوتو" وقرينته "ايا"، حاليا هي ابو حبة، قرب اليوسفية. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص518، أنظر كذلك: فؤاد جميل، الطوفان، المرجع السابق، ص13.

(2)- **آداب** (**Adab**): أو "أدب" مدينة سومرية كانت مقراً للسلالة الحاكمة في مطلع العصر التاريخي اسمها الحالي "بسمايا"، يعود تأسيسها إلى عصر السلالات وهي تقع على أحد فروع الفرات. أنظر: جماعة من علماء الآثار السوفييت، **العراق القديم** دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تر: سليم طه التكريتي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص269. أنظر كذلك:

Karen L. Wilson, **Bismaya Recovering the Lost city of Adab**, Oriental Institute Publications volume 138, Chicago, 1984, p32,33.

(3)- **ماري** (**Mari**): مدينة قديمة على الفرات الأوسط بالغرب من الحدود السورية العراقية الحالية اسم الموقع اليوم تل الحريري كانت مقرا للسلالة الملكية العاشرة بعد الطوفان أنظر: هنري. س.عبودي، المرجع السابق، ص179.

(4)- **أكشاك** (**Akshak**): مدينة أكادية قديمة كانت تقع على نهر دجلة سيطرت على سومر وبلاد أكاد قبل السلالة السرجونية احتلها أي أناتوم" حوالي 2500 ق.م، موقع المدينة الحالي قد يكون في "تل عمر" أو "تل أبير". أنظر: نفسه، ص115.

(5)- **إيسن** (**Isen**): مدينة في بلاد ما بين النهرين السفلى كانت عاصمة سلالة أمورية تعرف اليوم باسم "ايشان البحرية" أو البحريات، تقع جنوب محافظة بابل وشمال القادسية تأسست على يد "اشبي ايرا" (Ishbi- Erra) في 2017 ق.م واستمرت إلى غاية 1094ق.م. أنظر: عامر سليمان، **القانون في العراق القديم** دراسة تاريخية وقانونية مقارنة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص199.

(6)- **لارسا** (**Larsa**): مدينة سومرية قديمة في بلاد ما بين النهرين السفلى منافسة لمدينة أور، دخلت في صراع مع ايسن وانتهت بالوقوع في قبضة بابل أيام حمورابي، اسم المدينة الحالي "سنكره". أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص736.

(7)- سيتون لويد، **آثار بلاد الرافدين** من العصر الحجري القديم إلى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، دار دمشق، سوريا، 1993، ص124.

(8)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص161،162.

بالغت في الأرقام المخصصة لسنين حكم الملوك، وبوجه خاص ملوك السلالات القديمة مما قبل الطوفان وما بعده بقليل، كما أن جامعي تلك الأثبات أغفلوا ذكر سلالات حكمت في العصور القديمة، مثل سلالة مدينة لجش في عصر فجر السلالات الثالث، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب سياسية، إلى غير ذلك من العيوب والشوائب التي تجعل الإفادة منها كمصدر تاريخي لا تتم إلا بعد التمحيص والاستعانة بالمصادر الأخرى[1]، ويضيف "دافيد ماكدونالد" (David Macdonald) أن قوائم سلالات الملوك وثيقة معقدة، إلا أنها احتفظت بأسماء الملوك من وقت مبكر، على الرغم مما فيها من شوائب وربما لأنها تناولت فترة مبكرة جداً، حتى أنها تعود إلى متوشالح[2] جد نوح عليه السلام.

ج. تدوينها:

وجدت عدة نسخ تبدأ بتعداد السلالات الحاكمة من أزمان ما قبل الطوفان، وكان آخرها النسخة التي دوِّنت في عهد سلالة "إيسن" البابلية، حيث تنتهي هذه الأثبات في نهاية حكم هذه السلالة[3]، ويذكر طه باقر أنه يحتمل أن النسخة التي ترجمها –وقد اعتمدتها في هذا الصدد– قد دوَّنت في فترة حكم الملك "اوتوحيكال"، ثم أضيفت إليها قوائم سلالتا أور الثالثة وايسن في النسخة الاخيرة، التي جاءت من عهد سلالة ايسن[4]، أما زمن أول جمع لها فيُرجّح أنه قد تمّ في عهد سلالة أور الثالثة[5] (2112-2004ق.م)[6].

(1)– طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص166.

(2)- David Macdonald, "the Flood Mesopotamian Archaeological Evidence", Creation Evolution Journal, vol8, Issue 23, Spring 1988, p17.

(3)– أحمد سوسة، المرجع السابق، ص197.

(4)– طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص415.

(5)– **سلالة أور الثالثة:** هي ثالث اسرة حكمت في اور، ويعود الفضل لها في بناء ثاني اعظم امبراطورية في وادي الرافدين يذكر ليك أنها حكمت من 2113 الى 2004ق.م. أنظر: G. Leick, Op. Cit, p174.

(6)– طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص166.

د. ترتيبها:

سجّل الكتبة السومريون جداول في تعاقب زمني يشير إلى مدة حكم الملك ثم الأسرة، وقد قُسّمت الجداول إلى قسمين يفصلها الطوفان؛ ما قبل عصر الطوفان وهو العصر الأسطوري وما بعده وهو العصر التاريخي[1]، وقد قام طه باقر بترجمة هذه القوائم وأورد ترتيبها وسأدرج ترجمة هذه القوائم مع اختصار أسماء الملوك الواردة فيها كالتالي:

د.1. سلالات حكمت قبل الطوفان:

السلالات التي حكمت قبل الطوفان بدأ حكمها بنزول الملَكية أولا من السماء إلى الأرض، وأول ما نزلت الملكية على الأرض تجسّدت في خمس مدن متعاقبة، وكان مجموع ملوكها ثمانية ملوك، ومجموع سنين حكمهم عامة (241000) عام[2].

ففي البداية عندما نزلت الملكية من السماء كانت أولا في مدينة "أريدو"[3] وفيها أصبح "آلوليم" (Alulim) ملكاً وحكم مدة 28000 سنة[4]، ثم حكم "ألكار" (Alagar) 36000 سنة، ثم يحصي عدد ملوك هذه السلالة وسنوات حكمها فيقول ملكان حكما 64000 سنة، ثم انتقلت إلى "باد–تيبيرا" وخصّصت أثبات الملوك لهذه المدينة ملكان مجموع حكمهم (180000 عام)، هما "أينملو–أنا" (Enmenlu-anna) حكم مدة 43000 سنة، و"اينمنكال–أنا" (Enmengal-anna)

(1)– أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم** مصر العراق ايران، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص256.

(2)– ورد في ترجمة أثبات الملوك أن مجموع حكم الملوك الثمانية الذين حكموا قبل الطوفان كان 241000 سنة في حين أن مجموع السنوات التي أدرجت لكل ملك منهم يكون حاصلها مختلف عن ذلك بكثير ولا أدري أين الخلل ربما هناك ملوك لم يذكروا وذلك في الحقيقة يفسّر ربما السنوات الخرافية التي حكموها.

(3)– **أريدو** (**Aridou**): هي مدينة سومرية قديمة في جنوب بلاد الرافدين الاسم الحالي لها هو "ابو شهرين" كانت تعتبر المقر الشتوي للإله أنكي إله المياه الجوفية، تقع على بعد 19 كلم جنوبي غربي اور وعلى مسافة 240 كلم من الخليج العربي أو البحر الفارسي كما كان يسمى سابقا، تعتبر مقر أولى السلالات على الأرض وفق قوائم سلالات الملوك السومرية وقد أكد البحث الأثري مكانة هذه المدينة كمركز ديني. أنظر: أحمد امين سليم، المرجع السابق، ص233. انظر كذلك:
G. Leick, Op. Cit, p170.

(4)– وقد ورد في نسخ أخرى 28800 عام. منها كما ورد في ترجمات أخرى لأثبات الملوك، ويدرج مجموع حكم الملكين بناءً على ذلك بـ 64800 عام أنظر: فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص4.

وحكم 28000 سنة[1]، وثالث ملك هو "دموزي" الراعي، وقد حكم مدة 36000 سنة، ثم انتقلت الملَكية من "باد- تيبيرا" الى "لاراك"[2] التي حكم فيها ملك واحد هو "اينسيبازيانا" (Ensipazianna) مدة 28000 سنة[3]، ثم تركت الملكية لاراك، وانتقلت إلى مدينة سيبار، وقد حكم فيها ملك واحد هو "أينميدر-أنا" (Enmenduranna) مدة 21000 سنة، وأخيرا انتقلت الملَكية إلى مدينة شوروباك، وحكم فيها ملك اسمه "اوبار توتو" (Ubar- Tutu) مدة 18000 سنة[4]، وبعد ذلك مباشرة يذكر كيف اكتسح الطوفان البلاد[5].

د.2. سلالات حكمت بعد الطوفان: وبعد الطوفان الذي أهلك البلاد ورد ذكر ملوك حكموا ما بعد الطوفان في قوائم، على الرغم من أن البعض من أسماء الملوك جاء مشوهاً ولا يمكن قراءة اسمه الصحيح، ومنها ما تغيب فترة حكمه، ولأن القائمة تطول لتصل إلى غاية حكم سلالة ايسن[6].

تفيد قوائم سلالات الملوك السومرية انه بعد الطوفان أُنزلت الملكية مرة أخرى من السماء على مدينة كيش، ومنها انتقلت إلى غيرها من المدن السومرية بالتوالي، وفي كيش حكم 23 ملك مدة (240510 سنة)، كان أولهم "كاور" وآخرهم "أكا" او "أجا" ابن "اينمبير-أكيسي" الذي حطّم جيوش عيلام[7] ودخل في حروب مع جلجامش خامس ملوك الوركاء، وكانت نتيجة هذه الحروب

---

(1)- وفي نسخ أخرى مدة حكم هذا الملك 28800 سنة. أنظر: فؤاد جميل، المرجع السابق، ص13.

(2)- **لاراك** (**Larak**): مدينة تقع إلى الشمال من اريدو على بعد 130 كلم. أنظر: قاسم الشواف، المرجع السابق، ص280.

(3)- وفي نسخ أخرى مدة حكم هذا الملك خيالية وصلت إلى 288000 سنة. أنظر: فؤاد جميل، المرجع السابق، ص12.

(4)- وفي نسخ أخرى مدة حكم آخر ملك كانت 186000سنة، وقد ورد باسم "(؟)جي-دي". أنظر: فؤاد جميل، المرجع السابق، ص13.

(5)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص319، 320.

(6)- نفسه، ص318.

(7)- **عيلام** (**Elam**): تسمية أطلقها كتاب العهد القديم على المنطقة الواقعة غربي مملكة فارس وشرقي مملكة بابل وجنوبي مملكة آشور وميديا كانت عاصمتها شوش او شوشان، والعيلاميين ذكروا في نصوص شبه اسطورية منذ الالف الثالث قبل الميلاد، كانوا يفرضون سيطرتهم أحيانا على وادي الرافدين ويخضعون لسيطرة هذه البلاد أحيانا أخرى، دامت حضارة عيلام من 5000ق.م إلى 539ق.م. أنظر: نصار سليمان السعدون، **بلاد الرافدين وعيلام** العلاقات الحضارية في التاريخ القديم، دار انانا، دمشق، 2010، ص ص20-27. أنظر كذلك:

Barbara A. Somervill**, Empires of Ancient Mesopotamia** Great empires of the past, Chelsea House, New York, 2010, p29.

انتقال الملكية إلى أسرة الوركاء[1]، التي كانت تسمى "أي-أنا"، وفيها حكم 12 ملك أولهم "ميسكيكاشر" ابن "اوتو" بصفته كاهن وملك، وآخرهم "لوكال -كيدو"، ومجموع حكمهم 2310 عام، ثم انتقلت الملكية إلى اور، أين حكم أربعة ملوك حكموا 177 سنة[2].

ومن أور انتقلت الملكية إلى أوان[3]، وفيها حكم ثلاثة ملوك مدة 356 عام، ولكن أسماءهم كانت مشوهة في القائمة فتعذّرت قراءتها، وبعد دحر أوان انتقلت الملكية إلى كيش مرة ثانية، وحكم فيها ثمانية ملوك مدة 3195 سنة، وعندما دحرت كيش انتقلت الملكية إلى حمازي[4] أو خمازي، وحكم فيها "هدانش" مدة 360 سنة، ومن بعدها انتقلت الملكية إلى أوروك حيث حكم فيها ثلاثة ملوك، ومن اوروك انتقلت الملكية إلى أور مرة ثانية، وحكم فيها ثلاثة ملوك مدة 116 عام، ولكن أسماؤهم جاءت مخرومة لا يمكن قراءتها، ومن أور انتقلت الملكية إلى أدب حيث حكم فيها "آنيموندو" مدة 90 سنة، ومنها انتقلت الملكية إلى ماري، وحكم فيها ستة ملوك مدة 136 سنة، ومن ماري انتقلت الملكية إلى كيش مرة ثالثة، وفيها حكمت ملكة اسمها "كوباو" أو "كوبابا" مدة 100 سنة، ومن كيش انتقلت الملكية غلى أكشك، وحكم فيها ستة ملوك مدة 99 سنة، واسترجعت كيش في المرة الرابعة الملكية بعد أكشك، وحكم فيها سبعة ملوك مدة حكمهم 491 سنة[5]، وبعدما دُحرت الملكية فيها انتقلت إلى أوروك مرة ثالثة، وفيها حكم "لوجال زاجيزي"[6] مدة 25 سنة وفي

(1)- أحمد امين سليم، المرجع السابق، ص258.

(2)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص ص319-323.

(3)- **أوان (Awan)**: مدينة عيلامية لم يُعثر على موقعها، ويروي التقليد البابلي أنها سيطرت على سومر وأكاد في الحقبة التاريخية الواقعة بين الطوفان والأزمنة التاريخية، قامت سلالة ملكية في أوان ضمن ثلاث ملوك لم تذكر اسماؤهم. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص145.

(4)- **حمازي (Hamasi)**: سلالة عيلامية ورد في النصوص السومرية أنها حكمت بلاد ما بين النهرين في الحقبة الزمنية الواقعة بين الطوفان وبداية العصور التاريخية. أنظر: نفسه، ص339.

(5)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص ص325-328.

(6)- **لوجال زاجيزي**: من أقوى ملوك أوما وهو ابن اوكش، هاجم لجش واستولى عليها، كما استولى على أوروك وجعلها عاصمة له وأسس بها سلالة الوركاء الحاكمة سنة 2300 ق.م، حكم حوالي 25 سنة، قضى عليه سرجون الاكادي في حدود 2340 ق.م. أنظر: جماعة من علماء الآثار السوفييت، المرجع السابق، ص 57. أنظر كذلك: نفسه، ص291.

عهده ورثت أوما[1] مركز لجش بين المدن السومرية، بل وقام بتوحيد المدن السومرية ونقل العاصمة إلى أوروك، ولكن بسقوطه انتهى عصر سلالة أوروك الثالثة، وعصر الأسرات المبَكرة لحكومات المدن في وادي الرافدين[2].

انتقلت الملكية إلى أكد[3] أو أكاده (Agade) على يد سرجون الأكدي[4] وخلفاءه، وهم 11 ملكاً مدة حكمهم 197 سنة، كان آخرهم ملوك ضعاف من بعد "شار كالي شري"، وبعد أن دحرت الملكية في أكد انتقلت في رابع مرة إلى أوروك، وحكم فيها خمسة ملوك مدة 30 سنة، وانتهى عهد السلالة الرابعة على يد الجوتيين (الكوتيين)[5] الذين حكموا بـ12 ملك مدة 91 سنة، وانتهى حكمهم على يد "أوتوجيكال " (Utu khegal) الذي حكم سبع سنوات، ومن ثم انتقلت الملكية

---

(1)- **أوما (Umma)**: مدينة سومرية قريبة من لجش عدوتها اللدودة، تقع آثارها في الموقع المعروف باسم "تل جوخة" على الشاطئ الأيمن من نهر الغراف شمالي غربي مدينة الشطرة. انظر: G. Leick, Op. Cit, p174.

انظر كذلك: جماعة من علماء الآثار السوفييت، المرجع السابق، ص 52.

(2)- أحمد امين سليم، المرجع السابق، ص ص258-260.

(3)- **أكد (Agade)**: منطقة في وسط بلاد ما بين النهرين، مجاورة لبلاد سومر التي أصبحت تابعة لها اعتبار من حكم سرجون الأكادي، وقد أطلقت تسمية بلاد أكاد لاحقا على بلاد بابل وظلّت تشكل كياناً سياسياً مستقلاً عن سومر رغم اتحادها معها طيلة الفترة السابقة للمرحلة الفارسية، وكان أمراؤها يحملون لقب "ملك سومر وأكاد"، وظلت تحافظ على مركزها إلى غاية 2150 ق.م، أين ظهر الجوتيون الذين وضعوا حداً لسيطرتها. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص115. أنظر كذلك:
C. P.Tiele, **Histoire Comparée des Anciennes Religions**, trad: G. Collins, G. Fishbacher Editeur, Paris, 1882, p160.

(4)- **سرجون الاكدي (Sergon of Agade)**: (2334-2279ق.م) أسس السلالة الأكدية وأول امبراطورية في وادي الرافدين تمتد من أعلى البحر الى أسفله، نجاحه استثنائي وشخصيته اسطورية. أنظر: G. Leick, Op.Cit, p174.

أنظر كذلك: Jane R. McIntosh, Op. Cit, p298.

(5)- **الجوتيون أو الكوتيون (Gotium)**: لا يعرف عنهم إلا أنهم من أهل الجبال يظن أنها جبال زاجروس أو المرتفعات الشرقية والشمالية الشرقية، هدّدوا الدولة الأكدية خاصة بعد وفاة "نرام سين" حيث تدفقوا على وادي الرافدين وفوضوا وجودهم في أغلب أجزاءها في فترات الضعف الأخيرة للدولة، نزحوا ناحية وادي الرافدين في حدود سنة 2210 ق.م، واتخذوا من مدينة "أرابخا" (حاليا كركوك) مركزا لهم ثم استولوا على بلاد سومر وأكد، تولى الحكم منهم 21 ملكاً دام حكمهم حتى عام 2116 ق.م. أنظر: عبد العزيز صالح، **الشرق الادنى القديم** مصر والعراق، ج1، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، (د.ت)، ص641، أنظر كذلك: جماعة من علماء الآثار السوفييت، المرجع السابق، ص62. انظر كذلك: علي فاضل عبد الواحد وآخرون، **جوانب من حضارة العراق، العراق في التاريخ**، دار الحرية، بغداد، 1983، ص78.

إلى اور وكانت سلالة أور الثالثة[1]، وعدد ملوكها ستة ملوك حكموا من (2112–2004 ق.م)، وبعدها تأتي سلالة ايسن وفيها حكم 15 ملكا مدة (2017– 1794 ق.م)[2].

انتهت قوائم سلالات الملوك السومرية في حكم سلالة ايسن كما سلف الذكر، وتجدر الإشارة إلى الأرقام الأسطورية التي قدمتها كفترة حكم ملوكها، حيث بات من الصعب معرفة متى انتهى العصر الاسطوري ومتى بدأ العصر التاريخي؟، ومع ذلك فقد حملت في طياتها كثيرا من المعلومات التاريخية، وما يهم في الدرجة الأولى أن الوثيقة تتحدث بوضوح عن طوفان يفصل بين فترتي حكم سلالات سابقة له وأخرى تالية له، وأن الطوفان قد حدث في وادي الرافدين، وأنه جاء من قبل الآلهة، لأن هذه الأخيرة أعطت البشر فرصة ثانية بعد الطوفان، وانتدبت منهم حكاماً وانزلت الملكية مرة ثانية في لجش، ومنها إلى مدن متعددة انتقلت بينها بشكل متعاقب[3]، وبما أن الطوفان حدث في المنطقة وجب إدراج التنقيبات الأثرية التي تعزّز حدوثه.

3. التنقيبات عن مدن الطوفان:

ما يهمنا من الحفريات التي جرت في وادي الرافدين تلك المتعلقة بالطوفان، فالتنقيبات التي كانت سبباً في الكشف عن الألواح التي وردت فيها قصة الطوفان المختلفة، والتي أكّدت حدوث طوفان عارم في المنطقة، ورويت أحداثه في أساطير وملاحم أدبية سأتناولها في الفصل الثالث، أما في هذا المقام سأحاول التطرق للمدن التي حدث فيها الطوفان، وقد سماها علماء الآثار بمدن الطوفان وهي "أور" و"كيش" و"شوروباك"، وتدل كافة الحفريات على فيضانات عمّت جنوب وادي الرافدين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وقد كانت تلك الفيضانات تلحق كوارث وأضرار جسيمة بالناس وممتلكاتهم[4].

وتجدر الإشارة إلى أن البعض وقعوا في مغالطات فيما يخص مدن الطوفان، ويذكروا بالإضافة الى المدن السابقة، مدناً لم يجد فيها المنقبون آثار للطوفان مثل أريدو وأوروك[5]، ولذلك ارتأيت ان

(1)– طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص ص323–328.

(2)– نفسه، ص491.

(3)– محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص38، 39.

(4)– عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص16.

(5)– هارون يحي، المرجع السابق، ص37.

أذكر فقط المدن التي وجدت فيها طبقات صلصالية دلَّت على حدوث طوفان في المنطقة، وسنوجز فيما يلي نتائج التنقيبات:

أ. التنقيبات في أور:

جاءت أولى التنقيبات الأثرية في مدينة أور في سنة 1854م على يد القنصل الإنجليزي "ج. تي. تايلور" (J. E. Taylor)، ثم تجدّدت في سنة 1918م على يد "كامبل تومبسون" (Campbel Thompson) ثم انطلقت من جديد على يد الدكتور "هال" (Hall) في 1919م[1]، الذي اهتم بالتل الصغير القريب المسمى تل العبيد[2]، أربعة أميال (ما يقارب 6كم) شمال مدينة أور[3]، وقد حقّق بعض الاستكشافات الرائعة قبل استدعائه[4]، ليخلفه السير "ليونارد وولي" على رأس البعثة التي شارك فيها المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأمريكية في الفترة الممتدة ما بين (1920-1934م)، للبحث عن آثار العبيد، وقد حدّد موقعين للتنقيبات إلى الشمال من الزيقورة[5] وإلى الجنوب من المعبد[6]. (أنظر الملحق رقم 03 ص 287)

وكان لـ"وولي" السبق الأثري في اكتشاف المقابر الملكية في أور في خريف 1922م على عمق 20م من الموقع المذكور، وقد أحصى عدد المقابر الملكية بألف وثمان مائة قبر ملكي[7]، ووجد فيها كنوز سومرية لا نظير لها (كؤوس، أباريق، أواني ثمينة، مواد ذهبية وبرونزية وفضية وأخرى مصنوعة من

---

(1)- اندري بارو وأندري مالرو، **سومر** فنونها وحضارتها، تر: عيسى سليمان وسليم طه التكريتي، (د.ن)، بغداد، 1977، ص66.

(2)- **العبيد**: أبناء حضارة العبيد التي قامت في ما بين (4500-3500 ق.م)، وقد جاؤوا من شمال وادي الرافدين إلى الجنوب إلى منطقة العبيد التي تقع على بعد 8,5 كم من أور وأسسوا مدينة "أور". أنظر: أسامة الجوهري، المرجع السابق، ص25.

(3)- H. Donald Daae P. Geol, Op. Cit, p169.

(4)- نيكولاس بوستيفيت، **حضارة العراق وآثاره** تاريخ مصور، تر: سيد عبد الرحيم الجلبي، ط1، دار المأمون، بغداد، 1991، ص55.

(5)- Leonard Woolley, (Ur Excavations the Royal Cemetery), Op. Cit, p5.

(6)- المعبد الذي كرّسه الملك "أ. انيبادا" (A'annippadda) للإلهة "نين كورساغ" (Nin-Kharsag) والدة وزوجة الإله "انليل" (Enlil) عثر عليه هال مع الكثير من اللقى الأثرية وهو في حالة جيدة، حيث بقيت واجهاته والمنصة المصنوعة من القرميد بحالة سليمة سمي معبد "نون-ماه". أنظر: سيتون لويد، المرجع السابق، ص142.

(7)- Leonard Woolley, (Ur Excavations the Royal Cemetery), Op. Cit, p4,5.

الأحجار الكريمة) بالإضافة إلى ألواح طينية كانت تحوي قيود وسجلات تاريخية تعود إلى ما قبل العائلة الملكية لأور[1].

وبمواصلة التنقيب كانت البعثة تصل في كل مرة إلى طبقة أثرية[2] جديدة، وصل مجموعها إلى تسع طبقات، فالمقبرة الملكية تعود إلى عصر فجر السلالات أي حوالي (2750–2450ق.م)، كما وجدت تحتها قبور تعود لفترة أقدم أرخت بسلالة أور الثانية[3]، وكانت هناك قبور أخرى كشفت عن أدلة على الفن السرجوني مثير للإعجاب ترجع إلى 2400 ق.م[4]، وتلتها سلسلة من القبور المبنية من الآجر والمعقودة من عصر السلالة الثالثة في أور، ومن ثم وصل ليونارد وولي إلى الحفرة الغرينية التي تؤكّد حدوث طوفان في المنطقة أُرخ له بنهاية عصر العبيد في نحو 4000 ق.م[5]، وقد وصل سمك الطبقة الغرينية إلى 3.5 م[6].

وقد ذكر ليونارد وولي أن هذا الطين يتكون من مواد جرفتها المياه من المنطقة الوسطى لنهر الفرات، كما وجد في أسفل طبقات الطمي ثلاث طبقات من الأواني الفخارية والأدوات الصوانية تشبه إلى حد بعيد تلك التي اكتشفت في تل العبيد، وهي تعود للعصر الحجري، فقد أثبت بذلك ليونارد وولي وقوع الطوفان في المنطقة، وأن ارتفاعه لم يكن أقل من خمس وعشرين قدماً (7.5 م)[7]، ويقول ماكس مالوان أن الطوفان لم يكن عالمياً، وإنما كان كارثة محلية حصرت وادي دجلة والفرات الاسفل، لأن مياهه لم تغمر كافة المدن المجاورة لأور مثل أريدو وأوروك، كما أنه لم يشمل كل المدينة بكاملها بدليل القبور التي نجت من مياه الطوفان[8].

(1)- Leonard Woolley, (Ur Excavations the Royal Cemetery), Op. Cit, p7.

(2)– **طبقة أثرية** (**Level**): هي دور بنائي أو دور سكني سواء كان البناء من جدران وتباليط تابعة لها، أم من أرضيات ترابية أو طينية مدكوكة من بقايا سكنات أو اكواخ. أنظر: طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص154.

(3)- Leonard Woolley, (Ur Excavations the Royal Cemetery), Op. Cit, p9.

(4)- Ibid, p17.

(5)– ماكس مالوان، **مذكرات مالوان** عالم الآثار وزوج أجاثا كريستي، تر: سمير عبد الرحيم الجلبي، منشورات الجمل، بيروت، 2014، ص56، 57.

(6)- Max Mallowan, "Noah’s Flood Reconsidered", Journal of Iraq, volume 26, 1964, p71.

(7)– أحمد سوسة، **فيضانات بغداد**، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، 1962، ص187، 188.

(8)- Max Mallowan, Op. Cit, p71.

كان ليونارد وولي لسوء الحظ يميل إلى تكوين أفكار مسبقة، وكان صميمها أن يثبت أن مكتشفاته هي الأقدم من أي أثر من هذا النوع[1]، خاصة وأنه كان يطمح في رحلته إلى أور أن يكشف بعض الإشارات عن إبراهيم عليه السلام لأنه قد تدرّب ليصبح عالماً في اللاهوت، وكان مقرراً في وقت ما أن ينظمّ إلى الكنيسة[2]، ولذلك كان يرى أن طوفان أور الذي اكتشفه كان مبكرا جداً، بحيث لا يمكن أن يُقرن بمدونات الطوفان في وادي الرافدين التي ترتبط بملك شوروباك "اوتا-نبشتم" في بداية عصر السلالات 2900 ق.م ولا بزمن الطوفان التوراتي[3].

ب. التنقيبات في كيش:

المدينة الثانية التي حملت آثار الطوفان العظيم هي كيش السومرية، وحسب المصادر السومرية القديمة كانت هذه المنطقة مقر لأول سلالة حاكمة بعد الطوفان[4]، وأول التنقيبات في هذه المدينة كانت في سنة 1912م، على يد الخبير بالآشوريات "هنري دي جينوياك" (Henri de Gencuillac)[5]، وتجدّدت التنقيبات في كيش بعد الحرب العالمية الأولى في سنة 1923م، على يد بعثة انجليزية أمريكية ترأّسها "لانكدون" (Langdon) المتخصص بالآشوريات، وساعده في ذلك "مكاي" (Mackay)، والأثري الفرنسي "وايتلين" (Watelin)، وقد أمضت هذه البعثة مدة عشر سنوات في كيش من (1923-1933م)[6].

صرّحت البعثة الأركيولوجية بأنها عثرت على آثار للطوفان في كيش، بعد أن أكّد ليونارد وولي على عثوره على دلائل حدوث الطوفان في أور كما سلف الذكر[7]، وكانت طبقات من التراب الأحمر -الذي رسبته مياه الطوفان- سمكها 8 أقدام (3م) على عمق (11 متر) تقريباً تحت أطلال المدينة[8].

---

(1)- ماكس مالوان، المرجع السابق، ص58.

(2)- نفسه، ص39.

(3)- نفسه، ص56.

(4)- طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص320.

(5)- اندري بارو واندري بالرو، المرجع السابق، ص62.

(6)- نفسه، ص66.

(7) - David Macdonald, Op. Cit, p15.

(8)- S. Langdon, "Excavation at Kish, 1928-9", Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain & Ireland (New Series), vol62, Issue 03, July 1930, pp601-610.

كما ذكرت البعثة أنها وجدت على عمق متر واحد تحت الطبقة الحمراء آنية خزفية ترجع إلى عهد ما قبل التاريخ، ثم وجدت تحتها طبقة من آثار عصور فجر السلالات، وعثرت فيها بقايا عربة، وقد وجدت تحت هذه الطبقة طبقة تعود آثارها الى عصر جمدة نصر، وكان الخندق التجريبي الذي حفرته البعثة في هذا الموقع يمتد الى عمق 17 م، حيث ظهرت في نهايته التربة العذراء الخالية من آثار الانسان[1].

وقد نشر "وايتلين" نتائج تنقيباته في سنة 1934م بعنوان "التنقيبات الأثرية في كيش"، وقدّر زمن وقوع فيضان كيش حوالي 2900ق.م، في نهاية سلالة كيش الأولى، وقد أكّد أن فيضان كيش هو طوفان نوح عليه السلام لأنه يقترب من فترة جلجامش (2650ق.م)، ويؤكد على أن كيش حدثت فيها ثلاثة فيضانات أقدمها هو طوفان نوح عليه السلام المذكور في التوراة[2].

ج.التنقيبات في شوروباك:

تعتبر شوروباك ثالث مدينة من مدن الطوفان حيث ظهرت فيها آثار الطوفان العظيم[3]، وكانت أول حملة تنقيب إلى مدينة شوروباك في سنة 1902م[4]، ثم استأنف العمل بها بعد الحرب العالمية الأولى حيث قاد الحملة الاثرية في هذه المنطقة "ايريك شميديت" (Eric Schmidt) من جامعة بنسلفانيا في الفترة الممتدة ما بين (1920–1930م)[5].

وقد وصل "شميديت" إلى عمق ثلاثة إلى أربعة أمتار تحت سطح الأرض ليجد طبقة من التربة الصفراء (تشكلت نتيجة الطوفان) كانت هذه الطبقة متشكلة من خليط من الطين والتراب، عرف شميديت أن هذه الطبقة تعتبر من بقايا عهد "جمدة نصر" وربطها مع طوفان نوح عليه السلام[6].

كشفت الدلائل التي خرجت بها الدراسات النهائية، أن منطقة الطوفان قد غطت مساحة 600 كلم طولا من الشمال الى الجنوب، هذا يعني أن الطوفان قد غطى كافة سهول وادي الرافدين،

(1)- P.R.S. Moorey, Op. Cit, p98.
(2)- L. Ch. Watelin & Stephen Langdon, **Excavations at Kish** (1925- 1930), vol 4, P. Geuthner, Paris, 1934, pp41- 43.
(3)- David Macdonald, Op. Cit, p15.
(4)- ماكس مالوان، المرجع السابق، ص56.
(5)- اندري بارو واندري بالرو، المرجع السابق، ص67.
(6)- H. Donald Daae P. Geol, Op. Cit, p173.

وإذا تأملنا ترتيب المدن (أور، شوروباك، كيش)، التي تحمل أثار الطوفان نجد أنها جميعا تقع على هذا الطريق، وهكذا يكون الطوفان قد شمل هذه المدن وما حولها[1].

ويذكر الراوي أن شمديت نشر بعد انتهاء البعثة من مهمتها في شوروباك مقالته سنة 1931 م في مجلة المتحف الصادرة عن متحف جامعة بنسلفانيا حول النتائج التي حققتها البعثة تحت عنوان: "الاستكشافات الأثرية في مدينة الفارا" (Excavation at Fara) يصرّح فيها على دليل وقوع فيضان في شوروباك وهو أن المتبقيات الأثرية لحضارة جمدة نصر (3100–2900ق.م)، كانت قد انفصلت عن متبقيات حضارة السلالة الملكية المبكرة (2900–2371ق.م)، بتربة غرينية دالة على ترسبات غمرة الفيضان، الذي وقع في شوروباك حوالي 2850 ق.م، أي حوالي 50 عام بعد فيضان كيش، الذي وقع نحو 2900ق.م[2].

أثبتت التنقيبات عن مدن الطوفان أن فيضانات حدثت في المنطقة، ووفق التنقيب الأثري الذي أجرته بعثة ليونارد وولي في اور وكيش وتنقيبات البعثة الالمانية في شوروباك، كان أولها طوفان أور الأول الذي يعود الى 3500ق.م، ثم فيضان كيش الأول الذي حدث في 2600ق.م، ثم فيضان شوروباك في حوالي (2950–2850 ق.م)، ثم فيضان كيش الثاني في فترة أحدث[3].

والشيء الملاحظ أن هذه الفيضانات لم تتزامن مع طوفان نوح التوراتي الذي تؤرخ له التوراة بـ(2142ق.م)، على الرغم من هذا التاريخ لا يتماشى مع واقع أحداث الحضارات، حيث كانت هناك معالم حضارية بقيت على حالها بعد وقوع الطوفان في مصر والعراق وبلاد كنعان، ما يدل على أن تاريخ الطوفان التوراتي مغلوط، ومع ذلك اعتبرته البعثات الأثرية تاريخاً موثقاً وجّه كل جهودها التي جرت على أساس مغلوط لذلك لم تحقق أغراضها[4].

وبما أن الأثريين لم يثبتوا أي من الطوفانات السابقة طوفان نوح ﷺ لأنه لم يتزامن مع بعضها البعض من جهة، ولم يكن عاماً للأرض كما ورد في التوراة من جهة أخرى، وبما أننا لن ننطلق من فرضية إثبات صحة الطوفان التوراتي كما فعل الأثريون، فيمكن أن نفترض أن يكون أحدها طوفان نوح ﷺ، خاصة أنه اختص بمنطقة آهلة بقوم نوح ﷺ لا غير –كما جاء في القرآن الكريم– مثل

(1)- David Macdonald, Op. Cit, p19.

(2)– عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص203.

(3)- David Macdonald, Op. Cit, p15.

(4)– عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص206.

طوفان أور الأول الذي يعود إلى نهاية عصر العبيد، فمن جهة كان ذلك قبل الروايات السومرية للطوفان، وقبل قوائم سلالات الملوك الذي ورد فيه خبر الطوفان، ومن جهة أخرى فهو ينتهي بانفصال حضاري بين العصر الحجري وعصر فجر السلالات التي تلت الطوفان كما ورد في نتائج حفريات ليونارد وولي، كما أنه يعتبر أكبر الفيضانات التي ضربت المنطقة بدليل سمك الطبقة الغرينية التي ترتبت عنه.

فلماذا لا يكون طوفان نوح ﷺ هو فيضان أور الأول؟ خاصة وأننا لا نسلِم بفكرة الطوفان الهائل الذي أغرق الأرض كما ورد في التوراة، فذلك لا يحتاج إلى مقارنة مع ما ورد في التوراة ونكتفي بما وصل له علم الآثار، ولذلك الحين يبقى التساؤل متى حدث طوفان نوح ﷺ؟ كما أن التنقيبات لم تتوقف عند مدن الطوفان فمنها من بدأ من مراسي سفينة نوح ﷺ في إطار جغرافية بلاد ما بين النهرين وخارجها.

4. الاستكشافات عن مراسي سفينة نوح ﷺ:

أشارت التنقيبات السالفة الذكر عن مدن الطوفان على حدوث سلسلة من الفيضانات في الفترة الممتدة من 4000 ق.م إلى 2000 ق.م، في الوقت الذي كانت تشمل فيه حضارة وادي الرافدين ما بين دجلة والفرات، بما فيها أراض تقع الآن في سوريا وتركيا وايران، ويحتمل أن تكون قصة الطوفان قد نشأت من إحدى هذه الفيضانات، وتركت آثاراً لها واضحة في كتابات وأساطير ومعتقدات هذه المنطقة في الشرق الأوسط[1].

خرجت التنقيبات الأثرية والرحلات الاستكشافية لطوفان نوح ﷺ عن المجال الجغرافي لحضارة وادي الرافدين، فهناك من حاول الانطلاق من مكان رسو السفينة للوصول إلى مكان الطوفان وقوم نوح ﷺ، وأغلب الرحلات الاستكشافية جاءت بوازع ديني وهو إثبات ما جاء في الكتاب المقدس وهو أن سفينة نوح ﷺ قد رست في جبال آرارات في تركيا، ومنهم من أراد إثبات أن الطوفان حدث في وادي الرافدين، وأن السفينة رست في صحراء النجف، ومنهم من أرجعه إلى شبه الجزيرة العربية،

(1)- سراج الدين ابن الوردي (691-861هـ)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود الزناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007، ص278.

فنجد من حملات الاستكشاف حملة "روبرت دوان بالارد" (Robert Duane Ballard)[1]، وحملة "وليام ريان" و"والتر بتمان" في البحر الاسود[2]، وحملات في جبال تركيا مثل حملات "رونالد ويات" (Ronald Wyatt)[3] وحملة "ديفيد فاسولد" وغيرهم[4]، ولكل من هذه الأعمال والفرضيات وجهة نظر نحاول في هذا المقام توضيحها لإماطة اللثام على حقيقة طوفان نوح عليه السلام ومراسي السفينة، وسنوجزها في ما يلي:

أ. البحر الاسود:

تشير دراسات في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة أن البحر الأسود كان عبارة عن بحيرة في العصر الجليدي، وأن درجة حرارة الأرض بدأت بالارتفاع قبل حوالي 12000عام وبدأت الكتل الجليدية بالذوبان، وأنه قبل ما يقارب 7000سنة حدث امتداد لمياه البحر المتوسط، وحدث طوفان باتجاه تركيا، وكانت قوة الطوفان معادلة لما يقارب 200 مرة قوة شلالات نياجارا[5].

وبدأت الرحلة الاستكشافية التي قام بها عالم المحيطات "روبرت دوان بالارد" في البحر الأسود عن حطام سفينة الطوفان، حيث ظن في البداية أن أعماق البحر الأسود تحافظ على خشب السفينة ومكوناتها على الرغم من قدم زمن الطوفان، فقد قام فريق بالارد بعمليات الغوص في أعماق البحر

---

(1)- **روبرت دوان بالارد:** عالم محيطات أمريكي اشترك في أكثر من 100 مهمة في أعماق البحار أهمها اكتشاف البارجة الأمريكية بسمارك التي أغرقت في الحرب العالمية الثانية، وسفينة جون كينيدي التي أغرقت في الحرب العالمية الثانية وقد عثر على حطامها في محيط الباسيفيك بالإضافة إلى سفينة تيتانيك التي عثر عليها في المياه الباردة شمال الاطلنطي في 1985م. أنظر: عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص210،211.

(2)- **البحر الاسود (بحر الظلمات):** وهو حوض ضخم يصل عمقه إلى أكثر من 6000 قدم تصب فيه عدة أنهار كبيرة ويتلقى كمية مياه عذبة من مياه الأمطار وتدفق الأنهار فيه أكثر بكثير من تلك التي يفقدها عن طريق التبخر، تندفع بذلك مياهه العذبة إلى البحر الأبيض المتوسط، ويعد مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل الواقع عند النهاية الغربية لبحر مرمرة المخرج الوحيد للبحر الأسود. انظر: وليم ريان وولتر بتمان، **طوفان نوح** الاكتشافات العلمية الحديثة بخصوص الحدث الذي غير التاريخ، تر: فارس بطرس، (د.ن)، (د.م.ن)، 2005، ص84.

(3)- **رونالد ويات:** جيولوجي هاو لم يكتسب تدريب أصولي في التنقيب الأثري ولا في الجيولوجيا اتصف بروح المغامرة والتهور، الف كتاب في 2004 بعنوان "الشكل أشبه بمركب على رابية الحشر" (The Boat- Shaped object on Doomsday Mountain). أنظر: عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص230.

(4)- نفسه، ص207.

(5)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص27.

الأسود بحثاً عن كتل الخشب القديم، وتمكنوا من جلب الخشب إلى السطح لإجراء الاختبارات العلمية عليه، وأرسلت قطع منه للفحص في مختبرات جيولوجية بحرية في جامعة كولومبيا، وقد بيّنت نتائج الفحص أن الخشب يعود إلى سفينة قديمة تعود إلى 2300سنة في القدم وأنها ليست من أخشاب سفينة نوح ﷺ، وذلك جعل بالارد يتوقف عن البحث عن سفينة نوح ﷺ لأنه لم يحقق الهدف المنشود، وهو الشهرة وإضافة إنجاز آخر لإنجازاته[1].

وفي سنة 1983م جاءت حملة "والتر بتمان" و"وليام ريان" للبحث عن آثار طوفان نوح ﷺ في البحر الأسود ضمن بعثة علمية روسية على سفينة أكوانوت (Aquanaut) التي جاءت بهدف التحري على مستويات الفاعلية الإشعاعية في البحر الأسود بعد حادثة شيرنوبيل النووية، وقد أجرى علماء السفينة تصوير لقاع البحر الأسود، فأظهرت الصور الزلزالية طبقة مترسبة منتظمة متسقة طولها 5 أقدام ما يعادل 1.5 م، وذلك يتحقق فقط إذا ترسّبت الطبقة باكتساح مائي قوي واحد وليس بالتدرج، أي بفيضان هائل[2]، كما ساعد اكتشاف نبات طفيلي من الطحالب أحادي الخلية[3] على تحديد الزمن الذي هاجر فيه هذا الطحلب من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأسود، باستخدام جهاز التعجيل الكتلي الطيفي (OAMSO)، وتوصلا إلى أنه قد هاجر قبل 9000سنة من الوقت الحاضر من البحر الأبيض المتوسط باتجاه البحر الأسود، وكانت 9000سنة عنوان محاضرة ألقاها ريان في أكاديمية نيويورك للعلوم[4].

وقد سافر بتمان إلى اسطنبول أين التقى مع صديقه الجيولوجي "جلال شنكور" الذي عرّفه بأصدقائه "محمد ساكينج" وهو عالم ومختص بالعوالق البحرية، الذي كان يرى أن طبيعة قاع محيط البوسفور يمثل مزيجاً من المياه العذبة والمالحة منذ انفتاحه، و"ناجي غورور" الذي كان ملماً بالمسح الناظوري في البحرية التركية وقد كان مسؤولاً عن الأبحاث العسكرية المختصة بعلوم المحيطات وبحوث

(1)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص ص211-213.

(2)- وليم ريان وولتر بتمان، المرجع السابق، ص179، 180.

(3)- **نبات اميليانيا هاكسلاي (Emiliania Baxleyli)**: هو من الطحالب وحيدة الخلية ثنائية السوط تقوم بعملية التركيب الضوئي يظهر هيكلها الخارجي مؤلفا من صفائح صلبة معدنية أو كلسية، هو نبات يعيش في المياه المالحة، وله خصية التكيف مع المحيط الخارجي. أنظر:

G. Leciontre et H. Le Guyader, **Classification Phylogénétique du vivant**, Ed Belin, Paris, 2001, p.

(4)- وليم ريان وولتر بتمان، المرجع السابق، ص196، 200.

علوم المياه، وقد تم مسح قاع المضيق كلياً بواسطة مقياس الصدى الصوتي، وقد استخدمت أجهزة التصوير انعكاسية زلزالية أقوى من جهاز السونار، لفحص هيئة المادة المترسبة التي ملأت مضيقي البوسفور والدردنيل معاً، وقد حصل على صور استطاع من خلالها إحصاء المقاطع المستعرضة للمضيقين وتوصل إلى حدوث فيضان عظيم عند مضيق البوسفور، وأنه حصل على راسب في قاع البحر الأسود تولّد نتيجة انهيار حدث تحت الماء قبل 7500 سنة[1].

ب. جبال أرارات (Mountain Ararat):

هو أعلى قمة جبلية في شرق تركيا (16945 قدم) ما يعادل 5165 م[2]، تشكل الجبل نتيجة ثورات بركانية وكميات الحمم[3]، وهو بركان نائم تغطيه الثلوج سجل آخر نشاط زلزالي في جويلية 1840م، ويقع في شمال منطقة الأناضول محافظة أغري على بعد 16 كلم من الحدود مع إيران، و32 كلم من الحدود مع أرمينيا، له قمتان "ماسيس الكبير" (ابيوك اكري داغ) و"ماسيس الصغير" (كوجك اكري داغ) وهو أقل ارتفاعا (3896م)[4]، واسمه بالتركية "أغري داغ" (Agri Dagh)[5] وبالأرمينية "ماسس" (Masis)، وبالإيرانية "كوه نوح" أي جبل نوح[6]، وهي نفسها التسمية الفارسية التي ذكرها كاسوتو (Cassuto) باسم (Kùb-Nùb) للإشارة لجبل النبي نوح عليه السلام[7].

وهناك عدة معاني واشتقاقات ذكرت للاسم آرارات، فلعل الكلمة مكونة من مقطعين "آر- أرات" و"آري" أي اشتعل واتقد فهو الجبل البركاني، جبل النار (آرات)، أو هو "أور أرات" و"أور"

(1)- وليم ريان وولتر بتمان، المرجع السابق، ص ص212- 214.

(2)- Bill Crouse and Goedon, "Mount Cudi- true Mountain of Noah's Ark", Bible and Spade, 19.4, 2006, p100.

(3)- George Potter, **Ten More Amazing Discoveries**, Acid Free Paper, United States of America, 2005, p67.

(4)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص116.

(5)- Willson Neil, **Harper's Bibel Commentary**, New York, Eve mission, San Francisco, London, (S.D), p31.

(6)- سامي البدري، "النجف مراسي سفينة نوح"، تراث النجف، مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، العراق، العدد الاول، 2009، ص10.

(7)- U. Cassuto, Op. Cit, p105.

هي "حور" أي مغاور السكن وآرات، والبعض يقول أنها "عراد" بإبدال العين والألف والتاء والدال حسب اللهجات القديمة، ومعناه جبل البركان وفق مصطلح التنور الوارد في القرآن الكريم[1].

وهناك من يرى أن أصل الكلمة قديم جدا هو "آرجو رات" أي الأرض المقدسة وهي كلمة أرمينية توصل إلى معناها "سميث ديويت"، وأنها مأخوذة من كلمة اورارتو[2] التي نشأت منذ 3000ق.م[3]، كما يشير لذلك قاموس الكتاب المقدس؛ فيذكر أن آرارات لفظ عبري مأخوذ من أصل أكادي وهو أورارتو لمنطقة شمال آشور مشتركة مع أرمينيا ونشأت بها مملكة[4].

وقد أورد منصور عبد الحكيم اشتقاق آخر للكلمة، أن آرارات كلمة أرمينية وهو منطقة في شرق منطقة أرمينيا بين نهر اركسيس وبحيرات "فان أور" و"مياه" و"هو"[5]، وقد ذكر يوسيفوس أن جبال آرارات هي جبال أرمينيا[6]، وقد جاء ذكر أرض أرارات في أسفار التوراة[7]، أي أن ارارات هي أرمينيا وهي منطقة بأرمينيا اسمها ارارات[8]، وهناك من يحاول إثبات أن أرمينيا لا يقصد بها ارارت الصغير أو ارارت الكبير على وجه الخصوص، بل المنطقة إلى الجنوب وخاصة أن جبل نزير يقع إلى الجنوب وهو لا يتجاوز ارتفاعه 300م[9].

وعلى إثر ما جاء في التوراة بأن سفينة نوح عليه السلام رست على جبال ارارات[10] كما جاء في سفر التكوين: [4**وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ اشَّهْرِ عَلَى جِبَالِ**

(1)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، **طوفان نوح بين الحقيقة والاوهام**، ط1، دار كيوان، دمشق، 2009، ص104، 105.

(2)- **أورارتو** (**Ourartou**): مملكة أو اتحاد مجموعة قبائل محيطة ببحيرة فان في أرمينيا ازدهرت من القرن السادس إلى القرن التاسع قبل الميلاد، امتد نفوذها الى غاية مدينة حلب في الشمال السوري. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص153.

(3)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص115.

(4)- بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص42.

(5)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص114.

(6)- Josèphe Flavius, Loc. Cit, III, p12.

(7)- سفر اشعيا (37: 38)، سفر ارميا (51: 27)، سفر الملوك الثاني (19: 37).

(8)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص114.

(9)- C. De Kirwan, Op. Cit, p13.

(10)- غير أن التوراة السامرية تشير إلى أن الجبل الذي استوت عليه السفينة كان اسمه "سرنديب" في سيرلانكا. أنظر: التوراة السامرية، سفر التكوين (8: 4).

أَرَارَاطَ.][1]، بدأت الرحلات الاستكشافية لإثبات صحة ذلك، فكانت أول المحاولات على يد "فريديريتش بارو" (Friedrich Parot) سنة 1829م، تسلق الجبل واتجه إلى كاتدرائية (تشميازين) في ارمينيا حيث رأى صليباً من الخشب المأخوذ من فلك نوح ﷺ، ووجد قرية أهوار حيث كان دير القديس يعقوب، وهناك ادعى أنه رأى مخطوطات قديمة وبقايا الفلك[2].

وبدأت محاولات "رونالد ويات" الاستكشافية على رابية تبعد ب29 كم عن جبال آرارات في 1977م، أجرى ويات استكشافته على الموقع المسمى "دوروبينار"[3] (انظر الملحق رقم 04 ص 288) ولكنه مني بفشل ذريع بعدما اكتشف أن الموقع لا يحوي اخشاب، بل مجرد طين وحجارة، ولا دليل على وجود أثار سفينة نوح ﷺ على الرابية، وعلى الرغم من أن ويات قد فشل في إثبات أن الشكل الشبيه بالمركب كان نتيجة رسو سفينة نوح ﷺ، إلا أنه كان أول من لاحظ المراسي التي تمثلت في صخور وجد ثقب في أعلى كل واحدة[4]. (أنظر الملحق رقم 05ص 289).

تلت محاولات "ويات" رحلات استكشافية أخرى قام بها الغواص الأمريكي "ديفيد فاسولد" (David Fasold) الذي ترأّس بعثة أمريكية ما بين (مارس 1985–جوان 1987 م)، وقد جلب معه آلات ومعدات تقنية للقياس والكشف عن المعادن، وقد أخذ مقاييس الموقع، كما ذكر الصخور المثقوبة التي كانت تستخدم كمراسي لإيقاف السفينة، فعلى الرغم من أنها قد وجدت على بعد أميال من موقع المركب وبالقرب من البحر الأسود، وقد صرّح أن فلك نوح ﷺ رسى على تل أو رابية وليس على جبل من سلسلة اورارتو الجبلية وجبل الجودي أحد جبالها[5]، مع أن مملكة اورارتو في

---

(1)– سفر التكوين، (8: 4).

(2)– منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص124.

(3)– **موقع دوروبينار (Durupinar):** هذا الموقع سمي كذلك نسبة للنقيب العسكري "إلهان دوروبينار" الذي التقط للموقع صورة من الجو في شهر اكتوبر 1959م، وهو يمثل شكل اشبه بمركب على قمة جبلية تبعد عن آرارات ب29 كم جنوب ارارات الكبير بالقرب من قرية "أوزنجيلي" (Uzengil)، و4 كلم عن الحدود الايرانية و11 كم عن مدينة "دوبيازيت" ويسمى بالتركية (Maşher) أي جبل المحشر او يوم الدينونة. أنظر: نفسه، ص232،233. أنظر كذلك:

George Potter, Op. Cit, p68.

(4)– عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص ص230–238.

(5)- David Fasold, **The Discovery of Noah's Ark** how the world's creates Archaeological Mystery was solved, Sidgwick and Jackson, London, 1990, p99.

أقصى اتساع لها لا تصل إلى جبل الجودي، والبعد بين الجبلين 250 ميل ما يقارب (402كم)، مع أن اورارتو تعود على أكثر تقدير إلى القرن 13 ق.م[1].

وبذلك ينفي عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي ادعاءات "ديفيد فاسولد" و"رونالد ويات" لأن جبل آرارات المغطى بالثلوج على الدوام، ولو كان الفلك قد رسى عليها لبقي متجمداً دون ضرر لآلاف السنين، كما أن مقاسات السفينة التي وضعها فاسولد ما ورد في التوراة لأنه تكهّن السطح والأقسام والطوابق لأن الفلك لم يظهر منه إلا الطول والعرض أو العمق في الوسط[2]، على الرغم من أن كل عمليات الاستكشاف التي أجريت في منطقة آرارات استندت إلى نص التوراة، وحاولت جاهدة إثبات صحتها دون سند علمي، ويذكر "بيل كراوس" و"كوردن فران" أن البحوث حاولت طيلة خمسين سنة اكتشاف أي إثر لفلك نوح عليه السلام على قمة ارارت دون نتيجة[3].

جلبت أخبار وجود سفينة نوح عليه السلام على جبال آرارات أطماع العديد من المغامرين والرحالة والمستكشفين، ففي سنة 2003 م رصَد الامريكي "دانيال ماكجفرن" (Daniel Mc Givren) مبلغاً ضخماً يقدّر بـ900000 دولار لإرسال فريق مكون من 30 من المستكشفين امريكيين وأتراك برئاسة أحمد علي أرسلان كما شمل الفريق أثريين وجيولوجيين ومصورين، غير أن المشروع قد توقف بسبب عدم حصول "ماكجفرن" على ترخيص لتسلق الجبل من الحكومة التركية لأسباب تتعلق بأمن المنطقة التي تحاذي ايران والعراق[4].

جـ. جبل الجودي (Mountain Judi):

هو جبل يقع في أقصى شرق تركيا بالتركية يسمى "كودي داغ" (Cudi Dagi)[5] وبالعربية أعالي أو في الأعالي[6]، يبعد 40 كلم شمال شرقي جزيرة ابن عمر، ويقع على بعد حوالي 200 ميل ما يقارب 322 كلم تقريبا إلى الجنوب من جبال آرارات، ضمن مرأى الحدود السورية والعراقية، إذ يجري نهر دجلة عند قاعدته، وله عدة تسميات: جبل الكاردو (Mountain Qardu)، جبال كورديني

(1)- George Potter, Op. Cit, p66.

(2)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص ص256-269.

(3)- Bill Crouse and Goedon, Op. Cit, p100.

(4)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص 228، 229.

(5)- George Potter, Op. Cit, p68.

(6)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص306.

(The Gordyene Mountains)، جبال كورديان (Gordian Mountains)، جبال كاردوكيان (The Karduchian Mountains)، جبال الكرد (The Mountain of the Kurds)[1].

وقد اختلف في معنى كلمة "الجودي" التي وردت في القرآن الكريم؛ فقد جاء في القاموس المحيط أن "الجودي جبل بالجزيرة"[2]، وجاء أنه موضع أو جبل، وهناك من يرى أنه جبل بآمد[3]، وهناك من يذكر أنه جبل بالموصل[4] ومنهم من رجّح أنه الطور[5]، ويحدَّد شوقي أبو خليل في أطلس القرآن موقع هذا الجبل قبالة جزيرة "ابن عمر"[6] عند ملتقى الحدود السورية التركية حالياً، على الضفة الشرقية لنهر دجلة[7]، ويذكر الرازي في مختار الصحاح أنه جبل بأرض الجزيرة[8]، بينما يذكر العيلمي أنه جبل بأرض الموصل[9]، وأن كودي داغي في وسط تركيا قرب حران إبراهيم وأورفا[10]، وهناك من رجّح أنه في السعودية وهناك من رأى أنه موقع دوروبينار[11]، ويضيف عبد الوهاب النجار أنه يتصل بجبال أرمينية[12].

---

(1)- Bill Crouse and Goedon, Op. Cit, p101.

(2)- محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت817 هـ)، **القاموس المحيط**، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ج1، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص 351.

(3)- ابن منظور، المرجع السابق، م1، ص 138.

(4)- **الموصل**: بالفتح وكسر الصاد، مدينة قديمة على طرف دجلة تقابلها في الجهة الشرقية نينوى، سميت كذلك لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص223.

(5)- عمر أحمد عمر، **رسالة الأنبياء**، ج1، ط1، دار الحكمة، دمشق، 1997، ص93، 94.

(6)- **جزيرة ابن عمر**: هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات في شمال العراق، تعتبر الموصل أشهر مدنها وتعتبر قاعدة بلاد الجزيرة. أنظر: سراج الدين ابن الوردي، المرجع السابق، ص112.

(7)- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص24، 25. انظر كذلك: محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص153.

(8)- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص49.

(9)- العيلمي، المصدر السابق، ص21.

(10)- ذكرت أورفا في كتابات المؤرخين على أنها في الموصل، فابتداءً من أورفا ورأس العين تظهر الجبال البركانية الخامدة، وربما آرارت أحدها، وقد ذكر في منطقة الموصل. أنظر:

M. Ferd. Hoefer, **L'Univers Histoire et Description** de tous les peoples Chaldés Assyrie Médie Babylonie Mésopotamie Phénicie Palmyrène, Firmin Didot Frères, Paris, (s.d), p173.

(11)- George Potter, Op. Cit, p68.

(12)- عبد الوهاب النجار، **قصص الانبياء** لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص53.

وقد جاء في القرآن الكريم أن سفينة نوح ﷺ قد استوت على جبل الجودي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، وقد أكّدت ذلك الأثرية "جرترود بيل" أن سفينة نوح ﷺ رست على جبل الجودي[2]، وقد ورد في رواية "بيروسوس" عن الطوفان أن فلك "اكسيسوثروس" في جبال الكرديين في أرمينيا[3]، لذلك هناك من يؤيد فكرة رسو فلك نوح ﷺ شمال العراق على جبل من جبال الكرد أي جبال كردستان، والمعروف أن الجودي جبل من بين تلك الجبال[4].

وتذكر "جرترود بيل" في رحلتها إلى جبل الجودي مع القس "متي" متوجهين من الموصل نحو الجبل، وتصف الجبل بأنه غير شاهق مع انه مغطى بإكليل ثلجي معظم السنة، وتذكر أن القس روى لها أنه على قمة الجبل كان هناك دير منعزل عن العالم دمر بصاعقة في 766م، وعلى أنقاضه شيّد مزار ثم جامع على مقربة من الجبل على يد المسلمين، وقد كان قبلة للمسلمين والمسيحيين واليهود والصابئة لتقديم القرابين، وأنه إلى الشرق منه توجد مدينة "هاشتان" (Heshtan) بالعربية الثمانون، نسبة إلى عدد الأشخاص الذين كانوا في الفلك مع نوح ﷺ[5].

في منتصف شهر ماي من سنة 1948م اكتشف أحد رعاة الأغنام من الأكراد واسمه رشيد سرحان سفينة نوح ﷺ وبقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات مياه عذبة في قمة جبل الجودي، وفي الأعوام التي تلت عام 1953م قامت عدة بعثات أثرية بزيارة موقع جبل الجودي في تركيا، وعاينت الأخشاب المتحجرة للسفينة، وفحصتها بنظير الكربون المشع للتعرف على عمرها الحقيقي، ووجدت أنها صنعت قبل 4500 قبل الميلاد، وأن هذا التقدير العمري المبني على قراءات أجهزة الفحص الفيزيائية يتطابق تماما مع ورد في المدونات السومرية، بيد أن الفضل الكبير في اكتشاف أسرار وخبايا الموقع الذي رست فيه سفينة نوح ﷺ، والتوسع في شرح التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتلك السفينة

(1)- سورة هود، الآية: 44.

(2)- Gertrude Lowthian Bell, **Amurath to Amurath**, William Heinemann MCMXI, London, 1911, p289.

(3)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص209.

(4)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص314.

(5)- Gertrude Lowthian Bell, Op. Cit, p p289- 293.

ورحلتها، يعزى للباحثين "ديفيد فاسولد" و"رون وايت" ويعزى أيضا إلى جهود البروفسور التركي "أحمد أرسلان" الذي تسلّق جبل الجودي أكثر من 50 مرة على مدى 40 عام لاستطلاع موقع السفينة حيث جاءت إحداثيات الموقع المكتشف تحت جبل الجودي مطابقة تماما لما ورد في القرآن الكريم[1].

د. جبل نصير:

يذكر طه باقر أن ترجمة الجبل في ملحمة جلجامش هو جبل نصير ولعل معناه "جبل الخلاص"[2]، وقد ورد اسم جبل نصير في أخبار الملك الآشوري "آشور ناصربال الثاني" (883-859ق.م)، وأنه يقع بموجب هذه الاخبار إلى جنوبي وادي الزاب الصغير[3]، وقد ذكر مصحوباً باسم الكوتيين، وقد عيَّنه بعض الباحثين بجبل "بيره مكرون" الجبل الشهير القريب من السليمانية الذي يرتفع نحو تسعة ألاف قدم (2743 م)[4]، ويبعد عن شوروباك موطن "أوتا-نبشتم"، بنحو 450كم من الجهة الشمالية الشرقية، وكان يعرف إلى عهد قريب أيضا باسم "بير عمر كوردون"[5]، ويعني التلال التي تقع في شرق دجلة في المثلث الذي يشكله النهر وروافده مثل نهر الزاب الصغير جنوب نينوى[6].

ويستند سامي البدري إلى قول "ماكس مالوان" في أن الجبل قريب من الزاب الأسفل عند الموقع المسمى حديثا (بير عمر كوردون) في كوردستان لا يخلوا من الإشكاليات التي ترد على تعيينه في آرارات (أرمينيا)، يجب أن نبحث عن جبل نصير باتجاه الجنوب وفي الحقيقة إذا أراد أحد أن يبحث عن موقع جنوبي فسيكون الموقع المفضل هو جبل سنام الذي يرتفع حوالي 500م، وهو أعلى ارتفاع في بابل وهذا الجبل يقع على 30ميل (48كم) من جنوب غرب البصرة[7].

---

(1)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص27.

(2)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص 184.

(3)- فراس السواح، (مغامرة)، المرجع السابق، ص191.

(4)- ابراهيم ناصر، **التوراة** بين الحقيقة والاسطورة والخيال، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 2009، ص53.

(5)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص184.

(6)- C. De Kirwan, Op. Cit, p5.

(7)- سامي البدري، المرجع السابق، ص35.

وهناك من يؤكّد على رسو السفينة في العراق من خلال الرجوع إلى ترجمة كل من آرارات والجودي، على أنه ينتمي إلى مدينة بابل، فيرى أن كلمة آرارات مكونة من "آر" التي تعني في اللغة السومرية مدينة، و"آراط" تعني في اللغة السومرية الفرات ومدينة الفرات هي نفسها بابل، كما قارن بينها وبين قردو أو قردون وهي إحدى تسميات جبل الجودي، وقد كانت تطلق على مدينة بابل في العهد الكشي(1600ق.م)[1] حسب الوثائق المسمارية[2].

هـ. شبه الجزيرة العربية:

تعتبر السيول الجارفة ميزة المناطق الغربية الجبلية من جزيرة العرب، فقد كانت ظاهرة مألوفة وكثيرا ما تسبب نزوحا للسكان من المناطق المنكوبة الى اخرى آمنة، وأخطار السيول تكون عادة في المناطق المتدرجة الانخفاض الواقعة على المنحدرات الداخلية للجبال[3]، ولذلك رأى البعض أن سفينة نوح ﷺ قد رست في شبه الجزيرة العربية وأن منطقة الطوفان كانت وادي نجران[4] حيث كانت تسكن قبيلة نوح ﷺ وان السفينة استقرت على مرتفعات جبل الطويق في أواسط شبه الجزيرة العربية، وربما كانت مرتفعات جبال الطويق شمال نجران تعرف في الأزمنة الغابرة باسم أرط نسبة إلى واحة "أرط"[5].

وهناك رأي آخر يرى أن جبل آرارات في شبه الجزيرة العربية وهو جبل "آرتا" (Aratta) وهو الجبل المقدس الذي رحل إليه "لوكال بندا" جد جلجامش، كما أن جبل "نيشور" (Nishur) مركبة

---

(1)- **العهد الكشي**: الفترة الكاشية أو الكاسية متعلقة بشعب هندو أوروبي قطن جبال زاغروس شرقي بلاد بابل، تغلغل في بلاد بابل خلال حكم سلالة بابل الأولى حيث استغل ضعف بابل بعد ضربات الحيثيين واستلم زمام الحكم فيها واقام سلالة حاكمة في بابل لفترة جاوزت الاربعة قرون اي من حوالي 1595 ق.م من إلى غاية 1168 أو 1162 ق.م حيث انتهى العصر الكاشي على يد العيلاميين وقد سميت هه الفترة بالمظلمة لنقص المعلومات عنها رغم طولها. أنظر: عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان، **محاضرات في التاريخ القديم** موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا وبلاد اليونان والرومان القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، (د.ت)، ص133، 134.

(2)- سامي البدري، المرجع السابق، ص27.

(3)- كمال الصليبي، **خفايا التوراة** وأسرار شعب اسرائيل، ط6، دار الساقي، بيروت، 2006، ص53.

(4)- **نجران**: من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وقيل سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمّرها ونزلها، وقد صار اليها لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج رائداً حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به، وهناك موضعين واحد بالبحرين وآخر في نواحي دمشق. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص ص266-270.

(5)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص58.

من كلمتين "ني" أي السيدة أو الربة، و"شورو" وتعني ثور بالسرياني وهو رمز الخصب، والثور ذو قرنين فيكون المعنى سيدة الجبل ذو القرنين أو سيدة جبل الخصب، فـ"نيشور" هو الجبل المزدهر، وهو نفسه جبل "ماشو" كما جاء في أسطورة "أوتا-نبشتم"، أن هذا الجبل يعني ذو القمتين المتساويتين في العلو (التوأمين) هو نفسه الجبل المزدهر، وهو الجبل الذي أخذ إليه "اوتا-نبشتم" ودخل في الخالدين وسمي "فم الانهار"، وقد أطلق عليه في بعض الترجمات اسم "نصير" أو "نزيري" ويعتقد انها ترجمة خاطئة، ويرى أصحاب نفس الرأي أن كلمة الجودي لا تعني جبل في تركيا، وإنما في شبه الجزيرة العربية، وقد سمي بـ"الجبل الساحلي" ويعني به سلسلة جبال السراة[1] الممتدة على ساحل البحر الأحمر، وسمي كذلك لان كلمة "جُدَة" في اللغة تعني ساحل البحر، وسميت جدة كذلك لموقعها على ساحل البحر الاحمر، فالجودي هنا استقى اسمه من معنى الكلمة فسمي "الجبل الساحلي"[2].

كما يرجّح أصحاب هذا الرأي أن تسمية الجودي مشتقة من الكلمة السومرية "كور" بمعنى الجبل أو فوهة الجبل ومن معاني "جدة" الطريقة والعلامة وهي مفرد جدد مثل شعبة شعب وقد سمى القرآن الكريم بعض أنواع الجبال جدد وهي جبال مميزة ذات ألوان مختلفة فيها خطوط وطرائق بيض وحمر وسود، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[3]، وتلك هي صفة الجبال الممتدة بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من مكة حتى عدن، ويرجَّح أنها جبال الجزيرة الممتدة بين مكة إلى صنعاء[4].

---

(1)- **جبال السراة:** قيل السراة جبل في طرف الطائف، وفي كتاب الحازمي السراة جبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن، وهي أعلى جبال الحجاز تحجز بين تهامة، وقال الهمذاني أن السراة يصل بين أقصى اليمن والشام، وهو ليس جبل واحد وإنما هي جبال متصلة على شق واحد، وجاء أن السراة ثلاثة جبال وأولها هذيل، ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ثم سراة الأزد. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج3، ص204،205.

(2)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص ص103-105.

(3)- سورة فاطر، الآية: 27.

(4)- **صنعاء:** سميت بصنعاء نسبة الى صنعة لأنها بنيت بالحجارة فقيل عنها هذه صنعة بمعنى الحصينة، وهي من أحسن بلاد اليمن تبعد عن عدن بـ68 ميل ما يقارب 110 كم، وهناك صنعاء اخرى تتمثل في قرية بالغوطة من دمشق ولكنها لم تصل إلى شهرة صنعاء اليمنية، وقد سميت كذلك بـ"آزال" نسبة الى "آزال بن يقطين بن عابر بن شالخ" الذي بناها. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج3، ص425، 426.

وهناك من يرى أن كلمة الجودي في القاموس الكلداني[1] جاءت من جدا جوديا أي شبّ وعلا وارتفع وقذف وصعد، وهذا يذكّرنا بفوران التنور بالعذاب، وهي ضمن سلسلة جبال السراة الممتدة على طول الساحل الأحمر[2].

هناك من يرجّح أن اختلاف التسمية بين الجبال السالفة الذكر لا يعني اختلاف المكان، كما أن الاسم قد يتغير حسب الترجمة، وانتقاء اللغات التي يترجم اليها لبعض الحروف الحلقية التي تشمل الحاء والخاء والعين والغين والقاف، أو كغيرها كالصاد والظاء والطاء أو حتى الضاد، إن كانت موجودة في اللغة الأم التي جاءت التسمية منها، أو بسبب قاعدة الإبدال والاقلاب، التي طالت الكثير من الاسماء[3].

وفي محاولة للتضليل وإثبات ما جاء في الكتاب المقدس ربط البعض جبل "الجودي" بجبال "آرارت" وأنها من بين الأسماء التي تشير إلى مكان واحد استوت عليه سفينة نوح ﷺ مثل: "آرارات"، "قردي"، "أغري داغ"، "كردغ"، "ماسيس"، "الجودي"...[4].

وقد حاول بعض المستكشفين إثبات صحة ما جاء في الكتاب المقدس بأن السفينة استقرت على جبل "أرارات"، غير أنهم لم يجدوا شيئا فيه فزعموا أنها مدفونة تحت طبقات الجليد الذي يغطي الجبل تقريبا اغلب فصول السنة، وقد نشرت جريدة تركية تسمى الوطنية على موقعها خبر تكذيب نتائج أبحاث فرقة استكشافية أوجدت أخشاب تزعم أنها لسفينة نوح ﷺ في جبل "أرارت"، وتؤكد اكتشاف آثار سفينة نوح ﷺ على جبل "الجودي"[5].

---

(1)- **الكلداني**: نسبة إلى الكلدانيون الذين أسسوا الدولة الكلدانية أو البابلية الحديثة دامت حوالي القرن (626ق.م-539ق.م) تأسست دولتهم على يد "نبوبولاصر" الذي كان قبل أن يأسّس الدولة الكلدانية حاكما تابعا للدولة الآشورية ولكنه قضى على هذه الأخيرة وقد خلفه نبوخذ نصر (604-562ق.م) الذي سبى اليهود لبابل، غير أن من جاء بعده لم يكونوا بالملوك الجديرين بعرش بابل، بعد الكلدانيون وقعت وادي الرافدين تحت سيطرة اقوام خارجية أولها الفرس الأخمينيين. أنظر: طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص ص601-606.

(2)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص105، 106.

(3)- نفسه، ص95، 96.

(4)- مختار فوزي النعال، "الجودي الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح في القرآن الكريم والكتب المقدسة وكتب تاريخ"، مجلة التراث العربي، العدد 97، مارس 2005، ص272.

(5)- **Explorers who allegedly discovered Noah's Ark post first footage,** Turk National, 30 April 2010.

5. الأسباب العلمية للطوفان:

صنّف المختصون الفيضانات نوعان اعتيادية ومباغتة، والأرجح أن هذه الأخيرة هي التي ميّزت طوفان نوح عليه السلام، كونها تتميز بقوة جريان عالية، بالإضافة إلى قِصَر الفترة الزمنية الفاصلة بين بداية حدوث الفيضان وذروته، وذلك ما ورد في كل من التوراة والقرآن الكريم، وبزيادة قوة الفيضان يسمى طوفان على حد وصف طوفان نوح عليه السلام.

ونظراً لاختلاف الروايات حول كيفية حدوث الطوفان، فقد تضاربت وتباينت الآراء حول الأسباب الطبيعية لحدوثه، وتكاثفت الجهود الجادة التي أخذت على عاتقها إيجاد تفسير علمي للحادثة، والتوصّل إلى رأي يتوافق والمعطيات التاريخية والجغرافية والمناخية التي تعرضت لها منطقة الطوفان؛ من عوامل طبوغرافية متعلقة بالسطح والتضاريس، وعوامل مناخية[1] تتمثل في حالة الطقس والتساقط والرياح، بالإضافة إلى العوامل البشرية المتعلقة بممارسات البشر، والتي تعمّدت أبعادها لأنها تتعلق بأعمال الحفر والتنقيب عن المياه الجوفية.

ولذلك هناك من اعتقد أن سبب طوفان نوح عليه السلام كان أمطار مدرارة، وهناك من ردّه الى أنهار هائجة، في حين رأى آخرون أن سببه كان ذوبان شامل لصفائح جليد أو موجات بحرية زلزالية[2]، ولذلك ارتأيت حصرها في أربعة عوامل تمثلت في: فيضان الأنهار وغزارة مياه الأمطار وتزايد المياه الجوفية وذوبان الثلوج في المرتفعات، وسنفصل في كل منها فيما يلي:

أ.غزارة مياه الأمطار:

حاول الإنسان منذ القدم معرفة أسرار المطر، ومن أين تأتي الغيوم، وقد وجد العلماء أن الدورة الهيدرولوجية تبدأ بسقوط أشعة الشمس على المسطحات المائية والبحار والمحيطات وتتعرض مياهها للتبخر، وترتفع نسبة الرطوبة في الهواء الساخن الصاعد إلى الأعلى، وتتراكم الغازات في الطبقة السفلى من الغلاف الجوي، وتحدث فيها عمليات التكاثف عند برودتها إلى أقل من الصفر، فتتكون

(1)- عبد النور علي جازم غانم، "دراسة أسباب الفيضانات في المناطق الجافة وشبه الجافة وأساليب السيطرة عليها، دراسة حالة فيضانات مدينة معبر في اليمن"، تقنيات البناء، السعودية، العدد15، جوان 2008، ص ص30-34.

(2)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص13.

السحب الركامية والطبقية، كما يحدث فيها صواعق الرعد والبرق[1]، وتعطينا أنواع التساقط أولها المطر أو البرد أو الثلج، ولكن ما يهمنا في هذا المقام هو الأمطار، وهذه الأخيرة تزيد في المناطق الساحلية المواجهة للرياح أكثر من المناطق الداخلية، ويرجع ذلك إلى أن الرياح تأتي بالهواء المشبّع ببخار الماء باتجاه اليابسة، فإذا كانت هناك تيارات محيطة دافئة تمر عليها الرياح قبل وصولها إلى الساحل فإن الهواء في هذه الحالة يزداد تشبعاً ببخار الماء، وتنتج عنه أمطار غزيرة عند صعوده إلى الساحل المواجه للرياح[2].

والأمطار في وادي الرافدين تسقط خلال فصل الخريف والشتاء والربيع، وتزداد الكمية كلما توجهنا من الجنوب إلى الشمال الشرقي، حيث تتدرج من خمسة سنتيمترات إلى مائة سنتيمتر في السنة، وتزداد كمية الأمطار كلما انتقلنا من الغرب الى الشرق ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، والارتفاع يلعب دوراً مهماً في توزيع المطر، فكلما زاد الارتفاع زادت كمية الأمطار، كما أن المنطقة تكون عرضة لأمطار إعصارية نادرة الحدوث وتحدث خاصة في فصل الربيع[3].

والأمطار الغزيرة تعتبر إحدى أسباب الفيضانات، خاصة إذا كانت الأمطار غزيرة في فترة زمنية قصيرة، حيث تسبّب فيضانات على مستوى الأحواض النهرية الصغيرة[4]، خاصة في المناطق المنبسطة التي تزيد من احتمال حدوثه[5]، فالعاصفة المطرية إذا كانت شديدة تجعل شبكة التصريف المائي والقنوات النهرية لا تستطيع استيعاب كمية مياه الأمطار، أما في الأحواض الكبيرة فإن حدوث العواصف الإعصارية الماطرة التي تدوم عدة أيام أو ذوبان الثلوج المتراكمة هما السبب في حدوث الفيضانات، ويختلف وقت الفيضان حسب المنطقة، فالأودية الصحراوية الجافة طيلة السنة تفيض

(1)- ماهر أحمد الصوفي وآخرون، **الموسوعة الكونية الكبرى** آيات الله في الرياح والمطر والاعاصير والبراكين والزلازل، ج13، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2007، ص126.

(2)- محمد صبري محسوب سليم، **الجغرافيا الطبيعية** اسس ومفاهيم حديثة، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص145، 146.

(3)- تقي الدباغ وآخرون، **حضارة العراق**، ج1، (د.ن)، بغداد، 1985، ص ص24-27.

(4)- الاحواض النهرية الصغيرة تقل مساحتها عن 25 كم^2. أنظر: يحي فرحات وحسن ابو سمور، **المدخل الى الجغرافيا الطبيعية**، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية، الاردن، 1988، ص299.

(5)- جيمس فريزر، **الفلكلور في العهد القديم**، تر: نبيلة ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972، ص216.

فجأة نتيجة أمطار غزيرة مفاجئة في فترة قصيرة، أما الأحواض النهرية الموجودة في المناطق الرطبة فغالباً ما تحدث في فترات معينة من السنة[1].

ويرجِع الباحثون الطوفان من خلال ظاهرة الفيضانات التي يتعرض لها وادي الفرات ودجلة في كل عام إلى سقوط الأمطار الغزيرة وذوبان الثلوج على جبال أرمينيا، فقد رأوا أن أساس الأسطورة البابلية هو سقوط الأمطار وموسم العواصف من كل عام، تلك التي كانت تدوم عدة شروط تغرق أثنائها أحياء كاملة في وادي الرافدين، وقد كانت الأمطار والعواصف تسببان دماراً مروعاً يستمر حتى ينتظم مجرى نهري دجلة والفرات مرة أخرى وتحل البركة محل اللعنة، وعندها يحل الخصب الذي اشتهرت به بلاد بابل، وبناء على هذا الفرض فإن الطوفان الكبير قد نتج عن سقوط أمطار غزيرة غير عادية وعن ذوبان الثلوج، ولم يمثل إلا صورة غير مألوفة لظاهرة عادية، وقد ترك الدمار الذي حلّ بالوادي أثراً في الذاكرة[2].

ب. فيضان الانهار:

يبدأ تكوّن الأنهار بشكل عام من خلال سقوط المطر على سطح منحدر وتقوم مياه الأمطار بعمليات النحت وذلك باصطدام قطراتها بالسطح والتقاط المواد الصخرية الناعمة، ومنها تتحول المياه إلى برك وبحيرات تتجمع فيها في شكل مجرى مائي محدد، وكلما زاد التساقط على طاقة امتصاص التربة فإن الماء الزائد ينساب في شكل جريان سطحي[3].

والمياه الجارية تعتبر أهم عوامل تشكيل سطح الأرض خاصة في المناطق الرطبة، وتقوم الأنهار والمجاري المائية بتشكيل ذلك من خلال ثلاث عمليات هي: النحت والنقل والترسيب وهذه العمليات مسؤولة عن تكوين معظم معالم السطح التي تلاحظ على سطح الأرض، بالإضافة إلى قوة اندفاع الماء تتحكم فيها شدة الانحدار، وكمية المياه المارة بالمجرى، وطبيعة جوانب وقاع المجرى، والاحتكاك الذي يحدث بين التيار وجوانب المجرى والقاع وتنشِّط عملية النحت المائي في البيئات الرطبة ذات السطوح شديدة الانحدار، ينتج فيضان الأنهار عن ارتفاع منسوب المياه الجانبية للمجرى البحري أو النهري الذي تتسبب فيه عادة شدة الجريان السطحي، ويعرف الجريان النهري بالجريان

(1)- يحي فرحات وحسن ابو سمور، المرجع السابق، ص299، 300.

(2)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص216، 217.

(3)- محمد صبري محسوب سليم، المرجع السابق، ص81، 82.

الذي يتخذ مجاري معينة إذ يتحرك الماء إلى مستويات أكثر انخفاضا في مظهر أرضي طويل يطلق عليه اسم مجرى النهر، ويحتوي على جميع الرواسب التي يحملها الماء[1].

ويقول جيمس فريزر أن مياه الطوفان مصدرها الأنهار، وإذا كان هذا الرأي صحيحا كان موطن الطوفان ليس في شبه الجزيرة كما زعم البعض بل في وادي الرافدين[2]، وذلك بدليل أن الكثير من الفيضانات في التاريخ لا ترجع إلى مياه الأمطار وإنما إلى زيادة ارتفاع مياه البحر[3]، خاصة وأن دجلة وروافدها يزيد منسوب مياهها بسبب مياه الأمطار في فصل الشتاء وبذلك الفائض من منسوب المياه، والذي لا يحتمله النهر يتسبب في فيضانات وتدمير للمدن في المنطقة الجنوبية[4].

وهناك من يشير إلى فيضان مياه المحيط إلى البحيرة السوداء التي كان فيها مستوى المياه أقل من 120 متر عما هو عليه البحر الأسود حالياً، بعد أن حطمت عتبة البوسفور، فربطت البحر الأسود بالمتوسط بعد أن ارتفع مستوى المياه في البحيرة ليتشكل البحر الأسود، كما أن غرق شعوب كاملة تعيش على ضفاف البحيرة فاجأتها أمواج كالجبال وسكان حضارة سومر في أور واوروك قاسوا الكثير من الفيضانات ومن أشهرها ما حدث في 3200 ق.م، حينما غرقت مدينة أور في وحل دجلة بارتفاع مترين ونصف المتر لذا كانوا أسرع الناس في تخليد قصة الطوفان كتابة[5].

ج. ذوبان الثلوج:

تتمثل الثلوج في قطرات متجمدة ولها اشكال مختلفة فقد يكون على هيئة مثلثات أو معينات أو غيرها، ويغطي الثلج المتساقط سطح الأرض في طبقة هشة في أول الأمر ولكنها لا تلبث أن تتماسك إذا ما كثرت كمية الثلوج المتساقطة، فتتحول إلى جليد يغطي السطح، وتسقط كميات من الثلج في العروض دون المدارية، غير أنه لا يطول ويذوب في فترة قصيرة، في حين في العروض المدارية

(1)- محمد السيد غلاب، **مبادئ الجغرافيا الطبيعية**، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1980، ص ص174- 177.

(2)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص210.

(3)- نفسه، ص214.

(4)- Morris Jastrow, **the Civilization of Babylonia and Assyria** its Remains Language history religion commerce law art and literature, the Washington SQUARE Press, Philadelphia, 1915, p7.

(5)- خالص جلبي، "قصة الطوفان من زاوية انثروبولوجية"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 8079، 10 جانفي 2001، صفحة الرأي 3.

والاستوائية لا تسقط إلا على المرتفعات العالية، ويظل الثلج دون ذوبان طول السنة سواء في فصل الشتاء أو فصل الصيف[1].

وهذا ما يميّز الجبال العالية والتي تمثل خمس مساحة العراق تقريبا[2] والواقعة في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية لوادي الرافدين على الحدود المشتركة مع سورية وتركية وايران، وكلما اقتربنا من الحدود التركية والحدود الإيرانية تصبح الجبال شاهقة الارتفاع وتكسو قممها ثلوج طيلة أيام السنة[3]، كما أن المناخ في هذه المنطقة هو مناخ البحر الابيض المتوسط، حيث يكون الصيف معتدلاً وجافاً ويكون الشتاء بارداً وممطراً وتسقط الثلوج بكميات كبيرة أحياناً حتى أنها تبقى متراكمة فوق سفوح الجبال العالية، فالجبال الشمالية والشمالية الشرقية تحتفظ ببرودتها وتبقى مغطاة بالثلج خاصة وأن درجات الحرارة تنخفض في هذه المناطق إلى ما دون التجمد لفترة طويلة من شهور السنة[4].

ويعتبر ذوبان الثلوج أحد أسباب الطوفان؛ فهناك من يرى أن ذوبان الجليد المتراكم على جبال الأناضول في تركيا قد سبّب فيضان نهري دجلة والفرات بحيث زادت كمية المياه التي لم تستوعبها المنطقة الشاسعة حتى غطت أعلى قمة جبل وأن الرياح زادت من قوة الأمواج التي دفعت سفينة نوح عليه السلام من الكوفة موطن نوح عليه السلام بالعراق إلى منطقة الحجاز نحو البيت العتيق ثم دفعتها الأمواج نحو الشرق لتستوي على جبل الجودي في منطقة الموصل شمال العراق[5].

ويؤكد جيمس فريزر هذا الرأي استنادا إلى افتراض العالم "لوفتوس" الذي صادف وجوده في حملة تنقيب في مدينة أوروك في الخامس من ماي 1849م حدوث ذوبان سريع للثلوج على جبال الأكراد ما جعل مياه دجلة ترتفع وتسبب الفيضان[6]، ويذكر ثامر خزعل العامري أن من أسباب

(1)- يوسف عبد المجيد فايد، **جغرافية المناخ والنبات**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص78.

(2)- حسن محمد محي الدين السعدي، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم** العراق ايران آسيا الصغرى، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995، ص17.

(3)- تقي الدباغ وآخرون، المرجع السابق، ص29، 30.

(4)- نفسه، ص ص20-26.

(5)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص110، 111.

(6)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص217، 218.

طوفان نوح ﷺ تراجع وذوبان الثلاجات وانحسار الجليد إلى مناطق القطب الشمالي قبل 10000 سنة أن انضمام المياه الذائبة مع مياه البحر، وارتفاع مستواه بمقدار سبعون متر[1].

د. المياه الجوفية:

هي المياه المتواجدة تحت السطح في مسامات التربة والغشاء الصخري، والتي ترسّبت من سطح الأرض حيث تتواجد في عدة طبقات تحت السطح، ومصدر هذه المياه التساقط بمختلف أشكاله، والمياه الحفرية التي تصل إلى الطبقات الحاملة للماء نتيجة الحركات التكتونية، وتعتبر المياه الجوفية الجزء المستتر من رحلة المياه في الدورة الهيدرولوجية العامة، حيث تخرج هذه المياه إلى السطح بطرق عديدة كما يحدث الجريان الباطني صوب المحيط لتساهم في الدورة الهيدرولوجية، حيث تعتبر عملية دخول مياه الغلاف الجوي، إلى باطن الأرض عملية تفاعل متبادلة بين الغلاف الجوي، والغلاف المائي، والغلاف الصخري[2].

وتدفق المياه الجوفية يكون نتيجة الضغط الطبيعي لتصل إلى سطح الأرض، حيث تتحرك المياه الجوفية خلال الطبقة الحاملة للمياه، وهي محصورة بين طبقتين كتيمتين للمياه الجوفية ينتج عن ذلك وجود المياه الجوفية تحت الوادي في ظروف ضغط مائي أكثر من الضغط الطبيعي الذي يوجد في مثل هذه الأعماق، وتتكون الآبار الارتوازية الطبيعية نتيجة العمليات الانكسارية والتي تؤدي الى تكوين وفتح ممرات للمياه الجوفية، ثم تجد هذه المياه طريقها الى هذا النوع من المياه مصدرا رئيسيا للموارد المائية، ويأخذ هذا النوع عدة أشكال مثل العيون والينابيع والنافورات[3].

من كل ما سبق يمكن القول أن التنقيب الأثري في وادي الرافدين، كان له إيجابيات تمثلت في كشف حضارة من أعرق الحضارات الإنسانية، كما كان له سلبيات تلخّصت في اللصوصية التي دفعت أولى الأبحاث كالبحث عن الكنوز، الذي لا يقتضي أبداً أي هدف علمي أو تاريخي يخدم المنطقة، ومن جهة ثانية حتى الأبحاث الأثرية المنظمة التي جاءت بهدف إماطة اللثام عن الحضارة الموغلة في القدم قد انعكست سلبا على تاريخ المنطقة، فقد جعل الأثريون متعددو الجنسيات متاحف

(1)- ثامر خزعل العامري، "طوفان النبي نوح عليه السلام والتغيرات البيئية اللاحقة في وادي الرافدين بالأدلة البالينولوجية"، مجلة تراث النجف، العدد2، ص27.

(2)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص123.

(3)- نفسه، ص127.

العالم تزخر بأثار المنطقة، ومع أنها تمثل تراث وتاريخ حضارة وادي الرافدين فليس لها حرية في استرجاع آثارها وجمع تاريخها المتناثر في متاحف العالم.

كما أن الشيء الثاني الذي يُعاب على البحث الأثري أنه جاء على يد كتابيين همّهم الأول إثبات ما جاء في الكتاب المقدس والتأكيد على صحته، فقد كانت الفرضيات تنطلق مما جاء في الكتاب المقدس وتسعى للوصول إلى نتائج لا تتناقض معه، وإن لم تتماشى معه رفضت دون البحث لها عن تأويل آخر، ولم ترق لأن تكون سبق علمي وتاريخي لمكتشفيها، فمثلا كان "ليونارد وولي" في تنقيباته في أور يحاول أن يجد علاقة لأور مع أور الكلدانية التي انطلق منها ابراهيم عليه السلام كما جاء في الكتاب المقدس، كما أراد إيجاد متبقيات أثرية تبيّن صحة رواية الطوفان التوراتي، كما أن ما جاء عن شمول الطوفان الأرض في التوراة جعل "وولي" ينفي فيضان أور على أنه طوفان نوح عليه السلام لأنه لم يغمر المدن المجاورة لأور مثل مدينتي أريدو وأوروك على الرغم من قربهما الجغرافي منها، كما رفضه أيضا وايتلين لأن تاريخ طوفان اور لا يتزامن مع الطوفان التوراتي الذي تؤرخه التوراة بـ(2142ق.م)، على الرغم من أن هذا التاريخ لا يتماشى والمعطيات التاريخية للحضارات التي تزامنت معه وتواصلت بعده بدون انقطاع.

الفصل الثالث: طوفان نوح عليه السلام في الآثار والأبحاث العلمية.

1. أسطورة الطوفان السومرية:

2. أسطورة الطوفان البابلية:

3. مقارنة بين الاساطير:

4. الطوفان في الادبيات الاخرى:

تعتبر أسطورة الطوفان واحدة من الأساطير التي اشتهرت في حضارة وادي الرافدين خاصة والعالم القديم عامة، وقد جاءت ضمن أساطير تدمير الكون بفعل إلهي سماوي[1]، هذا الأخير الذي يحدث لإنهاء عالم قديم بالٍ، وبعث عالم جديد أحسن، وأسطورة الطوفان تدور أحداثها حول غضب الآلهة من البشرية، واتخاذها قرار بتدميرها دماراً شاملاً، لأنها لم تصُن ما منحتها إياه، وأخذت تنشر الفساد في الأرض، إلا أنها أشفقت على الجنس البشري من هذا الفناء، ورأت أنه من الحكمة الإبقاء على الصالح منهم دون الطالح، إلا أنها اختارت أحدهم وهو أشدّهم ورعاً، وإن اختلفت تسميته من منطقة لأخرى، وأوكلت له مهمة إنقاذ الجنس البشري، وكانت نهاية الطوفان وندمت الآلهة على قرارها.

وقد انتشرت قصة الطوفان والدمار الشامل بين الشعوب في جميع أنحاء العالم القديم، وذلك يثير مسائل شتى تتعلق بتفسير هذا النوع من الأساطير وبواعث نشأتها، خاصة وإذا كانت تتشابه فيما بينها لدرجة أن تعتبر روايات متنوعة لحكاية واحدة، وهذا يفضي للتساؤل هل تنقل لنا هذه الروايات أحداثاً تاريخية وقعت في الماضي قبل التاريخ المكتوب وترسّخت في ذاكرة البشر؟، أم تشف هذه الأساطير عن حقائق نفسية ونوازع خفية باطنية؟ هل تعتبر هذه الأساطير طغيان النزعات التدميرية الكامنة في لا شعور البشر، ورغبة لا واعية في تدمير الذات؟ هل هي إحساس عارم بالإحباط من حضارة تسير دوما في اتجاه مخالف لسعادة الانسان، حضارة يجب تدميرها كلما أحكمت حلقاتها وضيقت خناقها على صانعيها؟[2] اسئلة تركها فراس السواح دون الاجابة عنها، ولكنها في مجملها تؤدي إلى تلك التفسيرات التي توصل اليها الباحثون مجتمعة حول أسباب نشأة الأساطير[3].

(1)- بالإضافة إلى التدمير السماوي عرف سكان وادي الرافدين تدمير آخر يأتي من العالم السفلي يأتي بشكل جزئي لا ايقاع له ولا يأتي بصورة منتظمة تنفذه تنانين وعفاريت وشياطين تقبع في العالم السفلي، وهو يدل على لحظة ارتباك أو فوضى في قوانين العالم وسرعان ما تعود الحياة بعده إلى سابق عهدها وتواصل ماضيها. أنظر: خزعل الماجدي، (متون)، المرجع السابق، ص192.

(2)- فراس السواح، (مغامرة)، المرجع السابق، ص155.

(3)- نظريات الأساطير عديدة ومختلفة ولها علاقة بكتابة التاريخ مثل النظرية الانثروبولوجية التي اسسها تايلور والنظرية التاريخية واهم روادها ميلر، والنظرية النفسية التي اسسها فرويد. أنظر: فضيلة عبد الرحيم حسين، المرجع السابق، ص ص85-104.

ويعود الفضل في معرفة أساطير الطوفان للمصادر المادية وما حملته من معلومات، وأولى هذه المصادر الألواح الطينية[1]، وتجدر الإشارة إلى أنه يصعب الرجوع إلى الأسطورة كما وردت فيها، فبالإضافة إلى أنها وردت بالمسمارية فقد تعرض معظمها للتلف، مثل ما حدث لألواح مكتبة "آشور-بأنيبال"[2] (668-626ق.م) في نينوى[3]، حيث حطمها الحريق في حوادث النهب التي تعرضت لها المدينة في آخر أيامها، حيث وُجد الكثير منها مشوهاً وقد لفحته النيران، وفي العصور المتأخرة نهب معظمها جامعو الآثار القديمة الذين كانوا يبحثون عن الكنوز هم وعمالهم، وما بقي منها هطلت عليه الأمطار وأكملت تحطيمه وامتصت مياهه السجلات، وباتت الألواح قطعاً متناثرة تراكمت في شقوقها المواد الكيمياوية التي امتصتها من التربة، فساهمت في زيادة صعوبة قراءة ما كتب على مستوى الأسطر المشدوخة والمهشمة على وجه الخصوص[4].

1.قصة الطوفان في الأساطير السومرية:

إن الطوفان يمثل حقيقة تاريخية دينية جاء خبره بوحي إلهي، ولكن الناس بانحرافهم عن جوهر الوحي السماوي وحقيقته، تسرّب للحادثة ما يشوبها ويحولها إلى أسطورة[5]، وقد كان الناس يعتبرون التوراة أقدم مصدر لقصة الطوفان، ولكن علم الآثار أثبت أن الطوفان حدث قبل نزول التوراة بكثير، فالأسطورة السومرية تعتبر السباقة في ذكر أحداث الطوفان[6] كما سيرد في مصدر الأسطورة وتأريخها:

(1)- كان الطين يدون عليه طريا ثم يحرق في أفران ويودع كنصوص في المكتبة.

(2)- **آشور بأنيبال (Assurbani-pal)**: ملك آشور (668-626 ق.م) ابن آسرحدون وخليفته فُضل في توليته الحكم على اخيه البكر "شمس شو أوكين" اسمه الآشوري آشور بن ابلي وأطلق عليه الإغريق اسم سردنابالوس، كان آشور بأنيبال محنكا في أمور الدولة. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص103.

(3)- **نينوى (Nineveh)**: كانت العاصمة الثالثة والاخيرة للدولة الاشورية وتقوم أطلالها اليوم على الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابل مدينة الموصل تماما، كانت في الالف الرابع قبل الميلاد صغيرة لا شأن لها ضلّت عاصمة الملوك الآشورية حتى زوال حكمهم سنة 612 ق.م، وأضحت مدينة ذات شان كبير. أنظر: السيد عبد الرزاق الحسيني، **العراق** قديما وحديثا، ط3، مطبعة العرفان، لبنان، 1958، ص76، 77.

(4)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 96.

(5)- هارون يحي، المرجع السابق، ص46.

(6)- Morris Jastrow, Op. Cit, p443.

أ. مصدر الأسطورة:

وجدت الأسطورة السومرية منقوشة على رقيم فخاري مكسور وكثير التشوّه، وقد جاء في الأسطر المتبقية الخطوط العامة للقصة السومرية، وقد وجد في مدينة "نفر" ونشره الباحث "أرنو بوبل" في 1914م[1]، وقد أعقبه باحثون آخرون أشهرهم عالم الآثار الامريكي المختص بالبحوث السومرية "صمويل نوح كريمر"، ويذكر فاضل عبد الواحد أن هذا الرقيم قد دوِّن في شكله الحالي في الجزء الأخير من العصر البابلي القديم (في حدود 1600ق.م)، ويشير إلى أنه نسخة من تأليف سومري أقدم من هذا التاريخ، خاصة وأن الإشارة إلى الطوفان قد وردت في نصوص دينية تتعلق بالملك "اشمي–دكان" (Ishmedagan) الذي حكم في الفترة الممتدة من (1953–1935ق.م)[2]، وبالرغم من أن هذا اللوح لم يظهر به تاريخ، إلا أن لغته وشكل خطه المسماري يشيران إلى أنه يرتقي إلى ما يسمى بالعصر البابلي القديم[3].

وقد جاء نص الأسطورة في ستة أعمدة ثلاثة مكتوبة على وجه واحد وثلاثة على وجهين، بها أسطر كوّنت فقرات تحكي مراحل الطوفان، وقد تخلّلتها فقرات أو أسطر مشوّهة صعُب على المترجمين فهمها وترجمتها، ما ترك المجال خصباً للتأويلات من خلال سياق الأحداث السابقة أو اللاحقة لتصور ما جاء فيها[4]. (أنظر الملحق رقم 06 ص290)

ب. شخصية زيوسدرا:

تذكر الأسطورة أن اسم بطل الطوفان السومري هو "زيوسدرا" (Ziusudra)، ويتكون من ثلاثة مقاطع سومرية (Zi) بمعنى "الحياة" و(U) التي تعني "يوم" و(Sud) التي يقصد بها "طال أو أطال"، ولذلك الأرجح أن اسمه يعني "الذي جعل الحياة طويلة" كناية بالطبع عن خلوده[5]، وهناك من رأى أنها صيغة سومرية الأصل جاءت لتدلّ على الخلود بمعنى "ذو الحياة الطويلة"، لأن الإلهة

(1)- خزعل الماجدي، (متون)، المرجع السابق، ص188.

(2)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص30، 31.

(3)- صلاح أبو السعود، **قصة الطوفان** في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2010، ص24.

(4)- Samuel Noah Kramer, **L'Histoire commence à Sumer**, 2em Édition, B. Arthaud, France, 1957, p201, 202.

(5)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص35.

منحته الحياة بسبب إنقاذه للبشرية من الطوفان[1]، وهو ابن وخلف الملك "أوبار–توتو"، وقد جاء في وصفه أنه كان ملكاً صالحاً وتقياً كان يحكم "شوروباك" موطن الطوفان السومري والبابلي، وذلك بناءً على ما جاء في قوائم سلالات الملوك الذين حكموا قبل الطوفان[2].

ج. الأحداث قبل الطوفان:

كانت بداية الأسطورة مفقودة، ولم نحصل إلا على الجزء السفلي منها، والذي يشكِّل الثلث تقريباً ما جعل معرفة بداية الأسطورة مستحيلاً[3]، وقد شكّلت حوالي 36 سطر، ويعتقد أنها تحكي عن خلق البشر من قبل الإلهة "ننتو"[4] والإله "أنكي"[5]، وذلك لأنه وبمجرد انتظام النص يدافع هذا الأخير عن مخلوقاته ويساعدها على التكاثر من جديد وإعادة بناء المدن[6]، كما تظهر الأبيات أن قرار الطوفان كان قد اتخذ لسبب غير معروف، كما ورد في الأبيات:

«إن البشر عبادي، بشري في الهلاك المحيق بهم، سأعمل على...

سأرجع إلى "ننتو".. الخاص بمخلوقاتي،

سأعيد الناس إلى مواطنهم،

وسيشيدون في المدن مواضع الشرائع الإلهية

سأجعل ظلالها مريحة مطمئنة...»[7].

---

(1)- خزعل الماجدي، (متون)، المرجع السابق، ص277.

(2)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص277.

(3)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p202.

(4)- **ننتو (Nintou)**: تعني السيدة التي تلد أو السيدة الوالدة، وهو اسم عرفت به الإلهة نينتهورساج السومرية. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص872.

(5)- **أنكي (Enki)**: إله سومري معنى اسمه سيد الأرض، يتكون من لفظة "ان" وتعني السيد ولفظة "كي" وتعني الأرض، اسمه القديم إبسو إله المياه الجوفية العذبة والينابيع والأنهار، مركز عبادته أريدو اشتهر بحكمته، ولقب بالسيد ذي العين المقدسة، يقابله في الأكادية اسم "أيا". أنظر: جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر: امام عبد الفتاح امام، ط2، مكتبة مدبولي، مصر، 1996، ص35. أنظر كذلك: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص142، 143.

(6)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص278.

(7)- صمويل كريمر، **من ألواح سومر**، تر: طه باقر، ط1، بيت الوراق، العراق، 2010، ص266.

وقد جاء في بداية العمود الثاني مساحة مفقودة شكَّلت حوالي سبعة أسطر[1]، وعلى ما يظهر أن البشر هدّد مصيرهم خطر جديد حال دون اكتمال تطور أوضاعهم، وعندما يتضح النص فإن الإله "أنكي" يبدي استعداده لمساعدتهم، في بناء الحضارة ضمن مدن نظيفة تكون مقراً لحكومة مركزية والملكية ظهرت آنذاك[2]، وهي المدن الخمسة وملوكها الإلهة: فمثلا نجد "أنكي" الذي لقَّب نفسه بـ"نوديمود" (Nudimud) نُصِّب على "إريدو" (Eridu) ، ونُصِّبت "إنانا" (Innana)[3] على "باد–تيبيرا" (Badtibira)[4]، ونُصِّب "بابيلساج" (Pabilsag)[5] على "لارك" (Larak)، وعُيِّن "أوتو"[6] على "سيبار" (Sippar)، وعُيِّنت الإلهة "سود" (Sud)[7] في مدينة "شوروباك" (Shuruppak)[8]، كما ورد في النص التالي:

«...بعد أن أنزلت...الملكية من السماء،

وبعد أن أنزل التاج والعرش الخاصان بالملكية من السماء،

أكمل رسوم العبادات والنواميس الإلهية المقدسة...»

---

(1)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p203.

(2)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص279.

(3)- **إنانا** (**Inanna**): إلهة الحب والخصب السومرية يعني اسمها ملكة السماء وهي كوكب الزهرة، ابنة إله القمر وقرينته آنو كان شعارها في جمدة نصر عصا ونعاج، أصبح اسمها في العصر الآكدي أشتار وهي زوجة دوموزي الراعي. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص130، أنظر كذلك: جفري بارندر، المرجع السابق، ص36.

(4)- **باد–تيبيرا** (**Badtibira**): إحدى المدن السومرية الخمس الأولى التي يقال أن الإلهة أنشأتها مراكز عبادة لها، لم يجرِ تحديد موقع هذه المدينة بصورة أكيدة ويحتمل أن يكون في مدينة أوروك. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص204.

(5)- **بابيلساج** (**Pabilsag**): تعود عبادته إلى عصر السلالات المبكرة في وادي الرافدين، كان يعتبر ابن الإله أنليل وزوج نينيسينا (إننا) إلهة ايسن، عرف في الفترة البابلية القديمة بننورتا أو نينجيرسو، كانت مراكز عبادته في كل من ايسن ونيبور كما ارتبط بمدينة لاراك، أنظر:

Jeremy Black and Anthony Green, **Gods ,Demons and Symbols** of Ancient Mesopotamia, The British Museum Press, London, p147.

(6)- **أوتو** (**Utu**): إله الشمس لدى السومريين له معبد في لارسا وسيبار واسم المعبد "أي ببار" وهو نور الإلهة يقضي الليل في أعماق ظلمات الشمال، إلى أن يرتفع الفجر ويرتفع في السماء شعلة ملتهبة سائقا مركبته التي تشكل قرص الشمس احدى عجلاتها، وهو ابن نانا القمر أمه نينجال وزوجته شنيراد وابنه شاكان إله الماعز والغزلان. انظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص146.

(7)- **سود** (**Sud**): هي قرينة الإله أنليل. أنظر: قاسم الشواف، المرجع السابق، ص280.

(8)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص21، 22.

وأعطى أولى هذه المدن وهي "أريدو" إلى "نودمد" القائد،
والثانية "باد–تيبيرا" أعطاها إلى...،
والثالثة "لرك" أعطاها إلى "اندر بلخرساج"،
وأعطى الرابعة "سيبار" إلى البطل "أوتو"،
والخامسة "شروباك" أعطاها إلى "سد"»[1].

د.الطوفان والفلك:

يأتي ذكر أحداث الطوفان بداية من العمود الثالث الذي تتخلَّله مساحة مفقودة من الأسطر (101–140)، وربما جاء فيها أن الطوفان قد سُلِّط على البشر[2]، وحين يتضح النص يعارض كل من "أنكي" و"نينتو" القرار المتخَذ من قبل بقية الإلهة، وتظهر المقاطع التي تلي التشويه كيف تبكي "نينتو" على المخلوقات[3]، وكيف يقسم الإلهة باسم "آن"[4] و"أنليل"[5] أي السماء والأرض لحفظ سر هذا الحدث المهول، وكيف أن "زيوسدرا" المتعبد يبتهل لأنكي ويناشد جميع الآلهة في ورع، كما ورد في:

«ثم انتحبت "نينتو" وبكت مثل...
"إنانا" الطاهرة ناحت من أجل أناسها،

---

(1)– صمويل كريمر، المصدر السابق، ص267، 268.

(2)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p205.

(3)– قاسم الشواف، المرجع السابق، ص281.

(4)– **آن "آنو" (Anu)**: الإله الأعظم لدى السومريين ملك السماء ورأس الثالوث المؤلف منه ومن الإلهين أنليل وأنكي، كان أبا لإلهة السماء كافة ومنظم العالم، حيوانه الرمزي الثور الضخم، وهو كأب سماوي كان يترأس الاجتماعات السماوية ويمنح المناصب الكبرى كالملك والإدارة قرينته "أنتوم" رقمه المقدس في علم الفلك السومري 60. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص30.

(5)– **أنليل (Enlil)**: يتكون اسمه من شقين "آن" وتعني السيد و"ليل" ويقصد بها الريح أو الهواء، وبذلك سمي إله الهواء والرياح في سومر، ولد من اتحاد آنو (السماء) مع كي (الأرض) وفصل بينهما، قرينته ننليل إلهة الحبوب وابنها نانا القمر، كان أنليل يتمتع بالمرتبة الثانية مباشرة بعد آنو يضاهيه أحيانا في مرتبته، وكانت كلمته الريح ينفخها كالعاصفة فيهز السماء ويزلزل الأرض رقمه المقدس 50 مركز عبادته نيبور. أنظر: جفري بارندر، المرجع السابق، ص35. أنظر كذلك: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص143. أنظر كذلك:
Edouard Dhorme, **Les Religion De Babylonie Et D'Assyrie**, 2em Édition, PUF, paris, 1949, p 27

...وبكل خضوع وطاعة وتبجيل صار يتردد دوما إلى...،

حاملا معه أخبار جميع اصناف الاحلام...»[1].

وجاء في العمود الرابع تأثُّر "أنكي" في المعبد بورع "زيوسدرا" فقرّر أن يحذّره من قرار الإلهة بإهلاك الأرض وما عليها، مع أنه أقسم أمام إله السماء والأرض على حفظ السر، فعزم على أن يبلغه بطريقة غير مباشرة، فاهتدى إلى فكرة الجدار؛ حيث كلمه "من وراء جدار" أو حاجز وكأنه يكّلم الجدار وخلفه "زيوسدرا" يستمع[2]، كما ورد في ما يلي:

« كان "زيوسدرا" قائما بجانبه وهو يصغي...

قف عند الحائط إلى جانبي الايسر...،

وعند الحائط إلى جانبي الايسر...،

وعند الحائط سأبلغك بكلمة، فخذ بكلمتي،

استمع لإرشادي ووصاياي:[3]

في (مجمعنا) (؟)...إن طوفانا سيدمر مراكز العبادة،

وتهلك ذرية البشر...،

إن هذا هو القرار الذي أصدره الإلهة في مجمعهم.

وبالكلمة التي أمر بها (آن) و"أنليل"»[4].

وتلي هذه الفقرات مساحة مشوهة حوالي 39 سطر (161–200)، افترض المؤرخون أنها تشمل تعليمات أنكي لـ"زيوسدرا" من أجل بناء الفلك، وكذلك تعليمات تحميله، ومن ثم بداية الطوفان وتفاصيل حدوثه[5]، وفي العمود الخامس بالتحديد الأسطر (200–212)، جاء وصف الطوفان مقتضباً، فلم يذكر من أحداثه إلا إشارات لقوة الرياح، وعتو الأمواج، وكمية المياه التي غمرت البلاد، وجاء عن مدته انه دام سبعة أيام بلياليها، وزيوسدرا ومن معه في الفلك الذي تتقاذفه

(1)– صمويل كريمر، المصدر السابق، ص269.

(2)– قاسم الشواف، المرجع السابق، ص282، 283.

(3)– صمويل كريمر، المصدر السابق، ص269.

(4)– نفسه، ص310.

(5)– قاسم الشواف، المرجع السابق، ص283.

الأمواج، وأما نهايته فكانت بعودة إله الشمس "أوتو" للظهور، وقد دخل من الكوة[1] لينير الفلك، وقد سجد له "زيوسدرا" وقدّم له القرابين من ثيران وخراف[2]، كما ورد في الأبيات:

«"كانت جميع الزوابع تهجم بعنف وضراوة وهي مجتمعة،
وفي الوقت نفسه جرف الطوفان مراكز العبادة"،
"وبعد ان استمر الطوفان سبعة أيام وسبع ليال،
واكتسح الطوفان البلاد،
وكانت السفينة الضخمة تتقاذفها الاعاصير في المياه الجارفة،
ظهر "أوتو" الذي نشر ضوءه على السماء والأرض،
فتح "زيوسدرا" شباكا في الفلك العظيم
وانفذ البطل "أوتو" أشعته في الفلك العظيم،
"زيوسدرا" الملك،
سجد امام "أوتو"
وقتل الملك ثورا وذبح كبشاً»[3]

هـ. نهاية الطوفان:

وجاءت بداية العمود السادس (217–250) مفقودة، ويرجّح أنها تتضمن لوم الآلهة الأم لمحدث الطوفان، وتوبيخ "أنليل" لـ"أنكي" لأنه خالف الأوامر، وأخبر "زيوسدرا" بأمر الطوفان، وتظهر الأسطر (251–255) لوم "أنليل" لـ"أنكي"، وغفرهم لـ"زيوسدرا" لأنه سجد أمام "آنو" و"أنليل"[4]، وكيف كوفئ جراء إنقاذه للبشرية بأن منحاه الحياة الأبدية أو الخلود في دلمون[5] مثل الآلهة[6]، كما ورد في الأبيات:

---

(1)- **الكوة**: الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه. انظر: ابن منظور، المرجع السابق، م5، ص3964.

(2)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

(3)- نفسه، ص310، 311.

(4)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص283، 284.

(5)- **دلمون (Dilmun)**: هي منطقة البحرين باتفاق المؤرخين، أطلق عليها جلجامش اسم البلاد البعيدة عند "فم الأنهار" للتعرف على سر الحياة الأبدية. أنظر: خزعل الماجدي، (متون)، المرجع السابق، ص284.

(6)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p206, 207.

«الملك "زيوسدرا"،

سجد أمام "آن" و"أنليل"،

واصطفى "آن" و"أنليل" زيوسدرا

ووهباه الحياة مثل إله

لقد ادخلا فيه النفس الخالد مثل إله،...

وفي أرض العبور في ارض "دلمون" الموضع الذي تشرق منه الشمس اسكناه هناك»[1]

كانت هذه الأبيات آخر ما بقي من الأسطورة لأن الأسطر الاخيرة (262- 265) للنص مفقودة، وبذلك اعتبرت هذه الأحداث نهاية الأسطورة بأن منح "زيوسدرا" حياة خالدة، وجاء أنه عاش في دلمون[2]، وهكذا دارت أحداث الطوفان وانقاذ البشرية في الفلك الذي استعمله بطل الأسطورة، ويظهر من هذه الأخيرة غياب سبب الطوفان ومكان رسو السفينة، وأنها الأقدم. (انظر الملحق رقم 12 ص 296).

2. قصة الطوفان في الأساطير البابلية:

جاءت أساطير الطوفان البابلية في ثلاثة مصادر هي: ملحمة "اترا-حاسيس"، ورواية الطوفان الموجودة في اللوح الحادي عشر من ملحمة "جلجامش"، وقصة الطوفان التي كتبها "بيروسوس" باللغة اليونانية، وفيما يلي تفصيل كل واحدة على حدى:

أ.قصة "أوتا-نبشتم":

جاءت قصة الطوفان في اللوح الحادي عشر في سياق حديث جلجامش عن مغامراته مع صديقه أنكيدو، وبحثه عن الخلود كما ورد في الألواح العشرة الأولى، بينما حوى اللوح 12 ما شاهده أنكيدو في العالم الآخر[3].

أ.1. مصدر الأسطورة:

عثر عالم الآشوريات "هرمز رسام" (H, Rassam) في عام 1853م على نسخة من رواية الطوفان البابلية، من مكتبة الملك "آشور بأنيبال" (668-626 ق.م) في العاصمة الآشورية "نينوى"

(1)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص311.

(2)- نفسه، ص311، 312.

(3)- Morris Jastrow, Op. Cit, p445.

ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، ونقلها هو ولايارد إلى المتحف البريطاني في سنة (1855/1854م)[1]، وفي الثالث من ديسمبر عام 1872م صرّح "جورج سميث" عن نجاحه في جمع القطع الملحمة بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثنى عشر لوحا، ويذكر اللوح الحادي عشر قصة الطوفان[2]، ومن يومها تواصل اكتشاف الالواح والكسر الباقية من نسخ ملحمة جلجامش، وتواصلت الترجمات والدراسات والبحوث عن الملحمة بلغات عديدة حتى تجاوز عددها 300 كتاب وبحث منشور[3].

فقد تم اكتشاف أكوام ألواح مخزونة في العديد من المواقع الآشورية مثل موقع مدينة آشور وموقع مدينة نمرود[4] ومواقع رافدية أخرى، ويعدِّد الاختصاصيون النسخ التي ترجع اليها هذه الكسرات بعشر نسخ على أقل تقدير، وتتراوح أزمنتها بين القرن التاسع والقرن الثاني قبل الميلاد[5].

وأحدث نسخة لنصوص الملحمة ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، وهي 12 لوح مقسّم إلى ست خانات أو حقول أو أعمدة في كل منها ما يقارب 300 سطر أو بيت، باستثناء اللوح الأخير الذي يحوي على نصف العدد المذكور من الأسطر، ويرجع زمن اكتشاف القسم الأكبر من ألواح الملحمة إلى دور الاكتشافات الأثرية القديمة في العراق، في منتصف القرن التاسع عشر[6]. (أنظر الملحق رقم 07 ص291).

أ.2. شخصية أوتا–نبشتم:

"أوتنابشتم" (Utnapishtim) اسم بابلي يتكون من الفعل "وجدت" (من جذور (atu) وجد) ثم من (napishtim) بمعنى "النفس أو الحياة"، وبذلك يكون معنى الاسم "لقد وجدت الحياة"

(1)- E. A. Wallis Budge, **The Babylonian Story of the Deluge and the Epic of Gilgamish**, Price one Shilling British Museum, 1920, p21.

(2)– محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم **تاريخ العراق القديم**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990، ص69.

(3)– نائل حنون، **ملحمة جلجامش** ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الآكدي، دار الخريف، دمشق، 2006، ص20.

(4)– **مدينة نمرود (Nimrud)**: اسم اطلقه العرب على مدينة كالاح الآشورية المعروفة كذلك بكالح وكلخو. أنظر: هنري. س. عبودي، ص854.

(5)– فراس السواح، (جلجامش)، المرجع السابق، ص86، 87.

(6)– طه باقر، **مقدمة في ادب العراق القديم**، دار الوراق، بغداد، 2010، ص129، 130.

كناية بالطبع على حصوله على الحياة الأبدية[1]، ويقول قاسم الشواف: «إن بطل الطوفان البابلي يحمل اسماً اكادياً موازياً للتسمية السومرية "زيوسدرا" وهذا الاسم الأكادي هو "أوتا-نافيشتي"، ومعناه "وجدت-حياتي" أو "وجدت نفسي"»[2]، وهو الذي قصده جلجامش ليسأله عن سر الخلود، والذي جاء في سياق رحلته الحديث عن قصة الطوفان، فقد ذكر "أوتنا-بشتم" في خضم حديثه مع حفيده جلجامش أنه كان يعيش في مدينة شوروباك[3].

وقيل أن معنى اسم "أوتا-نبشة" في اللغة الأكدية مركب من الفعل المضارع "أوتا" من مصدر "وت أ" بمعنى "وجد"، و"نبشة" الاسم الذي يعني "الحياة" وهو مشتق من المصدر "ن ف ش" المضاهي للمصدر العربي "ن ف س" ومنه النفس والتنفس، ونبشة تعني في الأكدية الحياة، وقد اعتادت المصادر العربية كتابة الاسم بصيغة "أوتا-نبشتم"، ولكن المختصين آثروا كتابتها بـ"أوتا-نبشة"، ومعنى الاسم في العربية "يجد الحياة"[4].

أما جلجامش فهو أحد الملوك الذين ورد ذكرهم في قوائم سلالات ملوك الوركاء، التي لا يُعرف سوى أسماء ملوكها، وقد صار بعضهم —مثل جلجامش- موضوعاً لقصص وملاحم شعرية، ويرجع العلماء أن هؤلاء الملوك قد حكموا في وادي الرافدين -في مدينة الوركاء- قبل فجر السلالات أو في بدايتها، وهناك من عين تاريخاً تقريبياً لعصر جلجامش عن طريق إناء من المرمر كتب عليها "مي-براج سي" ملك كيش[5]، وقد ثبت أنه الملك الثاني والعشرون من أسرة كيش الذي حارب ضد جلجامش -خامس ملوك الوركاء- كما تحدثنا أسطورة جلجامش وأجا السومرية، وهناك أيضا الملك ميسانيبيد ملك أور ووالده، ويضاف لذلك أثبات الملوك السومرية التي جعلت من جلجامش الملك الخامس في أسرة أوروك الأولى التي حكمت بعد الطوفان[6].

(1)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص39.

(2)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص287.

(3)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص29.

(4)- نائل حنون، **الحياة والموت** في حضارة بلاد الرافدين القديمة، بحث في المعتقدات الدينية والأساطير القديمة، دار الخريف، سورية، 2005، ص208، 209.

(5)- محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص41.

(6)- فراس السواح، (جلجامش)، المرجع السابق، ص32.

ويذهب "جورج روكس" إلى أن "مي براج سي" هو أقدم حاكم سومري معروف لنا، وإذا ما اعتبرنا أن "سرجون الأكدي" كان يعيش في فترة (2370– 2315 ق.م) فإنه من الممكن تقدير تاريخ حكم "مي براج سي" بحوالي 2315 ق.م، كما يمكن اعتبار ذلك التاريخ بداية العصر التاريخي في وادي الرافدين، ومن ثم فإن جلجامش كان يعيش بعد هذا التاريخ بفترة ليست بعيدة على أية حال[1]، وهناك من يرى أن جلجامش اسم عيلامي، وقد زعم البعض أنه النمرود الذي ذكرته الأناجيل كونه بطل من أبطال بابل القديمة[2]، وهناك من يزعم أنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم[3].

أ.3. قرار الطوفان:

بقراءة نص اللوح الحادي عشر لا يبدوا هناك سبب واضح للطوفان وإنما يشير النص إلى أن الآلهة قد اتخذت القرار، ويبدوا أن "أيا"[4] إله الحكمة قد أسف لقرار الآلهة وقرّر أن ينقذ "أوتنا– بشتم" وبناء على ذلك يقوم بإفشاء سر مخطط الآلهة القاضي بإغراق العالم بواسطة الطوفان[5]، كما ورد في الأبيات:

«...إن الآلهة العظام قد حملتهم قلوبهم "أنذاك" على إحداث الطوفان

تشاوروا فيما بينهم وكان معهم أبوهم "آنو"

و"أنليل"، البطل، مستشارهم

و"ننورتا"، مساعدهم، ووزيرهم

و"أنوكي" حاجبهم ورسولهم

---

(1)– محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص69، 70.

(2)– ارثر جيمس وايرل أوف بلفور، **في الفكر الديني الالوهية والفكر قصة الطوفان**، تر: اسماعيل مظهر، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2015، ص38، 39.

(3)– عالم سبيط النيلي، **ملحمة جلجامش** والنص القرآني قراءة جديدة، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، 2005، ص163.

(4)– **أيا (Ea)**: النظير السامي للإله أنكي إله المياه العذبة والأنهار لدى السومريين والأكديين كان إلها للحكمة والسحر وخالق البشرية والمحسن اليها. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص170. أنظر كذلك:

George Contenau, **la Civilisation Assyro Babylonienne**, Collection Payot & C^{ie}, Paris, 1922, p46.

(5)– كارم عزيز محمود، المرجع السابق، ص206. أنظر كذلك: صلاح ابو السعود، **ملحمة جلجامش**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2009، ص137.

وكان حاضراً معهم "نن–إيكي–كو" أي "أيا"»[1]

قرّر الإله "أيا" (أنكي) أن يبلّغ "أوتا–نبشتم" عن الطوفان، غير أنه لم يفعل ذلك مباشرة بل كلَّمه من خلف سياج، وقد خاطبه باسم "رجل شوروباك" وابن "أوبار–توتو"، ونصحه بأن يهدم بيته ويبني فلكاً ويحمل عليه بذور جميع الكائنات الحية[2]، كما جاء في الاسطر:

«فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:

"يا كوخ! يا كوخ القصب؟ يا جدار، يا جدار!

اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط

ايها الرجل "الشروباكي" يا ابن "أوبار–توتو"

قوض البيت وابن لك فلكا "سفينة"...

...واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة»[3]

أ.4.السفينة:

جاءت أوصاف السفينة التي أمر "أيا" "أوتا–نبشتم" ببنائها أن تكون ابعادها متساوية، ولها سقف يغطيها، وقد امتثل "أوتا–نبشتم" لأوامر "أيا"، وبدأ في اليوم التالي بناء الفلك وانهمك فيها النجار وعامل القصب، وفي اليوم الخامس تمَّ بناء الفلك فكان طولها مسوٍ لعرضها وارتفاعها ما يقارب ستون متراً، وجعلت فيها سبع طبقات قسمت كل منها إلى تسعة مقصورات، وطليت بالقار، ومن ثم حملت على الماء فغطس ثلثاها، وقد حمل فيها كل ما يملك من فضة وذهب وكائنات حية، وكذا عائلته واقرباءه والحرفيون والصناع[4]، وفي سبعة أيام أتّم "أوتا–نبشتم" بناء الفلك، وأقام مهرجانا عظيماً كمثل المهرجانات التي تقام عادة عند استهلال السنة الجديدة[5]، كما ورد في الأبيات:

(1)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص ص173– 176.

(2)– فراس السواح، (جلجامش)، المرجع السابق، ص37.

(3)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص176

(4)– محمد فيض الله الحامدي، "الطوفان بين الحقيقة والأسطورة"، التراث العربي، العدد 58، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995، ص44.

(5)– آرثر جيمس وايرل أوف بلفور، المرجع السابق، ص56.

«...ليكن عرضها مساوياً لطولها واختمها جاعلا إياها مثل مياه الـ"أبسو" (العمق)"... [1]

وفي اليوم الخامس أقمت بنيتها "هيكلها"

وكان سطح ارضها "ايكو" واحداً وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعاً

وطول كل جانب من جوانب سطحها الاربعة مائة وعشرون ذراعاً

حددت شكلها الخارجي وبنيتها هكذا:

جعلت فيها ستة طوابق "تحتانية"

وبهذا فرزتها (قسمتها) إلى سبعة طوابق

وفرزت (قسمت) ارضيتها إلى تسعة اقسام... [2]

... وحملت فيها كل ما أملك

وكل ما عندي من فضة حملته فيها

وحملت فيها كل ما املك من ذهب

وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية

اركبت في السفينة جميع اهلي وذوي قرباي

أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر

وجميع الصناع اركبتهم فيها...» [3].

أ.5.الطوفان:

كانت اشارة الطوفان وحلّ الموعد الذي حدّده الإله "شمش"[4] لبدء الطوفان، فكان الجو مكفهراً فدخل "أوتنا-بشتم" الفلك وأغلق بابه، وعند الفجر لاحت في الأفق غيمة سوداء ثقيلة في وسطها "ادد" إله العواصف والأمطار، يرعد وأمامه الإلهان "شلة" و"خنش" يحملان مشعله ما يوافق

(1)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص176

(2)- نفسه، ص178

(3)- نفسه، ص180.

(4)- **شمش (Shamsh)**: اسم معبود الشمس وهو إله العدالة، ابن إله القمر سين، كان يؤلف مع سين وعشتار مثلثا نجميا، وكان يرمز له غالبا بدائرة مجنحة، هو الإله أوتو وببار عند السومريين، يعبد في سيبار ولارسا. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص536. أنظر كذلك: G. Conteneau, Op. Cit, p47.

ربما البرق الذي يلازم الرعد، بالإضافة إلى إلهة اخرى هولت الامر، وزادت من حدة الطوفان مثل الإله "ايراكال"[1] الذي اقتلع الصواري، والإله "ننورتا"[2] الذي غمر السدود بالماء، وكان إلهة "أنوناكي"[3] يحملون المشاعل ويضربون بلهبها البلاد، ثم تلاشت السكينة وتحول كل ما كان مشرقا إلى ظلام حالك، وهاجم إله العواصف والأمطار البلاد مثل ثور في ذروة هياجه وأخذ يدمرها تدميراً، وليوم كامل عصفت الرياح الهوجاء بالبلاد ثم حلّ الطوفان، ولم يعد انسان يميز الآخر، وزاد الهلع في وسط الآلهة أنفسهم الذين ارتقوا إلى السماء من هول الطوفان، وقد استمرت العاصفة والمطر لمدة ستة أيام وسبع ليالٍ، وغطى الطوفان البلاد[4]، كما ورد في الأبيات:

«...ونزع الإله "إيراكال" الأعمدة

ثم أعقبه الإله "ننورتا" الذي فتق السدود

ورفع الـ"أنوناكي" المشاعل

وجعلوا الأرض تلتهب بوهج انوارها

وبلغت رعود الإله "أدد" عنان السماء

فأحالت كل نور ظلمة

وتحطمت الأرض الفسيحة كما تتحطم الجرة

وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوما كاملا

وازدادت شدة في مهبها حتى غطت الجبال

وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان

وصار الاخ لا يبصر أخاه

ولا الناس يميزون في السماء

---

(1)- **ايراكال (Errakal)**: من آلهة العالم السفلي واحد أسماء الإله نرجال أو نرجول في التوراة (إله العالم الاسفل). أنظر: صلاح ابو السعود، (ملحمة)، المرجع السابق، ص143.

(2)- **ننورتا (Ninurta)**: سمي أيضا اينورتا، وهو ابن الإله أنليل رقمه السري 50، سمي بعاصفة أنليل، كان رب الاخصاب يسيطر على الزرع والفيضانات وقد صار في العصور الآشورية المتأخرة إله المعارك ورب الصيد مثل نركال. أنظر: سامي سعيد الاحمد، (المعتقدات)، المرجع السابق، ص39.

(3)- **الأنوناكي (Annunaki)**: تسمية كان يطلقها السومريون والبابليون على آلهة الأرض والمياه والجحيم تمييزا لها عن آلهة السماء والهواء المعروفة باسم "أجيجي". أنظر: جفري بارندر، المرجع السابق، ص31.

(4)- U. Cassuto, Op. Cit, p8,9.

وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان

فهربوا وعرجوا إلى سماء "آنو"...»[1]

أ.6. نهاية الطوفان:

في اليوم السابع هدأ الطوفان وتوقفت العواصف وهدأ البحر بعد أن تحوَّلت البلاد إلى سهل مستوٍ، ورسا الفلك على جبل نصير وظل راسياً هناك مدة ستة أيام، وفي اليوم السابع أخرج "أوتا-نبشتم" حمامة وأطلقها لكنها ذهبت ثم عادت إذ لم تجد مكاناً تحط فيه، ثم أخرج طائر سنونو وأطلقه، فذهب وعاد أيضاً فعرف "أوتا-نبشتم" أن الماء لم ينحصر بعد، وفي المرة الثالثة أخرج غرابا وأطلقه فذهب ولم يعد، فأدرك حينها "أوتا-نبشتم" ان الماء قد انحصر وأن اليابسة قد ظهرت بعدما كانت مغمورة بمياه الطوفان، وعندها قدّم "أوتا-نبشتم" قرابينه للرياح الأربعة ووضع البخور على قمة الجبل[2]، وحينئذٍ اشتّم الآلهة الرائحة فتجمعوا حول "أوتا-نبشتم"، والتحقت بهم الإلهة الأم "عشتار"[3] فرفعت عقدها اللازوردي أمام الآلهة كي لا تنسى الآلهة تلك الأيام، وكان رد فعلها أن اشفقت على البشرية وعلى ما حلّ بالأرض، وهلعت من هوله وارتقت إلى السماء[4]، كما ورد في الأبيات:

«...ومضت ست أيام وسبع امسيات

ولم تزل زوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدتها

وقد كانت تفتك كالجيش في الحرب العوان

ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان...[5].

---

(1)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص181، 182.

(2)- محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص46.

(3)- **عشتار (Ishtar)**: إلهة الحب والحرب تتمثل في كوكب الزهرة وهي ابنة إله القمر سين، معنى اسمها غير معروف ويحتمل أنه يعني إلهة نجمة الصباح امتزجت عبادتها بالإلهة السومرية إنانا زوجة آنو. أنظر: جان بوتيرو، **الديانة عند البابليين**، تر: وليد الجادر، ط1، مركز الانماء الحضاري، (د.م.ن)، 2005، ص52. أنظر كذلك: كامل سعفان، موسوعة الاديان القديمة **معتقدات آسيوية** (العراق فارس الهند الصين اليابان)، ط1، دار الندى، مصر، 1999، ص62.

(4)- فراس السواح، (القصص)، المرجع السابق، ص203.

(5)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص183.

...واستقر الفلك على جبل "نصير"...

...ولما حلّ اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)

طارت الحمامة ولكنها عادت.

ورجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه

واخرجت السنونو وأطلقته

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعا يحط فيه

ثم اخرجت غرابا وأطلقته

فذهب الغراب، ولما رأى المياه قد قرّت وانحسرت

أكل وحام وحط ولم يعد

وعند ذاك أخرجت كل ما في السفينة إلى الرياح الاربع

وقربت قربانا

وسكبت الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل...»[1].

أما الإله "أنليل" الذي أحدث الطوفان فقد استشاط غيضاً لرؤيته "أوتا-نبشتم" والفلك، وسأل كيف ينجوا بشري من طوفان قرَّرته الآلهة وأمرت أن يُفني كل البشرية، وعلِم من الآلهة "ننورتا" أن الإله "أيا" هو الذي سمح بذلك، وقام أيا بمعاتبة أنليل لأنه قرّر هلاك كل البشر من دون تمييز بين الصالح والطالح[2]، وتظهر عشتار فرحة، أما أنليل الذي فشل مخططه فأصبح غاضبا ومغتاظا من أيا وفي الاخير يدخل أنليل الفلك ويبارك "أوتا-نبشتم" وزوجته[3] ويجعله إله يعيش في مصاف الآلهة في دلمون[4]، كما ورد في الأبيات:

«...أما "أنليل" فحذار ان يقترب من القرابين

لأنه لم يتروَ فأحدث عباب الطوفان

وأسلم اناسي (خلقي) إلى الهلاك"

ولما أن جاء أنليل وأبصر الفلك غضب

(1)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص184، 185.

(2)- نائل حنون، (ملحمة)، المرجع السابق، ص ص56-61.

(3)- فيصل عبد الله وعيد مرعي، **تاريخ الوطن العربي القديم** بلاد الرافدين، جامعة دمشق، سورية، 2014، ص153.

(4)- Morris Jastrow, Op. Cit, p452.

وامتلأ حنقا على آلهة الـ"ايكيكي" وقال:

"عجبا كيف نجحت نفس واحدة،

وكان المقدر ألا ينجو بشر من الهلاك؟..."[1]

"ثم علا (صعد) "أنليل" فوق السفينة

وأركب معي ايضا زوجتي وجعلها تسجد بجانبي

ووقف ما بيننا، ولمس ناصيتنا وباركنا قائلاً:

"لم يكن أوتنابشتم، قبل الآن سوى بشر

ولكن منذ الآن سيكون أوتنابشتم وزوجته مثلنا نحن الإلهة

وسيعيش "أوتو–نبشتم" بعيدا عند "فم الانهار"»[2]

وهكذا كانت نهاية قصة الطوفان كما رواها "أوتا–نبشتم" لحفيده جلجامش، وتعتبر من أهم نصوص الطوفان في ارض الرافدين، وذلك لأن لوحها كان كاملا دونما تشويه، وكذا لدقة تعبيره وجماله الأدبي. (أنظر الملحق رقم 13 ص 299).

ب.أسطورة "اترا–حاسيس":

تعتبر ملحمة "أترا–حاسيس" أوفى وصفاً وتفصيلاً من اللوح الحادي عشر من ملحمة "جلجامش"، حتى قيل أنها أصل الرواية الواردة في ملحمة جلجامش، وانها كانت إحدى مصادر مؤلف ملحمة "جلجامش"، حيث تبدأ من زمن وجود الآلهة، وتروي فيما بعد خلق الانسان وتسليط الطوفان من قبل الإله "أنليل"[3].

ب.1.مصدر الأسطورة:

اسفرت عمليات الحفر التي قامت بها الحكومة التركية باكتشاف عدد لابأس به من الرقم الطينية التي تحتوي على أجزاء من قصة الطوفان البابلية، التي اصطلح المختصون على تسميتها بملحمة "أترا–حاسيس" نسبة إلى بطلها، وقد عنونها الكتبة البابليون بـ"حينما الإله مثل الانسان"، أو "حينما الإله والانسان"، وأقدم هذه الرقم يعود إلى العصر البابلي القديم، حيث كتب زمن الملك البابلي

(1)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص186.

(2)– نفسه، ص188.

(3)– طه باقر، (مقدمة في ادب)، المرجع السابق، ص218، 219.

"آمي–صدوقا" (Ammi-sadouqa)[1] كما ان أغلبها جاء من مدينة "سيبار"، ويقول البعض ان هذه الرقم عثر عليها مع سائر ألواح ملحمة "جلجامش" بين أنقاض مكتبة "آشور بأنيبال" في "نينوى"، ولسوء الحظ لم تحفظ سوى فقرات قليلة مهشمة من المصنف الذي كان طوله أصلاً 1245 سطراً وقيل 1300 سطر، وهناك نصان من هذه القصة البابلية يعودان للعصر البابلي الوسيط، وبعضها من العهد الآشوري الحديث (في حدود 700–650 ق.م)، وجدير بالذكر أن واحداً منهما كان قد عثر عليه في "أوغاريت"[2]، ويذكر أن الكاتب الذي قام بنسخ الرقم الثلاثة التي تعود إلى العصر البابلي القديم كان اسمه "كو–أيا" (Ku-Aya)[3] والذي عاش زمن الملك "آمي–صدوقا"، واستنادا إلى قوائم الحوادث التاريخية، يكون "كو–أيا" قد انتهى من كتابة الرقيم الأول في حدود سنة 1634 ق.م، كما انه أحصى عدد أسطر كل رقيم منها[4]، حيث ينقسم كل لوح إلى ثمانية اعمدة اربعة على الواجهة واربعة على الظهر[5]. (أنظر الملحق رقم 08 رقم 292)

ب.2. شخصية أترا–حاسيس:

سميت الأسطورة باسم بطلها "اترا–حاسس" (Atra-Hasis)، وهو اسم بابلي يتكون من مقطعين (Atra) بمعنى كثير وزائد من الفعل (ataru) كثر وزاد، و(hasis) بمعنى يحس ويصغى ويفهم، وهذا يعني أن "اترا–حاسس" يحمل معنى الرجل الكثير الاحساس والعاطفة، أو مفرط الحس مع الحكمة[6]، وبالتالي لقب بـ"المتناهي في الحكمة" أو "واسع الحكمة"، وأنها صفة لـ"أوتا–نبشتم" في ملحمة جلجامش[7]، و"زيوسدرا" في الأسطورة السومرية، وجاء الاسم نفسه في إحدى نسخ الملحمة

(1)– **آمي صادوقا (Ammi-sadouqa)**: عاشر ملوك السلالة البابلية الأولى حوالي (1646– 1626 ق.م) وهو الملك ما قبل الأخير في السلالة المذكورة يعرف باسم عمي صادوقا وعمي زادوقا. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص128.

(2)– **لوح أوغاريت**: هي كسرة تشكل زأوية صغيرة من لوحة كانت تحمل أربعة أعمدة فقد قسمها الأكبر، تعود كتابتها إلى منتصف القرن الثالث عشر ق.م، لقب ناسخها بـ"نعم–رشف" كتبها بالأكادية، وتروي قصة طوفان بطله "اترم–حسيسوم" ومعناه "فائق الحكمة". أنظر: قاسم الشواف، المرجع السابق، ص285.

(3)– **كو–أيا (Ku-Aya)**: يرجح أنه عاش في سيبار، خلال عهد الملك "آمي–صدوقا"، وقد "ورد اسمه ايضا بـ"نور–أيا" و"كسب– أيا". أنظر: ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص23.

(4)– كارم محمود عزيز، المرجع السابق، 203، 204.

(5)– ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص29.

(6)– رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص169.

(7)– طه باقر، (مقدمة في أدب)، المرجع السابق، ص218، 219.

من العصر البابلي القديم بصيغة "أترم–حسيسوم" (Atram-hasis)، وأحيانا تذكر المراجع بدل الحاء خاءً، فيلقبونه بـ"أترا–خاسيس"[1].

ب.3. سبب الطوفان:

جاء سبب الطوفان واضح في هذه الملحمة؛ فقد لجأت إليه الآلهة كحل أخير ونهائي للقضاء على صخب البشر الذين تكاثر عددهم وارتفع صخبهم وقضَّ مضاجع الآلهة، فبعد خلق الإنسان ليحل محل الآلهة في تحمل مشاق الاعمال[2]، كما ورد في الأبيات:

«...استدعوا الآلهة وسألوا

قابلة الإلهة مامي الحكيمة

انت إلهة الرحم (تكونين) خالقة الجنس البشري

اخلقي بدائيا، كي يحمل النير

اجعليه يحمل النير عمل اليل

اجعلي الانسان يحمل حمل الإلهة...»[3].

قرّر "أنليل" انزال عقوبات على البشر ليرتاح من صخبهم المتزايد؛ فأوكل للإلهة "نمتار" بإرسال الأوبئة على الناس مثل الطاعون، ما جعل "اترا–حاسيس" يستنجد بإله الحكمة "أيا" ليخلص البشر، فأوصاه ببناء معبد للإلهة "نمتار"[4] وتقديم الأضاحي لها لتوقف الأوبئة، ففعل الناس غير أنهم سرعان ما تكاثروا من جديد وتزايد ضجيجهم في البلاد، فقرّر "أنليل" ارسال الجفاف والقحط الشديد؛ فأوكل للإله "ادد"[5] أن يحبس المطر، وأوكل إلى "أيا" ان يمنع مياه الأرض

(1)– مثل ترجمة ستيفاني دالي لأسطورة أترا–حاسيس. أنظر: ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص ص21–60.

(2)– صلاح ابو السعود، **أساطير سومر وبابل**، ط1، دار طيبة، مصر، 2009، ص143.

(3)– ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص47.

(4)– **نمتار أو نمتارو (Namtar)**: هو إله قاصر شغل منصب وزير ايرسكيجال إله العالم السفلي، كان من نسل أنليل ونينليل وهو نذير الموت، وبالسومرية يعني القدر أو المصير. أنظر: Jeremy Black and Anthony Green, Op. Cit, p134.

(5)– **أدد (Adad)**: إله الاعاصير لدى الآشوريين والبابليين وقد عرف عند السومريين بـ(Iskur) كان يتجلى في الصاعقة كما في الغيث المخصب، كان ابن آن وحفيد الإله أنليل. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص53. انظر كذلك:
Jeremy Black and Anthony Green, Op. Cit, p110, 111.

(الينابيع)، وأمر "نيسابا"[1] أن تمنع فيض ثدييها، وسلَّط عليهم ريحاً تلفح وجه الأرض فحلت المجاعة[2]، ويقول جورج رو: «أنهم وصلوا بجوعهم إلى التهام أبناءهم»[3]، ولكن "أترا-حاسيس" الذي كان مقرباً من الآلهة وظلّ مرة بعد مرة يتوسل إلى الإله "أيا" أن يتدخل وينقذ البشر[4]، فأشار له بتقديم قرابين للإله "ادد" لتأخذه الشفقة بهم، ففعلوا واشفق عليهم "أدد" وأرسل عليهم السماء وانتهى العقاب[5]، ولكن الإله "أنليل" غضب من فعلة الإله "ادد"، وصمّم أن تؤدي جميع الآلهة القسم لإرسال طوفان عظيم كحل نهائي لإبادة البشر، فقررت الإلهة تحت إلحاح "أنليل" أن يتم ذلك كما ورد في الاسطر التالية:

«...وأصبحت البلاد واسعة جدا، والناس كثر
كانت البلاد ضاجة كما الثور الخوار
ضاق الرب ذرعا بصخبهم
واضطر أنليل لسماع ضجيجهم
فخاطب الإلهة العظماء قائلا،
ضجيج الجنس البشري لم يعد يطاق،
صخبهم يفقدني رقادي...»[6].

ب.4.السفينة:

تدخل "أنكي" وأخبر "أترا-حاسيس" عن الطوفان بطريقة غير مباشرة عن طريق كلامه للحائط أو سياج القصب، وطلب منه هدم بيته وبناء سفينة وأشار إليه كيفية بناءها لتواجه هول الأمواج العاتية كما تقرّر، ففعل "أترا-حاسيس" ما طلب منه "أنكي"، وبنى سفينة كبيرة في سبعة أيام

(1)- **نيسابا** (**Nissaba**): إلهة سومرية، إلهة الغلال وأنواع المحاصيل والحبوب الخضراء يرمز لها بسنبل الذرة وهي زوجة الإله خاتي عبدت في العديد من المدن. انظر: G. Lieck, Op. Cit, p137.

(2)- Tikva Freymer- Kenskey, "The Atrahasis Epic and its Significance for our Understanding of Genesis1-9", Biblical Archeologist, December, 1977, p149.

(3)- Georges Roux, **la Mésopotamie**, Édition du Seuil, 1995, p137.

(4)- Ibid, p138.

(5)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص251.

(6)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص57.

أسماها "منقذة الحياة"[1]، حمل عليها زوجته وأسرته وصناعه وغلاله وبضائعه وأملاكه، فضلا عن حيوانات الحقل وكثيرا من الطعام[2]، كما ورد في النص:

«...اسمع أنكي صوته

وخاطب خادمه،

أنت تقول، "يجب ان اكتشف اثناء النوم(؟)"،...

...يا كوخ القصب تأكد انك ستنفذ كل كلماتي

فكك المنزل وابن سفينة،

ارفض الممتلكات، وخلص الكائنات الحية...

...اسقفها كما ابسو...

اصنع لها ظهرا أعلى وظهرا اسفل

ولتكن جبال الاشرعة والصواري متينة

وكذلك القار صلبا ليعطي قوة...»[3].

ب.5.الطوفان:

جاءت أحداث الطوفان في اللوحة الثالثة حيث يظهر في العمود الثاني بأن الجو تبدّل وأرعد الإله "أدد" في السماء ويأتي الانباء ببداية الطوفان بسماع صوت الإله أدد فأحضر "اترا-حاسيس" القار لسدة فتحة الفلك التي سماها "روزنة"، ويأتي في الوصف صورة الرياح الغاضبة التي عصفت دفعة واحدة يعني لم يكن الوقت الكافي لنجاة غير أصحاب الفلك الذي فكت رباطه، غير أن الوصف يتقطع بأسطر المشوهة التي تشكل نهاية العمود الثاني وبداية العمود الثالث، وعندما ينتظم النص من جديد تكمل الأسطر وصف الطوفان حيث تذكر الأبيات أن الاخ ما عاد يرى أخاه وانه لم يكن ممكناً تمييز احد في هذه المهلكة وذلك راجع للظلام الذي حل باختفاء وجه الشمس، وان حركة المياه اقترنت بصوت صاخب وصفته الأبيات بخوار ثور وجاء أيضا شبيه بصفير عقاب وكذا نهيق حمار الوحش، وجاء فيها أن هول الطوفان أرهب حتى الآلهة، وجاء في مدة الطوفان أنه دام

(1)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص79.

(2)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص204، 205.

(3)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص73، 74.

سبعة أيام بلياليها، وأن نتائج الطوفان كانت هلاك البشر كالذباب[1]، وتظهر الأبيات التالية وصف الطوفان:

«...تغير وجه الطقس
وخار أدد من قلب الغيوم...
...واستمر ادد في خواره من قلب الغيوم
كانت الرياح تثور حتى حينما صعد...
ولم يتمكن اي انسان من رؤية الآخر،
من المستحيل التعرف عليهم اثناء الكارثة
وهدر الطوفان كالثور،
و(هدرت) الريح كحمار بري يزعق
كان الظلام شاملا، لم يكن هناك شمس[2]...
...لسبعة أيام وسبع ليال
هبت السيول، والعواصف والطوفان...»[3].

ب.6.نتائج الطوفان:

انتهى الطوفان بكارثة بشرية حيث تساقط الناس كالذباب امتلئ البحر والنهر بالبشر كجذوع الحطب، وصوّرت الجثث في الشواطئ مكدّسة وكومة أي لا تعد ولا تحصى، فالطوفان أتى على كل البشرية، أما فيما يخص الآلهة فقد ندمت لقرارها وتمنت لو أنه لم يكن، مثل الإله "أنكي" الذي كان يستشيط غضبا لرؤية أبناءه يهلكون، كما لم تكتم "ننتو" هلعها من هول الطوفان، وقد بكت وانتحبت متأثرة بما حل بالأرض[4] كما ورد في الأبيات:

«...الآلهة راقبت وبكت...
كيف باستطاعتي انا في مجلس الإلهة،

(1)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص ص265- 269.
(2)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص76.
(3)- نفسه، ص79.
(4)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص268، 269.

ان اكون قد أمرت بهكذا دمار معهم؟...

وخارجا عن سيطرتي (؟) اصبحت ذريتي كالخراف البيض...

كان ننتو ينتحب...

لقد جرفوا كرمث نحو ضفة في العراء

لقد شاهدتهم وبكيت لأجلهم...

بكى ننتو وألهب اهواءها

وبكى الآلهة معها من أجل البلاد...»[1].

أما عن فائق الحكمة فقد قدّم القرابين للآلهة التي استنشقت بخورها وتجمعت حولها كالذباب، غير أن أنليل وجّه لومه لأنكي لأنه أفشى السر، وجعل ذلك فائق الحكمة ينجوا من الطوفان[2]، كما بينت الأبيات:

«...أمن طعاما...

تنشق الآلهة الشذى،

وتحلقوا كالذباب حول الطعام المقدم

وعندما أكلوا التقدمة،

وقف ننتو والقى اللوم عليهم جميعا،...

...كيف ارسلنا الطوفان

لكن رجلا واحدا بقي على قيد الحياة بعد الكارثة»[3].

(أنظر الملحق رقم 14 ص307).

(1)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص77، 78.

(2)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص270- 275.

(3)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص ص79-82.

ج. قصة "بيروسوس" عن الطوفان:

ج.1. مصدر الأسطورة:

كتبت رواية "بيروسوس" باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد[1]، وهو أحد كهنة بابل، ولعله كان كاهن كبير آلهتها "مردوخ" في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد اقتصرت معرفتنا به على المصادر الكلاسيكية، ولذلك لا نعرف بالضبط صيغة اسمه البابلية، ولعله "برعوشا" أو "برخوشا"، وقد عاش فترة من الزمن في بلاد اليونان وأسَّس فيها مدرسة للتعليم، ويروى أنه عاصر الاسكندر الأكبر (356–323 ق.م)، ولكنه بقي في الحياة من بعده، لأن الاسكندر مات شاباً، وقد ألّف "بيروسوس" باليونانية كتابا يحكي عن تاريخ بابل منذ الخليقة حتى حكم الاسكندر في ثلاثة أجزاء، وأهدى مؤلفه إلى خليفة الاسكندر في بلاد الشام والعراق وايران وهو "أنطيوخس الأول" (292–261 ق.م)، وعنونه ببلاد بابل (Babyloniaca) أو (Chaldaica) وقصد من ذلك أن يقدم إلى اليونان تأريخ بلاده، وقد ضاع مؤلفه ولم يبق منه إلا اقتباسات نقلها بعض مشاهير الكتاب اليونان[2]، مثل النحوي "بوليهستر" (Alexander Polyhistor)[3] الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد غير أن مؤلفه –الذي اقتبس الكثير فيه عن الطوفان من بيروسوس– قد ضاع، ولم يصل منه إلا اقتباسات المؤرخ البزنطي "سينيكليوس" (Syncellus)، ونجد كذلك اقتباسات "ابيدنيوس" (Abydenus)[4]، وقد صُنِّف بأنه أقل أهمية كونه قد دوّن حوالي قرنين من حياة بيروسوس[5].

(1)– محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص68.

(2)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص242، 243.

(3)- M. Joachim Ménant**, Babylone et Chaldée**, Maisonneuve et C^{e} Editeurs, Paris, 1874, p19.

(4)– محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص76، 77.

(5)– قاسم الشواف، المرجع السابق، ص304.

ج.2. شخصية اكسيسوثروس:

بطل أسطورة الطوفان حسب رواية بيروسوس هو الملك "اكسيسوثروس" (Xisuthrus) الملك العاشر الذي حكم بابل[1]، ابن الملك "اردیتیس"[2] (Ardates) (وفي رواية اخرى جاء باسم Otiartès)[3] ويرجّح البعض أنه اسم محرّف عن الاسم البابلي "أوبار–توتو" (Ubar-Tutu) الذي ورد ذكره في ملحمة جلجامش على أنه ابو "أوتا–نبشتم"، وأنه حكم في "لاراك" (Larak)[4]، كما يرى البعض الآخر أن اسم "اكسيسوثروس" تحريف يوناني لاسم "زيوسدرا" بطل الطوفان السومري[5]، وذلك يتفق مع ما ورد في قوائم الملوك السومرية[6].

ج.3. أحداث الطوفان:

غيّبت رواية بيروسوس سبب الطوفان فجاءت في بداية القصة بالرؤيا التي ظهرت للملك "اكسيسوثروس"، الذي حدّثه الإله "كرونوس"[7] في رؤياه عن طوفان عظيم سيغمر الأرض ويهلك الحرث والناس جميعاً، ومن ثم كان لزاماً عليه أن يكتب تاريخ البشرية منذ البداية ودفنه في مدينة "سيبار"[8]، وهناك من يرى أنه لم يكتب تاريخ البشرية بل قام بطمر النصوص المكتوبة في مخبأ في باطن الأرض، وقد تحدّد يوم حدوث الطوفان كما جاء في الرؤيا بمنتصف شهر "دايسيوس"[9] (Daesius) أي في الخامس عشر من شهر أيار البابلي (15 ماي)[10].

---

(1)– كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص208.

(2)– فراس السواح، (مغامرة)، المرجع السابق، ص179.

(3)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p19.

(4)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص243، 244.

(5)- U. Cassuto, Op. Cit, p14.

(6)- Leonard W. King**, Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition**, Wipf &Stock Publishers, USA, 2006, p30.

(7)– **كرونوس** (**Cronus**): إله الهواء في الأساطير الاغريقية اصبح لاحقا إله الزمان لأنه ابتلع ذريته ودفنهم في اعماقه فبدا كما لو أنه الدهر الذي يفني المخلوقات خاصة وان معنى كلمة كرون باليونانية تعني الزمن، الذي يطوي كل شيء، ابوه أورانوس وبات كذلك إله السماء وإله الطقس يقابل الإله ايل في الميتولوجيا الكنعانية، أهم ما خلد به هذا الإله في الميتولوجيا الاغريقية هو مهرجان الذي كان الناس يحتفلون به في بلاد اليونان وهو مهرجان كرونيا الذي كان منتظم الانعقاد في اثينا ورودس وطيبة ابتهاجا بالحصاد. أنظر: خزعل الماجدي، **المعتقدات الاغريقية**، ط1، دار الشروق، الاردن، 2004، ص ص198– 201.

(8)- E. A. Wallis Budge, Op. Cit, p28, 29.

(9)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص245.

(10)– سعيد الغانمي، المرجع السابق، ص148.

ج.4.الفلك:

طلب الإله "كرونوس" من الملك "اكسيسوثروس" بناء فلك يحمل فيه عائلته وذويه وأصدقاءه المقربين ويزوده بالغذاء والشراب[1]، فضلا عن الكائنات الحية من الطيور والدواب، فنفّذ "اكسيسوثروس" طلب الإله كرونوس وقام ببناء فلكاً طوله خمس ستادات[2] (ما يقارب 1000م) وعرضه استادان[3] (ما يقارب 400م)، وجاء في ديوان الأساطير أن طوله كان خمس عشر استاداً[4] (ما يقارب 3000م)، وبعدما تمت تجهيزات الفلك جمع فيها زوجته وأهله وأقرباءه والحيوانات كما أُمر، وتحدَّدت الوجهة، فبسؤال "اكسيسوثروس" عن وجهة الفلك أخبره بأنه سيبحر إلى الآلهة، بمعنى أنه سيعيش مع الآلهة، ويخلد بعد أن يصلي من أجل خير الناس[5].

ج.5. نهاية الطوفان:

جاءت بعد أيام غير محدّدة نهاية الطوفان واضحة في محاولة "اكسيسوثروس" معرفة انحسار الماء من عدمه، عندما أطلق سراح بعض الطيور، ولما عادت عرف أنها لم تجد مكان تحط فيه، وبعد أيام أخر أطلقها فإذا بها تعود ملوثة الأرجل بالطين، وفي المرة الثالثة لا تعود الطيور إلى الفلك، فعلم الملك أن المياه انحسرت، وخرج من الفلك مع زوجته وابنته وربأن الفلك، وسجد لربه وقدّم القرابين للآلهة وبنى مذبحاً، ولما نزل ركاب السفينة لم يجدوا "اكسيسوثروس" وهم في بحثهم سمعوا صوتاً علوياً يخبرهم، أن الآلهة اختارته بفضل ورعه ليسكن إلى جوارها، هو وزوجته وابنته وربان الفلك[6].

وقد أخبرهم نفس الصوت بأن يرجعوا إلى بابل، ويستخرجوا الكتابات التي طمرها "اكسيسوثروس" ويوزعوها على بعضهم لينشروا المعرفة، وأنهم وصلوا إلى أراضي أرمينيا وأن الجبل الذي رسى عليه الفلك هو من جبال "كرديين" (بتركيا حاليا)، فعاد ركاب السفينة –من دون الذين رفعوا

---

(1)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p19.

(2)- **ستاد (Stades)**: جمع (Staduim) مقياس يوناني يقارب 202 ياردة واليادرة تقارب المتر (0.91م). أنظر: طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص245. أنظر كذلك: http://islamweb.net/services/convert/

(3)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص245.

(4)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص305.

(5)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص77.

(6)- نفسه، ص77، 78.

إلى الآلهة- مشياً على الأقدام، واستخرجوا الكتابات المدفونة في سيبار، وأسّسوا مدناً عديدة وبنوا معابد وأعادوا بناء مدينة بابل[1].

وتجدر الإشارة إلى الاختلافات التي وردت بين رواية "بيروسوس" عن "بوليستور"، وعن "ابيدين" فهذه الأخيرة لم تذكر ما سبب الطوفان، في حين الرواية الأولى تذكر أن الطوفان كان بسبب مياه غزيرة، كما أن مدة الطوفان قد حُدِّدت في الرواية الأولى بثلاث أيام، وأن الوجهة كانت في البداية معروفة ببلاد أرمينيا[2]، أما في الثانية لم تعرف مدة الطوفان ولا الوجهة ففي النهاية فقط عرف الناجون من الفلك بعد سماعهم الصوت السماوي أنهم على أرض أرمينيا، أما وجهتهم في البداية فكانت معنوية غير محددة فقد ورد فيها أن الملك "اكسيسوثروس" أمر أن يحمل من معه إلى أرض الآلهة لطلب بركتها، وربما كانت الثلاث أيام التي وردت في قصة "بيروسوس" عن ابيدين استنادا إلى المرات التي أرسل فيها الطير للتحسس من ظهور اليابسة، فكانوا ثلاثة بمعنى أنه قد تم إرسالهم في ثلاثة أيام متتالية فكانت فترة الطوفان ثلاثة أيام.

ويلاحظ في نص "بيروسوس" أنه غيّر اسم الإله "أيا" إلى اسم إله يوناني وهو "كرونوس"، وأن النص ابتعد عن التفصيلات التي تتعلق بحالة الجو، فأعطى واقعية أكثر للرواية، ويرتكز اهتمام القارئ على الهدف من الطوفان والنتائج، وأن فكرة اختفاء "اكسيسوثروس" ورفعه إلى السماء فكرة متقدمة في مجال العقيدة الدينية، فالعروج إلى السماء وارد في الاديان السماوية كما أن سماع القوم نداء من السماء دون رؤية الآلهة ومخاطبتهم مباشرة فيه تنزيه للآلهة من التجسد[3].

3. مقارنة بين الأساطير:

يرى الكثير من الباحثين أن أسطورة الطوفان ترجع في مادتها الأساسية إلى أصول سومرية[4]، كما يقول خزعل الماجدي في "كتاب أنكي": (إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهرياً على قصة الطوفان السومرية، لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على اصل

(1)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص208، 209.

(2)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p20.

(3)- محمد فيض الله الحامدي، المرجع السابق، ص47.

(4)- صمويل هنري هوك، **الأساطير في بلاد ما بين النهرين**، تر: يوسف داود عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، 1968، ص20.

سومري)[1]، ويؤكّد صمويل نوح كريمر على ذلك ويبيّن أن الأسطورة السومرية الأساس أن التفصيلات التي ميّزت الرواية البابلية للطوفان تظهر بشدة في بناء الفلك ووصف الطوفان والنهاية المفصلة التي غيبتها القطع الفخارية المكسورة في الأسطورة السومرية[2]، غير أنه وفي مجال المقارنة بين الروايات يظهر تشابه واختلاف أحيانا سأحاول توضيحه في نقاط المقارنة التالية:

أ. أدوار الطوفان:

تتلخص الخطوط العريضة للأسطورة في أربع نقاط تتكرَّر مع بعض الاختلاف من أسطورة إلى أخرى، فكلها بدأت بقرار إلهي يقضي بدمار الأرض بواسطة طوفان شامل، وكلها أقرَّت اختيار واحد من البشر لإنقاذ مجموعة محدودة من البشر والحيوانات، وكلها انتهت باستمرار الحياة بعد الطوفان بمن نجا من الكارثة على اختلاف عناصرها، وحصل على البركة والرضا بسبب إنقاذه للبشرية.

تشابهت الأساطير في أدوار الطوفان في كونه بدأ بنقل خبر الطوفان من الآلهة إلى البطل وإن اختلفت تسميته فدوره واحد هو إنقاذ البشرية من الطوفان، الذي اقرَّته الآلهة بإجماع، وأن هذه الأخيرة وعلى رأسها الإله "أنليل" كما جاء في أسطورة "زيوسدرا"[3] و"اترا-حاسيس"[4] وأسطورة "أوتا-نبشتم"[5]، مع أن رواية بيروسوس لم تذكر اسم الإله المسؤول عن الطوفان.

ب. بطل الطوفان وإفشاء السر الإلهي:

أجمعت الأساطير على وجود إله من الآلهة رفض إهلاك البشر وأشفق عليهم ما جعله يفشي سر الطوفان وأن الإله "أنكي" كما ورد في أسطورتي "زيوسدرا"[6] و"اترا-حاسيس"[7]، وجاء في أسطورة "أوتا-نبشتم" باسم الإله "أيا"[8]، بينما يسميه بيروسوس بالإله "كرونوس"[9]، وكان الطرف

(1)- خزعل الماجدي، **كتاب أنكي** الأدب في وادي الرافدين، ج1، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2013، ص164.

(2)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p248.

(3)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص284.

(4)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص57.

(5)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص 186.

(6)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص282.

(7)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص79.

(8)- فراس السواح، (جلجامش)، المرجع السابق، ص37.

(9)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p19.

الذي تلَقى الخبر بإجماع الأساطير شخص ورع تقي كان جزاؤه في النهاية الخلود والأبدية مع الآلهة، وما اختلاف الشخصية إلا في صياغة التسمية مع التشابه في المعنى، فـ"زيوسدرا" السومري يعني اسمه "ذو الحياة الطويلة"[1]، و"أوتا-نبشتم" البابلي معنى اسمه "الذي وجد الحياة"[2]، أما "أترا-حاسيس" فمعناها "الواسع الحكمة" وقد ورد اسم "اترا-حاسيس" في قصة الطوفان التي رواها "أوتا-نبشتم" في ملحمة جلجامش، كإحدى صفات بطل الطوفان السومري والبابلي في نفس الوقت[3].

اتفقت الأساطير أن كل أبطال الطوفان قدموا بنجاتهم القرابين شكراً للآلهة؛ فـ"زيوسدرا" خرَّ ساجداً أمام "أوتو" ونحر ثوراً وقدَّم ذبيحة من الغنم[4]، و"اكسيسوثروس" الذي سجد على الأرض وبنى مذبحاً وقدَّم قربانا للآلهة[5]، و"أوتا-نبشتم" الذي قدّم قرابينه للرياح الأربعة، ووضع البخور على قمة الجبل، لتشتم الآلهة رائحته وتتقدم له[6].

ج. سبب الطوفان:

أول الاختلافات بين الأساطير كانت عن سبب الطوفان؛ ففي الوقت الذي سكتت بعضها عنه، وأدلى البعض الآخر به ضمنياً، جاء السبب علنياً في بعضها، فأسطورة "أترا-حاسيس" ذكرت أن سبب الطوفان كان الفوضى وعدم قيام البشر بالمهام الموكلة إليهم كما كان يرجى لخلقهم[7]، بينما تذكر أسطورة "أوتا-نبشتم" في النهاية في حديث أيا مع أنليل ولومه له لأنه لم يأخذ المذنب بذنبه[8]، وضحى في الهلاك الذي أرسله بالبشرية ككل دلالة على أن السبب وراء غضب الإله أنليل كان فساد وذنوب البشر، في حين سكتت أسطورة "زيوسدرا" عن سبب الطوفان لأن بدايتها جاءت

(1)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص35.

(2)- نفسه، ص39.

(3)- طه باقر، (مقدمة في أدب)، المرجع السابق، ص218، 219.

(4)- صامويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

(5)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص78.

(6)- محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص46.

(7)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص57.

(8)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص186.

مشوهة[1]، وكذا لم يرد في رواية بيروسوس عن أبيدين سبب الطوفان، في حين جاء في رواية "بوليستور" أن الطوفان كان بسبب مياه غزيرة[2].

د. موعد الطوفان ومدته:

انفردت رواية "بيروسوس" بذكر وقت الطوفان؛ فقد جاء في منتصف الشهر الثاني من التقويم البابلي، وجاء فيها أنه دام ثلاثة أيام حسب رواية ابيدين[3]، وبينما في رواية أترا-حاسيس أنه دام ستة أيام بلياليها[4]، وجاء في الأسطورة السومرية أنه دام سبعة أيام وسبع ليال[5]، وقد سكتت رواية أبيدين عن بيروسوس عن مدة الطوفان، أما في رواية بوليستر عن بيروسوس فقد جاء أن الطوفان دام ثلاثة أيام[6].

هـ. رسو السفينة وإطلاق الطيور:

ورد أيضا اختلاف في الأساطير فيما يخص انطلاق السفينة، فقد كان في أسطورة أوتا-نبشتم من مدينة "شوروباك" مدينة اوتا-نبشتم[7]، أما في رواية "بيروسوس" فقد كان من مدينة سيبار الذي دفنت فيها مدونات البابليين[8]، كما ورد اختلاف في رسو السفينة فقد جاء في رواية "أوتا-نبشتم" أنها رست على جبل نصير[9]، وجاء في رواية "بيروسوس" أنه في أرمينيا في جبال الكرديين[10].

وقد اجتمعت الأساطير البابلية دون السومرية أن بطل الأسطورة عرف بانحصار الماء بإرساله للطيور[11] فقد ورد في قصة "أوتا-نبشتم" أنه أرسل حمامة، ومن ثم سنونو عادا بعدما لم يجدوا مكان يحطان عليه، وثالثهم الغراب الذي طار ولم يعد فعلم "أوتا-نبشتم" من ذلك أن المياه انحسرت[12]،

---

(1)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p202.
(2)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p20.
(3)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص245.
(4)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص79.
(5)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p248.
(6)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p20.
(7)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص176
(8)- E. A. Wallis Budge, Op. Cit, p28, 29.
(9)- محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص46.
(10)- Maurice Dunan, Histoire Ancienne des **Peuples de L'Orient**, Garnier Frères Libraires, Editeurs, Paris, 1886, p89.
(11)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p248.
(12)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص184، 185.

كذلك الحال في أسطورة الطوفان عن "بيروسوس" التي جاء فيها أنه أرسل ثلاث طيور دون أن يعيّن نوعهم[1]، في حين غابت طريقة معرفة "أترا-حاسيس" بنهاية الطوفان لأن النص كان ناقصاً.

غير أن هذه الأساطير جاءت كدليل على التلاقح الحضاري، فقد نقل الناجي من الطوفان في رواية بيروسوس المعرفة التي توصل لها الانسان في عصر ما قبل الطوفان، فقد خبأ المدونات التي زخرت بها بابل، وتحدّثت عن تاريخ البشرية منذ الخليقة في باطن الأرض، واستخرجت بعد الطوفان[2]، في حين جاء في قصة أوتا-نبشتم أنه حمل الصناع والحرفيين[3] معه لينقلوا ما وصلوا اليه للأقوام ما بعد الطوفان، والشيء المميز في ملحمة "اترا-حاسيس" طولها وكثرة أحداثها مقارنة بغيرها.

4.قصة الطوفان في الأدبيات الاخرى:

عرفت كل الشعوب القديمة تقريباً أسطورة الطوفان ضمن تراثها الحضاري، وبالرغم من أنها اختلفت في بعض التفاصيل، إلا أنها تلتقي في الأدوار الاساسية، مثل أن الطوفان يشكّل عقاب وينتقل خبره إلى شخص يختار لينجوا منه في وسيلة النجاة، وسآخذ نماذج من قصص الطوفان في قارات مختلفة:

أ. الرواية الهندية للطوفان:

تقول "الشاتاباثا" البراهمية[4] واساطير "الماهابهارتا"[5] الهندية أن رجلا يدعى "مانو"[6] قد نجا من الطوفان[7]، وحسب رواية الأسطورة: كان "مانو" يغسل يديه وجاءته سمكة في يده وكلمته

(1)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص78.

(2)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص208، 209.

(3)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص180.

(4)- **البراهمية** (**Brahmanism**): ديانة الهند القديمة، وهي مستخرجة من كتب الفيدا استمدت اسمها من اهمية براهمان بوصفه قوة عليا ومن وضع طبقة البراهمة (الكهنة في الهندوسية) في آن معا. أنظر: جفري بارندر، المرجع السابق، ص422.

(5)- **الماهابهارتا** (**Mahabharata**): ملحمة هندية عظيمة تشبه الياذة هوميروس عند اليونان، تروي قصة صراع فرعين من الاسرة المالكة حول مقتل زوجة. أنظر: نفسه، ص454.

(6)- **مانو** (**Manu**): اسم نال الاحترام والتقديس في أدب الثقافة بأسره من الوثنيين فهو ابن الإله ومصدر جميع الناس وجدهم الاسطوري. أنظر: عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص67.

(7)- أنظر:

Louis Jacolliot, **Fétichisme** Polythéisme Monothéisme, A. Lacroix et C^e^ Éditeurs, Paris, 1876, pp 315- 320.

وطلبت انقاذها من الهلاك ووعدته جراء ذلك أن تنقذه في المستقبل من خطر عظيم، وأنبأته بخطر الطوفان الذي سيجرف كل المخلوقات، وعلى ذلك حفظ "مانو" السمكة في مرتبان كبير حتى كبرت اكثر من سعة المرتبان وألقاها في البحر، ثم جاء الطوفان بعدما بنى "مانو" سفينة كما أنبأته السمكة، وحين دخل "مانو" في السفينة سبحت السمكة اليه فربط السفينة بقرن في رأسها وجرتها إلى الجبال الشمالية وهناك ربط "مانو" السفينة بشجرة[1]، كانت هذه السمة تجليا من تجليات الإله "فيشنو" وتذكر الأسطورة أن السمكة قادت السفينة في المياه لتوصلها إلى جبل "هيسمافات"[2] التي لا تزال تسمى "نوبانذا" (Naubandha) ومعناها المرفأ والميناء[3]، وجاء في رواية أخرى ان السفينة رست عند جبل "هماوان"، وقد جعلت المصادر الهندوسية "مانو" –الناجي من الطوفان[4]– الملك الذي وضع القوانين والانظمة[5].

وجاء في تتمة الرواية أن "مانو" ظل وحيدا منهمكا في العبادة وتمنى ان يخلف في الأرض وقدّم ضحية[6] خلفت بعد عام امرأة وهناك من يذكر أنها كانت ابنته لأنها خلقت من ضحيته، وانتجا ذرية عمرت الأرض، وكان جزاءه أن تلبى له اي امنية أو نعمة كان يطلبها[7]، فكانت بذلك الأسطورة نجاة لرجل بار متعبد وصالح من الطوفان بفلك بناه بعد علمه بخبر الطوفان، وكانت نجاته بإبحاره إلى الشمال ورسو الفلك على جبال على اختلاف تسميته من رواية لأخرى، وكانت له مهمة إعمار الأرض وبذلك نال رضى الآلهة.

(1)– عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص67.

(2)– منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص180

(3)– اسماعيل مظهر، **قصة الطوفان** وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هي الآشورية البالية والعبرانية والمسيحية وانتقالها باللقاح إلى المدينة الاسلامية، دار العصور، مصر، 1929، ص68.

(4)– وقد جاء ايضا انه لم يكن بمفرده بل أخذ معه سبعة من الريشي (Rishi) وهم فقراء الهند وأهل باطن عندهم من النساك المتعبدين. أنظر: نفسه، ص68.

(5)– احمد مكي الغانم، الطوفان، مجلة الواحة، العدد 60، شتاء 2010، ص5.

(6)– سميت الضحية بـ"الباكا" وهي مزيج من الماء والزبد الصافي واللبن الرائب والشيراز وماء الجبن. تماسكت العجينة خلال عام. أنظر: جيمس فريزر، المرجع السابق، ص136.

(7)– محمد فيض الله الحامدي، المرجع السابق، ص48.

ب. الرواية اليونانية للطوفان:

جاء الطوفان في الأسطورة اليونانية كمرحلة من مراحل الغضب الإلهي[1] الذي صبّه الإله "زيوس"[2] كبير آلهة اليونان على البشر، وقد اختلفت أسبابه من رواية لأخرى، فقد جاء أن سبب الطوفان أن البشر كانوا يفتدون بأولادهم ضحية بأكل أحشائهم، فأراد "زيوس" تمزيق الأرض بطوفان مهلك عقاباً لهم[3]، وجاء أن سبب الطوفان كان فساد البشر وتفشي الجريمة بينهم، فأصبح الشر علامة مميزة للبشرية، ما جعل "زيوس" يقرّر القضاء على البشرية والفساد المتفشي فيها ويخلق أناسا آخرين لم يعرفوا الشر والفساد بعد[4]، ويذكر أن الإله زيوس غضب من "بروميثيوس" (Prometheus)[5] الذي سرق النار من مركبة الشمس ونقلها إلى الأرض في ساق نبات الشمار وعلمها للبشر، فكان جزاء "بروميثيوس" أن ربطه "زيوس" بسلسلة إلى صخرة على جبل "كوكاس" (Caucacus) حيث ينقر نسر كبده كل يوم، وكان للبشر أن يعاقبوا بإرسال طوفان ماء يغرقهم جميعاً

(1)- بعد أن صنع امرأة من طين اسماها "بندورا" ومنحها الجمال والمواهب وأنزلها إلى الأرض مع جرة المعاناة التي اطلقتها على البشرية بسبب فضولها. أنظر: امين سلامة، **معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية**، ط2، مؤسسة العروبة، مصر، 1988، ص93.

(2)- **زيوس** (**Zeus**): ملك الآلهة عرف بيوبيتير (Jupiter) كان إلها للطقس فهو مرسل المطر والبرد والجليد والعواصف الرعدية كان سلاحه هو الصاعقة وهي رمز سلطته التي لا تقهر على الإلهة والبشر، ويدعى لدى هوميروس بجامع السحب والمرعد في الأهالي وسيد البرق وزيوس الذي يضيء في الرعد وابو الآلهة والبشر وكان حاميا للقانون والعدالة وله القاب أخرى تشير إلى المجالات التي يهيمن عليها بوصفه حاميا للمنزل والموقد والممتلكات والصداقة والعهود والضيافة والضارعين والبشر بصفة عامة. أنظر: أحمد عبد الباسط حسن، **التاريخ الديني لسكان الجزيرة العربية في العصور القديمة من العبادات الأولى إلى العبادات التوحيدية**، دار الوفاء، الاسكندرية، 2014، ص174. أنظر كذلك:

Sarah B. Pomeroy and others, **A Brief History of Ancient** Greece Politics Society and Culture, Oxford University Press, New York, 2004, P32.

(3)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص153.

(4)- عبد المعطي شعراوي، **الأساطير الاغريقية**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983، ص ص100-103.

(5)- **بروميثيوس** (**Prometheus**): ابن "أيابيتوس" والربة "ثيميس" يعني اسمه رجل ذي بصيرة، كان يعتبر بطل الأموات ضد ديكتاتورية زيوس، كان ينظر اليه كخالق للإنسان من طين على هيئة الإلهة ومنحه بعض صفات الحيوان، أتى اليهم بهدية النار فتقدمت على إثر ذلك مدينتهم وعلومهم وفنونهم، عاقبه زيوس بأن شدّ وثاقه إلى صخرة فوق جبل القوقاز وأطعم كبده لنسر إلى أن انقذه هرقل وقتل النسر وفكّ قيوده. أنظر: امين سلامة، المرجع السابق، ص101،100. أنظر كذلك:

William Smith, **Classical Dictionary** of Greek and Roman, Harper & Brothers Publishers, New York, 1884, p709.

ويأتي بخلق خير منهم، إلا أن بروميثيوس كان قد أخبر ابنه "دوقاليون" (Deucalion) بأمر الطوفان وأمره ببناء فلك[1] من خشب البلوط ويخزّن فيه المواد الغذائية، لينجوا به وزوجته بيرا (Pyrrah)[2] ابنة "ابيميثيوس" و"بأندورا"[3]، فصنع "دوقاليون" بناءً على نصيحة والده فلكاً أو تابوتاً جمع فيه ما يلزمه ودخل فيه برفقة زوجته، وكان الطوفان بأن أسقط "زيوس" مطراً غزيراً[4] وانفصلت جبال "ثيسالي"[5] وغمرت المياه البلاد التي تقع وراء "استموس" و"بيلوبونيز"[6]، في الوقت الذي سارت فيه سفينة "دوقاليون" على سطح الماء تسعة أيام بلياليها[7]، ولما انقطعت الأمطار[8] بعد أن أوقف

(1)- Max Muller, **Introduction to the Science of Religion**, Longmans Green and CO, London, 1873, p63.

(2)- آرثر جيمس وايرل . وف بلفور، المرجع السابق، ص62.

(3)- **بأندورا** (**Pandora**): هي أول امرأة منذ بدء الخليقة وفق الأساطير اليونانية سميت كذلك لأنها هدية كل الآلهة للبشر أو لأن كل إله وهبها هدية، أمر زيوس هيفاسيتوس بخلق بشر من طين هو الشر بعينه، فزودتها أثينا بيد تجيد الحياكة وحبتها افروديت باللطافة والجمال ووهبها هرميس المكر والخداع وكانت السبب في انطلاق الشرور والأمراض والآلام للعالم بعدما فتحت صندوق حملته معها ومنعت من فتحه ولكن الفضول جعلها تفتحه فانطلقت من الشرور والآلام والأمراض للبشر. أنظر: امين سلامة، المرجع السابق، ص93، 94.

(4) - William Smith, Op. Cit, p709.

(5)- **ثيسالي** (**Thessaly**): اقليم في شمال اليونان مغلق بالجبال في كل جوانبه. أنظر: عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص151.

(6)- **بيلوبونيز** (**Péloponnèse**): هي شبه جزيرة المورة حاليا تمثل المنطقة الجنوبية من بلاد الاغريق، تتصل بالمنطقة الشمالية والوسطى عن طريق برزخ كورنثا، وبها إقليم اخايا إلى الشمال الغربي واقليم اليس في الغرب، واقليم اركاديا في الوسط، واقليم ارجوليس في الشرق. أنظر: صلاح ابو السعود، **الحضارة الاغريقية**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2015، ص8، 9.

(7)- وفي رواية أخرى ان السماء أخذت تمطر وظلت في تهاطلها اربعين يوما واربعين ليلة كاملة من غير انقطاع. أنظر: اسماعيل مظهر، **قصة الطوفان** وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة، دار العصور، مصر، 1929، ص67.

(8)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص ص119-121.

زيوس الرياح الجنوبية وأرسل الرياح الشمالية، وأمر أخاه "بوسايدون"[1] (رب البحار) بحسر الماء[2] فرست السفينة على جبال بارناسوس (Parnassus)[3].

ويذكر بلوتارخ أن "دوقاليون" وزوجته "بيرا" بنيا ضريحاً في المكان الذي نزل فيه الفلك هو ضريح "زيوس" المقدس في دودونا[4]، وجاء في رواية اخرى أن ان "دوقاليون" وزوجته نذرا ودعيا الآلهة إن عمرت الأرض من جديد أن يقدما القرابين والأضاحي ويحرقان البخور ويحكمان بالعدل ويعلمان الناس الحكمة ويبعدانهم عن الشر، وقد اعجب "زيوس" بدعائهما فظهر لهما في معبد دلفي، وأمرهما بأن يلقيا بعظام والدهما من فوق ظهرهما وكان كل حجر يلقيه "دوقاليون" عند ملامسته الأرض يتحول إلى رجل، وكان كل حجر تلقيه زوجته يتحول إلى امرأة، وتكاثر بذلك سكان الأرض وكان الفضل في ذلك لـ"دوقاليون" وزوجته[5]، وفي رواية أخرى أن الدعاء الذي دعاه "دوقاليون" جاء بناءً على أمنية سمح له زيوس بتمنيها، فتمنى أن تعمر الأرض بالبشر بعدما قضى الطوفان على البشر الذين أمر زيوس بإغراقهم إلا "دوقاليون" وزوجته[6].

د. رواية الطوفان في أمريكا:

إذا تناولنا الطوفان في قارة امريكا فسيكون المجال ضيقاً لذكر كل ما ورد عن الطوفان في كل القارة، فقد أحصى جيمس فريزر مجموعة من الروايات المختلفة في الكثير من التفاصيل عن بعضها روِّجت في كل القارة، فرواية الطوفان في امريكا الشمالية تختلف عن امريكا الوسطى؛ فمثلا في البرازيل فقط وجد حوالي أربعة عشر رواية، وبطل الأسطورة في جزر هاواي اسمه "نو" هرب من الفيضان في

---

(1)- **بوسايدون (Posiedon)**: هو إله البحر المتوسط وإله البحر عامة بل إله المياه العذبة والبحيرات والأنهار ابن كرونوس وريا، يتحكم في الأمواج والرياح والعواصف والزلازل خاصة في البحار، انتشرت مراكز عبادته في كافة المناطق البحرية. أنظر: محمد الخطيب، المرجع السابق، ص44، 45. أنظر كذلك: William Smith, Op. Cit, p702, 703.

(2)- احمد مكي الغانم، المرجع السابق، ص6.

(3)- **بارناسوس (Parnassus)**: هي سلسلة جبلية أحدها فوسيس يبلغ ارتفاعها 2500 م عن سطح البحر، تقع في الإقليم الشمالي لليونان. أنظر: عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص151. أنظر كذلك:
William Smith, Op. Cit, p606.

(4)- بلوتارخ "فلوطرخوس"، **تاريخ اباطرة وفلاسفة التاريخ**، تر: جرجيس فتح الله، ج2، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2010، ص779.

(5)- عبد المعطي شعراوي، المرجع السابق، ص ص105-109.

(6)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص152، 153.

قارب بنى عليه بيته ورسا القارب في جبل في جزر هاواي، وقد قدّم للسماء ثمرة الكافا وخنزير وجوز الهند كقرابين لخلاصه[1].

وجاء في قبيلة "أوكا" في الشيلي أن الطوفان ارسلته روح شريرة يعتبرونها مصدر الشر كله، ويطلقون عليها اسم "كويكوفو"[2]، كما تصوِّر المايا[3] أن امرأة تدعى "أكسجل" صبت جام غضبها على الأرض بمساعدة أفعى السماء، وخلقت الطوفان واعتبرت إلهة الفيضان، والغيوم تدمر كل شيء بإعصارها الاستوائي[4].

هـ. رواية الطوفان في استراليا:

تحكي قبيلة كورناي الأسترالية التي تسكن في جيبلاند في ولاية فيكتوريا، أنه منذ زمن قديم حدث طوفان أغرق البلاد جميعا عدا رجل وامرأتين أو ثلاث، وقد رسو في جزيرة موحلة تقع بالقرب من ميناء ألبرت، وكانت المياه تحيط بهم من كل جانب[5].

ز. رواية الطوفان في افريقيا:

صعب ايجاد رواية محلية للطوفان في افريقيا، فمعظم الاشارات التي وردت في المنطقة له لا تنئ عن ما جاء في الكتب المقدسة، بدليل أن الأهالي كانوا يسمعون مثل هذه الحكايات من المبشرين أو من بعض الرحالة المتدينين، وقد اختلطت مع مرور الوقت بأفكار وثنية، وقد حاول جيمس فريزر احصاء بعض الروايات التي تناقلها المحليون عن الطوفان، بحيث ترد فيها تفاصيل نوعا ما لم تختلف عن ما جاء عن الطوفان في الكتب المقدسة، ومنها ما ورد في قبيلة "ماساي".

وتفاصيل الرواية أن رجلا اسمه "تومباينوت" تقي وورع، رزق وزوجته "نايباندي" بثلاثة أبناء، ولما توفي أخ "تومباينوت" تزوج هذا الأخير من أرملته "ناهابا-لوجوينجا" التي رزق منها هي الأخرى بثلاثة أبناء، وجاء في سبب الطوفان أن الأرض ضاقت بالأشرار من دون الاخيار وبسبب جريمة قتل

---

(1)- آرثر كورتل، **قاموس أساطير العالم**، تر: سهى الطريحي، دار نينوى، سورية، 2010، ص250.

(2)- نفسه، ص197.

(3)- **المأيا (Maya)**: قبيلة في جنوب المكسيك تمتد أراضيهم يوكاتن في الشمال وجواتيمالا وساحل المحيط الهادي في الجنوب، وهناك من يرى أصلهم من شبه الجزيرة العربية. أنظر: حسام ابو سعدة، **حضارات امريكا القديمة** الازتك المايا الانكاس بيرو، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2014، ص ص127-134.

(4)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص187.

(5)- نفسه، ص148

قام بها رجل يدعى "نامبيجا" في حق رجل يدعى "سواجي" غضب الإله، وقرر إغراق الجنس البشري عدا "تومباينوت" الذي أُمر ببناء فلك يلجأ له وزوجتاه وأبناءه الستة مع المؤونة الكافية والحيوانات جميعاً، وجاء الطوفان بسقوط مطر غزير أغرق الناس والحيوانات فيما عدا ركاب الفلك، وعلم "تومباينوت" بكف المطر باعتماده على نسر –بعد أن أرسل حمامة أولا لم تجد مكان ترسوا عليه– ربط في ذيله رمح يجره وراءه وفي المساء عاد النسر بدون رمح، ورسا الفلك في البراري ونزل "تومباينوت" مع ركاب الفلك إلى اليابسة، وكان أول ما رأوه أربعة من أقواس قزح يتجه كل منها في جهة من جهات الأرض الأربعة، وكانت تلك في نظر "تومباينوت" علامة رضى الآلهة[1].

في الأخير يمكن إدراج الآراء المختلفة حول التشابه والاختلاف الحاصل في رواية الطوفان بين الشعوب القديمة؛ فهناك من يرى بأن مصدرها واحد وأن الطوفان حدث في منطقة واحدة هي الاقدم تاريخياً، ويرى البعض الآخر أن في خصوصية كل رواية خصت بتفاصيل دون الأخرى دليل على أنها ترى أن الطوفان مسّ كل الأرض، وبات بذلك اسطورة خاصة بكل شعب لكل منها أحداث وتفاصيل تميزها عن الاخرى، غير أن الخطوط العريضة تبقى واحدة[2]، ويرى البعض الآخر أن قصة الطوفان لا أساس لها من الصحة وإنما هي أسطورة من نسج الخيال[3]، وذلك يفضي بأن الطوفان لم يكن عالمياً وحدث في منطقة محدودة ويلتف أصحاب هذا الرأي على أن الطوفان حدث في وادي الرافدين، وذلك ما أكّدته الأبحاث الأثرية.

إن كثير من أوجه التشابه يمكن تفسيرها من خلال عملية الانتقال البسيطة من شعب لآخر، وما يعتري هذه المأثورات والمعتقدات من تغيير قليل أو كثير أثناء عملية الانتقال، علماً أن كثير منها قد نشأت مستقلة نتيجة لتماثل حركة التفكير في العقل البشري، الذي يعيد بلورة الأحداث استجابة لظروف التطور المتماثلة؛ فقد نشأت قصة الطوفان وفق مبدأي الانتشار والنشوء المستقل، ذلك أنه من المؤكد أن أساطير الطوفان قد عُثر عليها منتشرة بين شعوب مختلفة تعيش في بقاع نائية على وجه

(1)– جيمس فريزر، المرجع السابق، ص202، 203.

(2)– نفسه، ص93

(3)– منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص172.

الأرض، على أن التشابه الحاصل يرجع من ناحية إلى انتقالها المباشر من شعب لآخر ومن ناحية أخرى إلى تجارب مشابهة، وإن تكن مستقلة تماماً وفي بقاع مختلفة من العالم[1].

يمكن اعتبار جميع هذه الروايات المختلفة للطوفان منحدرة من مصدر واحد هو بلاد ما بين النهرين، وقد استعملها الرحالة والمسافرون في رواياتهم على مدى ألفي سنة وأكثر، خلال تنقلاتهم وكانت تلك الروايات تترجم ويبالغ فيها أحيانا لتتلاءم وفهم وثقافة المتلقي، وتصبح عددا وافراً من النصوص المتنوعة[2]، وتدخل في ثقافة الشعوب وموروثهم الثقافي الذي امتزج بالأسطورة لتصبح حكايات وقصص أغلبها خرافية، على أن الطوفان حقيقة لا ريب فيها، حدث في مكان وزمان محددين والناجون من الطوفان رووا مشافهة تجربتهم مع سيدنا نوح ﷺ هذا التواتر جعل الأحداث تنتظم وفق عقيدة كل شعب ومنطقة.

(1)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص93

(2)- ستيفاني دالي، المرجع السابق، ص27.

الفصل الرابع: نوح عليه السلام في التوراة.

1.الاصحاحات التي تناولت الطوفان:

2.الاحداث قبل الطوفان:

3.أحداث الطوفان:

4.الاحداث بعد الطوفان:

يجمع نقاد المصادر أمثال "ك. هـ. جراف" (K. H. Graf) و"فلهاوزن" (Wellhusen) و"كوينن" (Kuenen)، على ان التوراة تتضمن أربعة مصادر أساسية[1]، وأن قصة الطوفان المدونة في التوراة تجمع بين قصتين متمايزتين في اصلهما؛ فقد مزج مدونو التوراة بينهما ليكوِّنوا قصة واحدة، غير انها ظلّت تحوي العديد من الفجوات: مثل التناقض والتكرار الذي لا يخدم القصة، والمصدران اللذان أخذ سفر التكوين عنهما الأحداث: هما المصدر "اليهوي" و"المصدر "الكهنوتي"، وفي الحقيقة كلا المصدرين يختلف عن الآخر اختلافاً بيّناً في الأسلوب والصيغة، وحتى أنهما يرجعان إلى عصور مختلفة[2]، وذلك يظهر في الأحداث التي أدرجتها الآيات حول الطوفان[3].

وقد ارتأيت في تناول قصة الطوفان من التوراة أن اقسِّم الأحداث حسب التسلسل الزمني إلى أحداث قبل الطوفان وأحداث تصفه وأخرى نتجت عنه، فلكل حادثة أسباب وأدوار ونتائج، وسأحاول أن لا أخرج في طرحي لقصة الطوفان عن ما جاء في التوراة، إلا ما رواه المؤرخين والمفسرين الذين اعتمدوا على الاسرائيليات، كما تجدر الاشارة إلى أنني حاولت تحليل الأحداث وتفسيرها بالاستعانة بما جاء عن مفسري التوراة وقاموس الكتاب المقدس، وقبل أن أتناول أحداث الطوفان بالتحليل ارتأيت أن أدرج الإصحاحات التي تحدثت عن الطوفان، وذلك لكي يتبين للقارئ التكرار والتناقض من تسلسل الآيات الذي سبق وأشرت له.

---

(1)- المصادر على الترتيب هي: المصدر اليهوي، المصدر الإيلوهيمي، المصدر التثنوي، المصدر الكهنوتي. أنظر: شريف حامد سالم، **المصدر اليهوي في التوراة**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011، ص13. أنظر كذلك:

Frank Moore Cross, Op. Cit, p293.

(2)- محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، ج4، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص53، 54.

(3)- للمزيد عن نقد التوراة ومصادرها أنظر: أبي محمد علي بن احمد ابن حزم الظاهري (ت456 هـ)، **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، تح: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ج1، ط2، دار الجيل، بيروت، 1996.

1.الإصحاحات التي تناولت الطوفان:

وردت قصة الطوفان وكل ما يتعلق بنوح عليه السلام في سفر التكوين من الإصحاح السادس إلى الإصحاح العاشر:

أ.الإصحاح السادس:

[1وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأرض، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، 2أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. 3فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». 4كَانَ فِي الأرض طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ.5وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأرض، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأرض، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأرض الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». 8وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.9هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. 10وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ. 11وَفَسَدَتِ الأرض أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأرض ظُلْمًا. 12وَرَأَى اللهُ الأرض فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأرض.13فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأرض امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأرض. 14اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. 15وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ. 16وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ. 17فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأرض لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأرض يَمُوتُ. 18وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. 19وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. 20مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأرض كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لاسْتِبْقَائِهَا. 21وَأَنْتَ، فَخُذْ

لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا». [22]فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكَذَا فَعَلَ.][1].

ب. الإصحاح السابع:

[[1]وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. [2]مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. [3]وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْل عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض. [4]لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأرض أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأرض كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ». [5]فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ.[6]وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأرض، [7]فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. [8]وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأرض: [9]دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا.[10]وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأرض. [11]فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. [12]وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأرض أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. [13]فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ. [14]هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأرض كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. [15]وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. [16]وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ.[17]وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأرض. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأرض. [18]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأرض، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. [19]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأرض، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. [20]خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. [21]فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأرض مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأرض، وَجَمِيعُ النَّاسِ. [22]كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. [23]فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأرض: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ،

(1)- سفر التكوين (6: 1-22).

وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأرض. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. [24]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأرض مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.][(1)].

ج. الاصحاح الثامن:

[[1]ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأرض فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. [2]وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. [3]وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، [4]وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. [5]وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ.[6]وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا [7]وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض. [8]ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأرض، [9]فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. [10]فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، [11]فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأرض. [12]فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا.[13]وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأرض. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأرض قَدْ نَشِفَ. [14]وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأرض.[15]وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلاً: [16]«اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. [17]وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأرض، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأرض وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأرض». [18]فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. [19]وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلُّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلُّ الطُّيُورِ، كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأرض، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ.[20]وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، [21]فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأرض أَيْضًا

(1)- سفر التكوين (7: 1-24).

مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. [22]مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأرض: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَالُ».](1).

د. الاصحاح التاسع:

[[1]وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأرض. [2]وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأرض وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأرض، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ. [3]كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. [4]غَيْرَ أَنَّ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لاَ تَأْكُلُوهُ. [5]وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيهِ. [6]سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ. [7]فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأرض وَتَكَاثَرُوا فِيهَا».[8]وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعَهُ قَائِلاً: [9]«وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، [10]وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وُحُوشِ الأرض الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلْكِ حَتَّى كُلُّ حَيَوَانِ الأرض. [11]أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأرض». [12]وَقَالَ اللهُ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: [13]وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأرض. [14]فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأرض، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، [15]أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. [16]فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأرض». [17]وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا أَقَمْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ ذِي جَسَدٍ عَلَى الأرض».[18]وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ. [19]هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأرض.[20]وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. [21]وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. [22]فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. [23]فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. [24]فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، [25]فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». [26]وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ.

(1)- سفر التكوين (8: 1-22).

وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. [27]لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ». [28]وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. [29]فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.](1).

هـ. الاصحاح العاشر:

[[1]وَهذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ الطُّوفَانِ. [2]بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَايُ وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ. [3]وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ. [4]وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ. [5]مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. [6]وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. [7]وَبَنُو كُوشَ: سَبَا وَحَوِيلَةُ وَسَبْتَةُ وَرَعْمَةُ وَسَبْتَكَا. وَبَنُو رَعْمَةَ: شَبَا وَدَدَانُ. [8]وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرض، [9]الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. لِذلِكَ يُقَالُ: «كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ». [10]وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ بَابِلَ وَأَرَكَ وَأَكَّدَ وَكَلْنَةَ، فِي أَرْضِ شِنْعَارَ. [11]مِنْ تِلْكَ الأَرض خَرَجَ أَشُّورُ وَبَنَى نِينَوَى وَرَحُوبُوتَ عِيْرَ وَكَالَحَ [12]وَرَسَنَ، بَيْنَ نِينَوَى وَكَالَحَ، هِيَ الْمَدِينَةُ الْكَبِيرَةُ. [13]وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ [14]وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ. [15]وَكَنْعَانُ وَلَدَ: صِيْدُونَ بِكْرَهُ، وَحِثًّا [16]وَالْيَبُوسِيَّ وَالأَمُورِيَّ وَالْجِرْجَاشِيَّ [17]وَالْحِوِّيَّ وَالْعَرْقِيَّ وَالسِّينِيَّ [18]وَالأَرْوَادِيَّ وَالصَّمَارِيَّ وَالْحَمَاتِيَّ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْكَنْعَانِيِّ. [19]وَكَانَتْ تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ، وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُوبِيمَ إِلَى لاَشَعَ. [20]هؤُلاَءِ بَنُو حَامٍ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَرَاضِيهِمْ وَأُمَمِهِمْ. [21]وَسَامٌ أَبُو كُلِّ بَنِي عَابِرَ، أَخُو يَافَثَ الْكَبِيرُ، وُلِدَ لَهُ أَيْضًا بَنُونَ. [22]بَنُو سَامٍ: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ. [23]وَبَنُو أَرَامَ: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ. [24]وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ، وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ. [25]وَلِعَابِرَ وُلِدَ ابْنَانِ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَالَجُ لأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ الأَرض. وَاسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ. [26]وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ [27]وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ [28]وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا [29]وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ بَنُو يَقْطَانَ. [30]وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مِيشَا حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَفَارَ جَبَلِ الْمَشْرِقِ. [31]هؤُلاَءِ بَنُو سَامٍ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَرَاضِيهِمْ حَسَبَ

(1)- سفر التكوين (9: 1-29).

أُمَمِهِمْ.[32]هؤُلاَءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتِ الأُمَمُ فِي الأرض بَعْدَ الطُّوفَانِ](1).

2. الأحداث قبل الطوفان:

مهَّدت العديد من الوقائع لحدوث الطوفان، ولأن هذا الأخير له أسباب، جاءت بداية العناصر بأسباب الطوفان، وقد تجسدت في غضب الرب من العباد، ومن ثم اتخاذ قرار إنزال عقابه على كل ما له نفَس فوق الأرض عدا نوح عليه السلام الرجل البار بربه، والذي أخبره بنبأ الطوفان وأمره ببناء فلك يحمل فيها أهله ومن آمن به وبعض الحيوانات.

أ. سبب الطوفان:

تذكر التوراة أن شر البشر كان يكثر بتكاثرهم على وجه الأرض، كما ورد في الآية:**[[1]وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأرض وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ]**(2) كما جاء أيضا في الآية: **[[5]وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأرض وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ]**(3)، وزاد الظلم حتى امتلأت الأرض به وأفسد البشر طريقهم في الأرض كما جاء في قوله كذلك: **[[11]وَفَسَدَتِ الأرض أَمَامَ اللهِ وَامْتَلأَتِ الأرض ظُلْماً. [12]وَرَأَى اللهُ الأرض فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأرض]**(4)، جاء الطوفان عقاباً للبشر الذين لوثوا الأرض بفسادهم وذلك بمحو كل شيء على الأرض والبدء من جديد(5)، لأنهم يعتقدون أن المخالفات الأخلاقية تعتبر نجاسة تحل جسدياً، وليست كناية معنوية عن الفساد والتلوث، وأكبر نجاسة هي نجاسة دم الذين قتلوا(6).

وقد ورد في آيات التوراة أن الرب تألَّم وندم لأنه خلق الجنس البشري، وعزم على إفناءه ومحو كل من تدِّب فيه روح على وجه الأرض، وقرّر أن يكون العقاب والفناء بواسطة طوفان شامل، كما جاء في الآية: **[[6]فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأرض وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. [7]فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ**

---

(1)- سفر التكوين (10: 1-32).

(2)- سفر التكوين (6: 1).

(3)- سفر التكوين (6: 5).

(4)- سفر التكوين (6: 11، 12).

(5)- U. Cassuto, Op. Cit, p19.

(6)- Tikva Freymer- Kensky, Op. Cit, p154.

وَجْهِ الأرض الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»][1].

كما جاء أيضا في سبب الطوفان أن أبناء الله قد تزوجوا ببنات الناس (كن حسناوات) وأنجبوا منهم ما يسمون بالجبابرة[2]، وقد اختلف حول أبناء الله وبنات الناس[3]؛ وجاء أن أبناء الله من نسل آدم وحواء فقط، دون أولائك الذين أنجبتهم حواء من زناها مع الشياطين، أو الذين أنجبهم آدم من زناه مع الشيطانة "ليليت"[4]، كما جاء أن أبناء الله يُقصد بهم أبناء "شيث" "شعب الرب"، حسب ما ورد في سفر التكوين: [**[26]وَلِشِيثَ أَيْضاً وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أَنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ**][5].

وقد جاء عن مفسري التوراة أن المحتمل أن لا يكون أبناء الله هم الملائكة لأنهم لا يتزوجون ولا يلدون، ويُعتقد أن هذه العبارة تشير إلى أبناء شيث، ولكنهم لم يعودوا أتقياء بزواجهم مع أبناء قايين الأشرار، فضعف النسل التقي وزاد من الفساد بتزايد عدد الأشرار فكان غضب الرب من ذلك، غير أنه منحهم فرصة ليعودوا عن فسادهم مدة مائة وعشرون عاماً رحمة منه[6]، وقد ورد ذلك في التوراة في قوله: [**[3]فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. لِزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». [4]كَانَ فِي الأرض طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيْضاً إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ**

---

(1)- سفر التكوين (6: 6، 7).

(2)- **الجبابرة:** أناس ضخام بلغ طول الواحد منهم ما يقرب الثلاث أمتار، ويسمون بالعبرية نفيليم. أنظر: بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص23. أنظر كذلك: رشيد الشامي، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002، ص212.

(3)- ويذكر ايسفلت أن قصة ولادة الجبابرة من المصاهرة التي حدثت بين أبناء الله وبنات البشر خرافة. أنظر:
Otto Eissfeldt, **the Old Testament** an Introduction, trad: P. R. Ackroyd, Harper and Row Press, New York, 1972, p194.

(4)- محمد علي عبد البار، المرجع السابق، ص61.

(5)- سفر التكوين (4: 26).

(6)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص 23، وفي ذلك يرجَّح أن هذه المدة كانت عمر الإنسان كما حدَّده الله، ولكن نجد أن حياة نسل نوح ﷺ العشرة قد دامت 148 إلى 600 سنة كما يظهر في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين. انظر: السيد سلامة غنمي، **التوراة والاناجيل**، ط1، دار الاحمدي، القاهرة، 2000، ص181.

النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَداً – هَؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. [5]وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأرض وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ](1).

غير أن الرب قد رأى في وسط ذلك الفساد نوح البار، فأقّر أن ينجيه وأهله من الطوفان، كما تذكر التوراة: **[[8]وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. [9]هَذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارّاً كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ]**(2)، ويؤكّد الله على التعريف بنوح ﷺ ويعدّد أبناءه، كما ورد في الآية: **[[10]وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَاماً وَحَاماً وَيَافَثَ]**(3).

وتجدر الإشارة أن التوراة ذكرت كسبب للطوفان الفساد، ولكن لا يعرف فساد ماذا؟ وما هو الصلاح؟(4)، وبما أن الآيات لم تذكر أي شيء عن دعوة نوح ﷺ –ما يجعل هذا الأخير مميّزا بتكريمه بإنقاض الأرض من الفناء– فذلك يدل على أن الفساد لا علاقة له بالدين، فالصورة الوحيدة التي فضّلت نوح ﷺ عن سائر قومه أنه كان بار بربه، وربما كان كما يرى محمد علي البار أن السبب أن نوح ﷺ لم يتزوج من بنات الناس وإنما تزوج كما تزعم التوراة من بنات الله(5)، في النهاية يمكن القول أن المبرر الأساسي للطوفان في التوراة كان سبب أخلاقي(6).

ب. قرار الطوفان:

قرّر الله وهو يكلّم نوحاً ﷺ أن النهاية جاءت بسبب الظلم الذي دبّ في الأرض، وأنه سيهلكهم لذلك، فكان قرار مؤكد ونهائي لا رجعة فيه كما ورد في قوله: **[[13]فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي لأَنَّ الأرض امْتَلأَتْ ظُلْماً مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأرض.]**(7)، وجاء في

(1)– سفر التكوين (6: 3–5).

(2)– سفر التكوين (6: 8، 9).

(3)– سفر التكوين (6: 10).

(4)– ربما يقصد بالفساد فساد الأخلاق وذلك يعيد للذهن تفسير: (Tikva Freymer– Kensker). أنظر:
Tikva Freymer- Kensky, Op. Cit, p154.

(5)– محمد علي البار، المرجع السابق، ص66.

(6)- U. Cassuto, Op. Cit, p3.

(7)– سفر التكوين (6: 13).

موضع آخر تأكيد قرار الطوفان، إفناء كل جسد تدّب فيه الروح في قوله: [17**فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأرض لِأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأرض يَمُوتُ.**][(1)].

وفي موضع آخر يؤكد الرب على إهلاك الأرض وما عليها، ويفصّل في ذلك فيذكر أنه سيهلك الإنسان والبهائم والدواب وحتى الطيور لأنه ندم على خلقه لهم، كما جاء في كلامه مع نوح عليه السلام: [7**فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأرض الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».**][(2)]، غير أنه استثنى من هذا الهلاك نوح عليه السلام ومن معه من أهله، وأمره ببناء فلك، وعلّمه كيف يقوم بذلك بالتفصيل، كما ورد في الآية: [14**اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكاً مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ**][(3)].

وأمر الله نوحاً أن يحمل معه زوجته وأولاده الثلاثة ونسوتهم وزوجين من كل دابة، والمؤن التي تكفيه وركاب الفلك، كما جاء في قوله:[18**وَلَكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ.** 19**وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لِاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَراً وَأُنْثَى.** 20**مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأرض كَأَجْنَاسِهِ. اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لِاسْتِبْقَائِهَا.** 21**وَأَنْتَ فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَاماً».** 22**فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هَكَذَا فَعَلَ**] **عَامٍ يُؤْكَلُ واجْمَعْهُ عِنْدَكَ فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَاماً».** 22**فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هَكَذَا فَعَلَ**][(4)].

ويقول عاصم الدين حنفي: «أن الله بسبب ندمه على خلق البشر قرّر إفناءهم لانحرافهم، ومع أنه أعلم بما سيحدث، فكيف تصدق التوراة أن الله خلق كل البشر ليفنيهم وحيواناتهم فيما بعد، وكيف تصدق التوراة أن الله قرّر إفناء كل الحيوانات مع أن الحيوان لم يأكل من الفاكهة المحرمة ولم يطمح ببصره إلى أن يطعم من شجرة الخلود»[(5)]، ويضيف شريف حامد سالم أن قرار الطوفان جاء

(1)- سفر التكوين (6: 17).

(2)- سفر التكوين (6: 7).

(3)- سفر التكوين (6: 14).

(4)- سفر التكوين (6: 18-22).

(5)- عاصم الدين حنفي ناصف، **اليهودية** في العقيدة والتاريخ، ط1، دار العالم الجديد، القاهرة، 1977، ص175.

نتيجة حتمية للشر المتأصل في النفس الإلهية ليكون حلاً للمشكلة ووسيلة إلهية جديدة لردع رغبة العصيان والتمرد في المجتمع الانساني[1].

ج. صنع الفلك:

ورد في التوراة وصف دقيق للفلك الذي أمر الله نوحاً ﷺ ببنائه؛ فلم تغفل أي تفصيل فيما يخص مادة صنعه وطلاءه وكذا مكوناته وتركيبه، وأبعاده من طول وعرض وارتفاع، كما جاء في الآيات: [**14اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكاً مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. 15وَهَكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ وَخَمْسِينَ ذِرَاعاً عَرْضُهُ وَثَلاَثِينَ ذِرَاعاً ارْتِفَاعُهُ**][2].

يتبيَّن مما تقدَّم أن التوراة قد أعطت معلومات مفصلة عن طبيعة الفلك، فقد ورد مصطلح فلك دون سفينة في التوراة، ولكل منهما معنى؛ فكلمة فلك في العبرانية تعني صندوق، استعملت بمعنى سفط أو سلة كما ورد في قصة موسى ﷺ وهو طفل حيث وُضع في النيل، وقد بُني الفلك ليطفوا لا ليبحر[3] فهو مستدير مرتفع خاصة من الوسط ويخف ويرق وينحني في الأطراف، وهو شكل السفينة الظاهر للعيان فاسم الفلك يدلّ على شكله[4]، وبالتالي لم يوصف بالسفينة، فهذه الأخيرة هي مركب البحر، وتعتبر أقل ضخامة وإعجاز من الفلك[5].

كما حدَّدت التوراة نوعية خشب الفلك بـ"خشب جفر"، وقد ورد في دائرة المعارف الكتابية أن هذا الخشب مميَّز، ولم يذكر إلا في بناء فلك نوح ﷺ وقد رجّحت بأنه كان نوعاً من الخشب الراتينجي، وأكّدت أنه كان خشباً متيناً مثل السرو أو الصنوبر نظراً لصلاحيته لبناء السفن[6]، ويذكر الثعلبي أن نوح ﷺ بنى الفلك من شجر الساج، بعد أن غرسه وانتظره أربعين سنة لينمو، ولما أدركه

---

(1)- شريف حامد سالم، (المصدر)، المرجع السابق، ص214.

(2)- سفر التكوين (6: 14، 15).

(3)- جان كوربون وآخرون، **المدخل الى الكتاب المقدس**، ط2، جمعية الكتاب المقدس، مجلس كنائس الشرق الأوسط، لبنان، 2000، ص132.

(4)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص70.

(5)- حسن عز الدين الجمل، المرجع السابق، م2، ص318.

(6)- وليم وهبة بباوي وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، م3، دار الثقافة، (د.م.ن)، (د.ت)، ص270.

أمر ربه قطَّعه وجفَّفه[1]، وقد ورد عن ابن كثير أن نوح ﷺ لبث يغرس الشجر لمائة سنة، ومثلها لصنع الفلك[2].

كما ورد في الآيات السابقة من التوراة أن الله قد أمر نوح ﷺ بطلاء الفلك من الداخل والخارج بمادة القار، وهي مادة تمنع دخول الماء إلى الفلك، وقد جاء عن الثعلبي ان الله سبحانه وتعالى فجّر لنوح ﷺ عين القار بجنب الفلك تغلي غلياناً ليطليه بها[3]، وقد ورد استعمالها أيضا في الصندوق الذي حمى موسى ﷺ بعد ما وضع في النيل[4]. (انظر الملحق رقم 09 ص 293).

أما عن أبعاد الفلك فقد ذكرت التوراة أنه كان بطول ثلاث مائة ذراع، وعرض خمسون ذراعا، وارتفاع ثلاثون ذراعاً، ومقاييس الفلك بالأمتار: طول 137,16 × عرض 22,86 × ارتفاع 13,72 =4127,49 متر مربع[5]، وقد قُسِّم الفلك إلى ثلاث طبقات منها مساكن علوية، وأخرى متوسطة، وأسفلها تحتية ولكل منها خاصية، في حين يذكر يوسيفوس أن الفلك كان يتكون من أربعة طوابق[6].

بالإضافة إلى أبعاد الفلك فقد حدّد الله لنوح ﷺ تخطيط لتهوية الفلك، فاتخذ نوح ﷺ كوا (كوى)[7] أو فتحات، كما جاء في قوله: [16**وَتَصْنَعُ كَوّاً لِلْفُلْكِ وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ**][8]، وقد ورد ذكرها بلفظة طاقة

(1)- الثعلبي، المرجع السابق، ص55.

(2)- ابن كثير، (قصص)، المرجع السابق، ص89.

(3)- الثعلبي، المصدر السابق، ص56.

(4)- وذلك بدليل ما ورد في سفر الخروج في الإصحاح الثاني: (3وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ أَخَذَتْ لَهُ سَفَطاً مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ).

(5)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، (طوفان)، المرجع السابق، ص126.

(6)- Josèphe Flavius**, Histoire Ancienne des Juifs et la Guerre des Juifs contre les Romains,** trad : Arnauld D'Andilly, Ed Lidis, Paris, 1981,L1, III, p12.

(7)- وردت لفظة كوة في التوراة في سفر الامثال (7: 6) (6**لأَنِّي مِنْ كُوَّةِ بَيْتِي مِنْ وَرَاءِ شُبَّاكِي تَطَلَّعْتُ**)، وسفر نشيد الاناشيد (2: 9). (9**حَبِيبِي هُوَ شَبِيهٌ بِالظَّبْيِ أَوْ بِغُفْرِ الأَيَائِلِ. هُوَذَا وَاقِفٌ وَرَاءَ حَائِطِنَا يَتَطَلَّعُ مِنَ الْكُوى يُوَصْوِصُ مِنَ الشَّبَابِيكِ.**)

(8)- سفر التكوين (6: 16).

في الآية: [6**وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْماً أَنَّ نُوحاً فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا**][1]، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أنها عبارة عن فتحات أو نوافذ في حوائط البناء، تفتح وتغلق بإغلاق تتحرك عند الحاجة[2]، مع أن أهل الكتاب كانوا يزعمون أن نوح عليه السلام كان يتبين النهار من الليل بالاعتماد على حجر كريم كان يضيء الفلك، يزداد ضياءه بالنهار أكثر من الليل أما القمر والشمس قد استراحا أثناء الطوفان[3].

ويذكر الثعلبي في وصف الفلك أن نوح عليه السلام قد جعله أزوَّر (مائل) رأسه كرأس الديك، وجوفه كجوف الطير، وذنبه كذنب الديك مائلاً[4]، ويقول ابن كثير: «ان الله سبحانه وتعالى قد أمر بجعل البطن أعرض من الرأس الذي أمره أن يكون مدبباً ليشق الماء في سيره بين الأمواج المتلاطمة، ويضيف أن الطبقات الثلاث كانت عشرة أذرع لكل منها، وقد كانت السفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور»[5].

ويذكر بروس بارتون: «أن الفلك كان بطول ملعب كرة القدم مرة ونص، وارتفاعه ارتفاع مبنى من أربعة أدوار، ولقد كان طول الفلك ستة أضعاف عرضه، والأرجح أن نوحاً عليه السلام قد بنى هذا الفلك على بعد أميال كثيرة من أقرب تجمع للمياه»[6].

د. ركاب الفلك:

جاء بعد قرار الطوفان أن الرب أمر نبيَّه نوح عليه السلام أن يحمل في الفلك أهله والحيوانات، وفصّل في هذه الأخيرة وعددها وصنَّفهما إلى صنفين طاهرة وغير طاهرة، وقبل أن نعرف معناها نجد أنه حدّد من الطاهرة سبعة سبعة أي ذكر وأنثى، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين ذكر وأنثى، ويذكر السبب لاستبقائها على وجه الأرض بعد الطوفان وهو حفظ النسل، حسب ما ورد في الآيات: [1**وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارّاً لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ. 2مِنْ**

(1)- سفر التكوين (8 : 6).

(2)- بطرس عبد الملك وآخرون، المرجع السابق، ص802.

(3)- لويس جنزبرج، المرجع السابق، ص155.

(4)- الثعلبي، المصدر السابق، ص55.

(5)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص 90.

(6)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص 24.

جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَراً وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَراً وَأُنْثَى. [3]وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضاً سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَراً وَأُنْثَى. لِاسْتِبْقَاءِ نَسْلٍ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض.](1)

وفي موضع آخر جاء في التوراة أن نوح عليه السلام وأهله قد امتثلوا لأمر الله، وكذلك البهائم والوحوش والطيور الطاهرة وغير الطاهرة، إلا أنه أشار إلى أن الحيوانات دخلت اثنان اثنان ذكر وأنثى كما أمره الله، كما ورد في قوله: **[7فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. 8وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأرض: 9دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ ذَكَراً وَأُنْثَى. كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحاً.]**(2)، ويظهر في هذه الآيات أن الله فصّل في أهل نوح عليه السلام؛ وهم زوجته وأبناءه وزوجاتهم، وقد عدَّدهم في العهد الجديد ثمانية كما ورد في الآية: **[20إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ.]**(3).

وفي موضع آخر جاء قوله: **[14هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ أَيِّ تَدُبُّ عَلَى الأرض كَأَجْنَاسِهَا وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. 15وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. 16وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَراً وَأُنْثَى مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ.]**(4)، وربما أراد الله في هذه الآيات أن يؤكّد على أن نوح عليه السلام قد حمل معه في الفلك كل الحيوانات المتوحشة التي أشار لها بـ"الوحوش"، والأليفة التي أشار لها بـ"البهائم" أحيانا وبـ"التي تدب" أحيانا أخرى، وكذا الطيور وخصّ منها الطاهرة لأنه عدّدها بسبعة كما ورد في الآية: **[3وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضاً سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَراً وَأُنْثَى. لِاسْتِبْقَاءِ نَسْلٍ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض]**(5)، ويذكر يوسيفوس أن نوح حمل معه من كل الحيوانات الذكر والانثى سبعة أزواج من كل منها(6).

---

(1)- سفر التكوين (7: 1-3).

(2)- سفر التكوين (7: 7-9).

(3)- رسالة بطرس الأولى (3: 20).

(4)- سفر التكوين (7: 14-16).

(5)- سفر التكوين (7: 3).

(6)- Josèph Flavius, Loc. Cit, III, p12.

إذا ما تمعّنا في الآيات السابقة وجدنا عدة مبهمات، أن الرب أمر نوح عليه السلام أن يحمل معه سبعة من البهائم الطاهرة واثنين من غير الطاهرة منها، وتتبادر للذهن مجموعة من الأسئلة مثل: ماذا يقصد بالحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة؟ وكيف لنوح عليه السلام أن يميّز بينها ولم يرد في التوراة ما يفسِّرها؟ ولماذا العدد "سبعة" بالتحديد؟ ألا يكفي إثنان منها لاستبقاء النسل؟.

وإذا حاولنا الإجابة على هذه الأسئلة نبحث أولا في مصادرها، ويذكر بروس بارتون وآخرون أن نوح عليه السلام قد أدخل إلى الفلك زوج عليه السلام من كل الحيوانات، وسبعة أزواج من الحيوانات التي كانت تقدم ذبائح[1]، وربما يفسِّر ذلك ما يقصد بالطاهرة أي التي تصّح أن تقدم كقربان أو بالأحرى التي لا يوجد بها عيوب، أما غير الطاهرة فيقصد بها الثانية التي استثنيناها من الطاهرة إلا التي بها نقائص، وربما هذا موجود حتى في ديننا الحنيف في ما يخص شروط الأضحية، لأن الفرد عندما يتقرب الى ربه بأضحية أو هدية فله أن يختار الكاملة التي تبهجه، ويذكر ابن الكثير أن الطاهرة تعني التي تؤكل وغير الطاهرة مما لا يؤكل[2].

ويذكر جاري جرينبرج أن كتبة المصدر اليهوي كانوا يؤمنون بالقرابين الحيوانية أما كتبة المصدر الكهنوتي فلا يؤمنون بذلك، وبما أن نوح عليه السلام قد قام بتقديم الأضاحي للرب بعد انتهاء الطوفان، ولو أن نوح عليه السلام حمل معه إثنان من كل صنف لكان من المستحيل على الصنف الذي قدّم منه القربان أن يتكاثر لذلك المصدر اليهوي رأى أن يزيد عن العدد اثنين، في حين أن كتبة المصدر الكهنوتي لم يؤمنوا بالقرابين الحيوانية، واكتفوا بالعدد الأساسي لزوج من الحيوانات الذكر والأنثى من كل نوع[3].

(1)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص24.

(2)- ابن الكثير، (قصص)، المصدر السابق، ص91.

(3)- جاري جرينبرج، المرجع السابق، ص114.

وربما الرقم السبعة لأنه مقدس وهو علامة ذات هيمنة واسعة في الفكر الرافدي القديم[1]، كما له قداسته في التوراة ربما لأن الله خلق الكون في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع، كما يظهر الرقم سبعة على قدر كبير من الاهمية في العهد الجديد[2]، وحتى في القرآن الكريم[3]، ويذكر مفسري التوراة أن الكثير من العلماء قدّر عدد الحيوانات التي دخلت في الفلك بنحو خمساً وأربعين ألفا حيوان، ويرجعون أن نوح عليه السلام قام بما أمره الله (صنع الفلك)، وأما تجميع الحيوانات وتسخيرها لنوح عليه السلام لتصعد في الفلك فكان من تدبير الله[4].

وعلى الرغم من هذا التبرير فإننا نصل منه إلى تساؤلات أخرى، كيف للعلماء أن يحصوا عدد الحيوانات التي كانت في زمان نوح عليه السلام، وكيف لهذا العدد الهائل أن تحمله سفينة نوح عليه السلام، وإذا كان الله عز وجل هو من سيتولى أمر الحيوانات بقدرته يجمعها ويسخرها، فلماذا يطلب من نوح عليه السلام أن يحمل معه الحيوانات، هذا أولا وإن كان سينجي كل الحيوانات والطيور فلما يهلكها من البداية، وهل للحيوانات والطيور إثم مع الانسان في إفساد الأرض لتأخذ بذنب الانسان، لماذا ينجي الله الحيوانات وهو في استطاعته خلقها من جديد، تبقى هذه تساؤلات يصعب الإجابة عنها أو توضيحها، لأنها تعتبر تشكيك في نبوة نوح وقدرة الله تعالى، على الرغم من التحريف الذي مسّ التوراة.

---

(1)- كان الرقم سبعة مقدساً يرمز إلى أشياء عديدة تتعلق بحياة الانسان وممارسته في العديد من الحضارات القديمة منذ 5000 سنة مثل حضارة وادي الرافدين والحضارة اليونانية والصينية والهندية، كما قدسته الكتب السماوية فقد كان له مغزى لاهوتي في العهد القديم حيث اعتبر عدداً كاملاً وقد غص العهد القديم بالسباعيات، فهو لا يتجزأ أي غير قابل للانقسام ويرمز إلى الجانب الروحي والديني في حياة الانسان، من خلال الرمزية الإلهية المعقدة التي تجسّدت في علم الإلهيات عند العراقيين القدماء، فهو كامل لأنه يجمع أزواج وأفراد، وهو حاصل جمع الرقمين ثلاثة الذي يعتبر رقم الألوهية اختص بالسماء ويرمز للكثرة والمعرفة وقد تجسد في الثالوث الالهي (آنو إله السماء، وأنليل إله الهواء، وأنكي إله الأرض والمياه)، والرقم أربعة رمز الكمال والسلطان والقوة ووحدة رقمية خلاقة له علاقة بالأرض والكون قائم الزوايا الأربع التي تهب منها الرياح الأربعة. أنظر: حكمت بشير الاسود، **الرقم سبعة في حضارة بلاد الرافدين القديمة** الدلالات والرموز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص ص11- 15.

(2)- رؤيا يوحنا اللاهوتي (1: 4، 11، 12، 13، 16، 20./ 2: 1).

(3)- هو أول رقم ذكر في القرآن الكريم وقد ارتبط باسم الجلالة وكان عدد السماوات وعدد أبواب جهنم مثل قوله تعالى في سورة الملك: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣**﴾، وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ۝٤٤**﴾.

(4)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص26.

3. أحداث الطوفان:

كانت بداية الطوفان بمياه منهمرة من السماء، ومتفجرة من الأرض أغرقت هذه ومن عليها إلا الفلك ومن فيه، وكانت نهاية الطوفان برسو الفلك على جبال آرارات"، وخروج نوح عليه السلام من الفلك بعد علمه بانحسار الماء هو وبنوه حام ويافث وسام، وتذكر التوراة مباركة الرب لنوح عليه السلام [1]، بعدما يقدم قربانه لله على نجاته وأهله من الطوفان، وفيما يلي ما حدث في الطوفان:

أ. وصف الطوفان:

ورد في سفر التكوين أن الله أخبر نوحاً عليه السلام أن الطوفان سيبدأ بعد سبعة أيام وعمر نوح عليه السلام ستة مائة سنة، وتحدَّد ان الطوفان كان في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر، وتذكر ايضاً أن الطوفان جاء بعد فتح أبواب السماء بماء منهمر، وانفجار كل الأرض ينابيعاً شكَّلت ما أطلقت عليه التوراة اسم الغمر العظيم[2]، كما جاء في الآيات: [**10وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأرض. 11فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.**][3].

وقد وصفت التوراة الطوفان وصفا دقيقاً؛ حيث ورد فيها أن منسوب المياه قد زاد وارتفع الفلك بارتفاع الماء عن الأرض، فتغطت جميع الجبال الشامخة، وقد وصل ارتفاع المياه إلى خمسة عشر ذراعا فوق الجبال (7.5م)، كما ورد في الآيات: [**17وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْماً عَلَى الأرض. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ فَارْتَفَعَ عَنِ الأرض. 18وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدّاً عَلَى الأرض فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. 19وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيراً جِدّاً عَلَى الأرض فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. 20خَمْسَ عَشَرَةَ ذِرَاعاً فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ.**][4].

وكانت نتيجة هول الطوفان موت كل جسد يدّب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وحتى الزواحف، كما ورد في الآيات: [**21فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأرض مِنَ الطُّيُورِ**

---

(1)- صلاح أبو السعود، (قصة الطوفان)، المرجع السابق، ص103.

(2)- ربما جاء وصف الغمر لأن الله سيغمر الأرض بالماء وقد ورد ذكره كذلك في سفر حزقيال في الاصحاح السادس والعشرين (**19لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: حِينَ أُصَيِّرُكِ مَدِينَةً خَرِبَةً كَالْمُدُنِ غَيْرِ الْمَسْكُونَةِ، حِينَ أُصْعِدُ عَلَيْكِ الْغَمْرَ فَتَغْشَاكِ الْمِيَاهُ الْكَثِيرَةُ**).

(3)- سفر التكوين (7: 10، 11).

(4)- سفر التكوين (7: 17- 20).

وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأرض وَجَمِيعُ النَّاسِ. [22]كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ](1)، وتورد التوراة مرة أخرى التكرار الذي أثقل الأحداث، إلا أنها تضيف أمر مهم وهو أن الناجون من الطوفان كانوا بالتحديد نوح وركاب الفلك فقط، كما جاء في الآية: **[[23]فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأرض: النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ وَالدَّبَّابَاتَ وَطُيُورَ السَّمَاءِ فَانْمَحَتْ مِنَ الأرض وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ.]**(2).

ب. مدة الطوفان:

ورد في التوراة فترات مختلفة لمدة الطوفان، وإن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على التناقض الحاصل في التوراة المقتبسة من روايات مختلفة كما سبق القول؛ فقد حدِّدت فترة الطوفان بفترتين: الأولى تعاظمت فيها مياه الطوفان وكانت مائة وخمسون يوماً وفق ما جاء في الآية: **[[24]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأرض مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْماً.]**(3)، والثانية تمثلت في تراجع ونقص المياه من جديد في نفس المدة حسب الآية: **[[3]وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض رُجُوعاً مُتَوَالِياً. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً نَقَصَتِ الْمِيَاهُ]**(4)، وبالتالي تكون مدة الطوفان وفق ذلك 300 يوم كاملة.

وقد ذكرت التوراة أن نوح عليه السلام قد انتظر بعد انحصار الماء أربعون يوما في الفلك قبل أن يفتح طاقته كما جاء في الآية: **[[6]وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا]**(5)، ثم أرسل الغراب ليرى إذا انحصرت المياه غير أنه ظل يحوم متردداً إلى الفلك حتى جفت الأرض، كما ورد في الآية: **[[7]وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض.]**(6)

---

(1)- سفر التكوين (7: 21، 22).

(2)- سفر التكوين (7: 23).

(3)- سفر التكوين (7: 24).

(4)- سفر التكوين (8: 3).

(5)- سفر التكوين (8: 6).

(6)- سفر التكوين (8: 7).

وبعث بعده ثلاث حمامات أو حمامة ثلاث مرات[1] كما ورد في الآيات: [**8ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأرض، 9فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. 10فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، 11فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأرض. 12فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا.**][2].

وأظن أن نوح عليه السلام كان ينتظر في كل مرة سبعة أيام ليرسل الحمامة مرة أخرى، ففي المرة الأولى لم تذكر التوراة أنه انتظر بعدما أرسل الغراب تلك المدة، إلا أنها ذكرت أنه انتظر بعدما أرسل الحمامة سبعة أيام أخر للمرة الثانية، وفي ذلك دلالة على أنه كانت هناك سبعة أيام سابقة، فتكون وفق هذا الطرح المدة التي انتظرها نوح عليه السلام بعد الأربعون يوماً، واحد وعشرون يوماً أخرى ليكون المجموع واحد وستون يوماً بعد الثلاث مائة السابقة.

ويذكر مفسري التوراة أن نوحاً عليه السلام حاول مراراً أن يعرف ما إذا كانت الأرض قد يبست، ولكنه لم يخرج إلا عندما أمره الله بذلك، لأنه الأعلم بميعاد جفاف مياه الطوفان، وأن نوح عليه السلام لبث في الفلك اثنا عشر شهراً[3] كاملة دلالة على صبره[4]، وإذا ما حوَّلنا العام الى أعداد كانت أيام نوح عليه السلام في الفلك 365 يوم.

---

(1)- إذا أخذنا بأن نوح حمل زوجين فقط ذكر وانثى من الطيور الطاهرة وليس سبعة أزواج منها، وأظن أن هذا الرأي أصوب لأنه لو كان لنوح حمامات أخريات لما مدّ يده خارج الفلك وأدخل الحمامة حين رجعت في المرة الأولى، لكان تركها وبعث حمامة أخرى بعد سبعة أيام، كما أنه قال ولبث سبعة أيام وعاد فأرسل الحمامة، وبما أنها جاءت معرفة فذلك دليل على أنها نفس الحمامة السابقة الذكر وليس حمامة لا على التعريف.

(2)- سفر التكوين (8: 8- 12).

(3)- إن الشهور العبرية كانت شهورا قمرية فإن الإثنى عشر شهراً تقدر بثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، وإذا أضفنا للمدة عشرة أيام تكون حينئذ سنة شمسية كاملة أي ثلاثمائة وأربعة وستون يوماً، وحيث أن الكاتب قد حسب مدة الفيضان بما يساوي سنة شمسية دليل على أن الكاتب عاش في الزمن الذي استطاع فيه اليهود أن يصححوا الخطأ في التقويم القمري عن طريق مراقبتهم للشمس. أنظر: غنمي السيد سلامة، المرجع السابق، ص180.

(4)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص27.

في حين جاء في موضع آخر أن الطوفان بدأ وعمر نوح عليه السلام 600 سنة، حسب ما ورد في الآية: [**[11]في سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.**][1]، وأن عمره كان بانتهاء الطوفان 601 سنة وعشرة أيام، حسب الآية: [**[13]وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأرض. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأرض قَدْ نَشِفَ. [14]وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأرض.**][2]، وبعملية حسابية بسيطة نطرح عمر نوح عليه السلام قبل الطوفان من عمره بعد الطوفان فنجد أن مدة الطوفان كانت سنة وعشرة أيام[3]، وحيث أن الشهور العبرية كانت قمرية فإن الإثنى عشر شهراً وعشرة أيام يقدر بثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما، وبإضافة العشرة أيام تكون مدة الطوفان سنة شمسية كاملة أي ثلاث مائة وأربعة وستون يوماً[4].

وقد يفهم من آيات التوراة في موضع آخر أن الطوفان دام أربعون يوماً، حسب ما وعد الرب به نوحا عليه السلام وهو يهيّؤه ويحذّره من الطوفان كما ورد في الآية: [**[4]لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأرض أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأرض كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ**».][5]، ومن ثم تتحدث التوراة عن صدق كلام الله وانهمار المطر مدة أربعين ليلة، كما صرَّحت الآية: [**[12]وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأرض أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.**][6]، وجاء ذكر نفس المدة في موضع آخر في الآية: [**[17]وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأرض. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأرض.**][7]، إلا أنه في موضع آخر من التوراة جاء أن الأربعون يوماً قضاها نوح عليه السلام عندما فتح كوة الفلك حتى يطلق الطيور ويستطلع

(1)- سفر التكوين (7: 11).

(2)- سفر التكوين (8: 13، 14).

(3)- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص116.

(4)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص112.

(5)- سفر التكوين (7: 4).

(6)- سفر التكوين (7: 12).

(7)- سفر التكوين (7: 17).

انحصار الماء، وكما يمكن لهذه الفترات أن تكون نفسها مكررة للتأكيد أو لما نجم عن جمع الروايات الملفقة كما سلف الذكر، أو أن تكون فترات متعاقبة ويكون مجموعها 120 يوما[1].

غير أننا إذا سلَّمنا بأن الطوفان دام سنة كاملة وعشرة أيام كما سلف الذكر نقع في تناقض كيف ذلك؟ الاجابة واردة في عملية حسابية بسيطة: جاء في التوراة أن عمر نوح عليه السلام قبل الطوفان كان ستة مائة وفق الآية: [**[11]فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.]** [2]، وعمره بعد الطوفان كان ست مائة وواحد وعشرة أيام وفق الآية: [**[13]وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأرض. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأرض قَدْ نَشِفَ. [14]وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأرض.**][3]، وأن نوح عليه السلام عاش بعد الطوفان ثلاث مائة وخمسون عام كما ورد في الآية: [**[28]وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.**][4]، وبالتالي يكون عمر نوح عليه السلام الاجمالي: 600+ عام وعشرة ايام+ 350= 951 وعشرة أيام، في حين جاء في التوراة ان نوح عليه السلام آية صريحة أن نوح عليه السلام عاش تسع مائة وخمسون عام، بدليل الآية: [**[29]فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.**][5].

إن هذا الخلط والتضارب في الفترات الزمنية التي دامها الطوفان في الأرض يؤكّد عدم الأخذ بما جاء في التوراة على أنه وحي منزّه، لأن هذا الأخير لا يعتريه أبداً الخطأ لأنه كلام الله، وبالتالي يعتبر ذلك دليل قاطع على تحريف التوراة من قبل أحبار اليهود وفق ما يتماشى ومصالحهم.

(1)- جاري جرينبرج، المرجع السابق، ص115.

(2)- سفر التكوين (7: 11).

(3)- سفر التكوين (8: 13، 14).

(4)- سفر التكوين (9: 28).

(5)- سفر التكوين (9: 29).

ج. انحسار الماء:

تذكر التوراة أن الطوفان انتهى بانحصار الماء وأن ذلك جاء وفق أمر الله، وبعوامل تمثلت في الريح التي أرسلها الله وهدأت على إثرها المياه وتلاها انسداد الينابيع التي كانت تتدفق بالمياه، ومن ثم توقف المصدر الأرضي للمياه ليليه توقف هطول الأمطار، كما جاء في الآيات: [1**ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأرض فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. 2وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ.**][(1)].

وقد أدى ذلك إلى تراجع المياه في نفس الفترة التي تعاظمت فيها أي في مائة وخمسون يوما كاملة، كما ورد في الآية: [3**وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض رُجُوعاً مُتَوَالِياً. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً نَقَصَتِ الْمِيَاهُ**][(2)]، وضلَّت المياه تتناقص بشكل تدريجي كما سلف الذكر إلى أن ظهرت الجبال في بداية الشهر العاشر، مثل ما ورد في الآية: [5**وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصاً مُتَوَالِياً إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ.**][(3)]، وقد كان ذلك الظهور يدل على بداية تناقص الماء لأن المظهر التضاريسي الأول الذي نستطيع رؤيته والماء ينخفض تدريجيا هو الجبال بحكم علوها، غير أن الآية تذكر أن الاستقرار على الجبال كان في الشهر السابع فكيف استقّرت السفينة قبل ظهور الجبال والأجدر أن تستقر على اليابسة كما ورد في الآية: [4**وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ**][(4)].

ولكن نوح عليه السلام لم يفتح طاقة الفلك إلا بعد أربعين يوماً من استقرار الفلك، ويذكر مفسري التوراة أن نوح عليه السلام بقي في الفلك في ارارط ما يقارب ثمانية شهور قبل أن يخرج إلى اليابسة[(5)]، ولمعرفة إذا ما انحصر الماء أرسل غرابا، غير أن هذا الأخير لم يرجع إليه وظل يتردد على الفلك، فأرسل حمامة فرجعت اليه ولم يجد لرجلها موضعاً، وبعد سبعة أيام أرسلها من جديد لتنظر ما فعل الماء، ولم

---

(1)- سفر التكوين (8: 1، 2).

(2)- سفر التكوين (8: 3).

(3)- سفر التكوين (7: 5).

(4)- سفر التكوين (8: 4).

(5)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص28.

ترجع إلا حين أمست وفي فمها ورق زيتون فعلم نوح ﷺ أن الماء قد قل عن وجه الأرض، ثم لبث سبعة أيام وأرسلها من جديد فلم ترجع للفلك فعلم أن الأرض قد برزت، وأكمل نوح ﷺ السنة من اندلاع الطوفان إلى انحصار الماء، وذلك واضح في الآيات التالية: [**6وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْماً أَنَّ نُوحاً فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا 7وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ فَخَرَجَ مُتَرَدِّداً حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض. 8ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأرض 9فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرّاً لِرِجْلِهَا فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهاً كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. 10فَلَبِثَ أَيْضاً سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ 11فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأرض. 12فَلَبِثَ أَيْضاً سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضاً.**][(1)].

وتذكر التوراة تاريخ محدّد أن نوح ﷺ فتح غطاء الفلك وعمره ست مائة وواحد في بداية الشهر الأول، وأن الماء جف في السابع والعشرين من الشهر الثاني، وفق ما ورد في آيات التوراة: [**13وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأرض. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ فَإِذَا وَجْهُ الأرض قَدْ نَشِفَ. 14وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ جَفَّتِ الأرض.**][(2)]، وبذلك يكون لدينا تاريخين لانحسار الماء فقد جاء قوله نشفت الأرض في السنة الواحدة والست مائة في الشهر الأول، ثم يضيف في الآية التي تليها أن الأرض جفّت في السابع والعشرين من الشهر الثاني من نفس السنة، وإذا ما حاولنا أن نجد الفرق بين مصطلح نشفت وجفّت فلن نجد فرقاً بينهما[(3)]، فكيف لنفس الحدث أن يكون في تاريخين مختلفين والفارق بينهما ثلاثة أشهر، وحسب فكرة ظهور الجبال في الشهر العاشر فإن الاستقرار يكون بعد ذلك وليس قبله.

(1)- سفر التكوين (7: 6- 12).

(2)- سفر التكوين (7: 13، 14).

(3)- ورد في محيط المحيط أن نشفت تعني جفت عن البلل الذي كان فيها، وجفت جاءت بمعنى يبست والجفاف نقيض البلل. أنظر: بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 113. أنظر كذلك: نفسه، ص894.

د. استقرار الفلك:

جاء في التوراة آية صريحة عن مكان استقرار سفينة النجاة وهي جبال اراراط في السابع عشر من الشهر السابع، كما جاء في الآية: [3**وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأرض رُجُوعاً مُتَوَالِياً. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً نَقَصَتِ الْمِيَاهُ.** 4**وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ**][1]، ويقصد بالاستقرار أي أن السفينة قد "استقرت" أي ظلّت مكانها حتى هدأت حركتها، وقد جاء في التوراة السامرية أن استقرار السفينة كان على جبل سرنديب[2] في سيرلنكا، كما جاء في الآية: [**واستقرت السفينة في الشهر السابع في سبعة عشر يوما من الشهر على جبال سَرنَديبْ**][3].

وقد اختلف فيما يخص مكان رسو السفينة فقد جاء وصفها في التوراة أحيانا بالجبال، بمعنى أنها ليست جبل واحد بل سلسلة جبلية، وجاء وصفها في سفر الملوك الثاني بأنها أرض كما ورد في الآية: [37**وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخَ إِلهِهِ، ضَرَبَهُ أَدْرَمَّلَكُ وَشَرَآصَرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ. وَمَلَكَ آسَرْحَدُّونُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ.**][4]، وجاء ذكرها أيضا في سفر إشعيا بالأرض في الآية: [38**وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخَ إِلهِهِ ضَرَبَهُ أَدْرَمَّلَكُ وَشَرْآصَرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَارَاطَ. وَمَلَكَ أَسَرْحَدُّونَ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ**][5]، وفي سفر إرميا بأنها ممالك كما ورد في الآية: [27**«ارْفَعُوا الرَّايَةَ فِي الأرض. اضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي الشُّعُوبِ. قَدِّسُوا عَلَيْهَا الأُمَمَ. نَادُوا عَلَيْهَا مَمَالِكَ أَرَارَاطَ وَمِنِّي وَأَشْكَنَازَ. أَقِيمُوا عَلَيْهَا قَائِدًا. أَصْعِدُوا الْخَيْلَ كَغَوْغَاءَ مُقْشَعِرَّةٍ.**][6]، وجاء بأن جبال

---

(1)- سفر التكوين (8: 3، 4).

(2)- **سرنديب**: في معجم البلدان سرنديب جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخا في مثلها، وفيها الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام يقال له الرّهون فيه أثر قدم واحدة مغموسة في الحجر طولها نحو سبعين ذراعاً. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج3، ص216.

(3)- التوراة السامرية: سفر التكوين (8: 4)، ص44.

(4)- سفر الملوك الثاني (19: 37).

(5)- سفر اشعيا (37: 38).

(6)- سفر ارميا (51: 27).

أراراط تدخل ضمن مملكة اورارتو، على الرغم من أن أورارتو لم تكن معروفة زمن كتابة التوراة لأنها تعود إلى القرن 15 ق.م، والمملكة تعود إلى أكثر تقدير إلى القرن 13 ق.م[1].

4. الأحداث بعد الطوفان:

كان الطوفان الذي غمر الأرض وخلّصها من الشر، والفساد الذي تسبّب فيه الناس الذين تكاثروا في عشرة أجيال بعد آدم حسب ما ورد في التوراة طوفاناً عظيم وشاملا، وإذا كان الطوفان كذلك فهو سيتسبب في إخلاء الأرض من مقومات الحياة، ومن ثم كانت وظيفة نوح عليه السلام والناجون من الطوفان بعد هبوطهم من الفلك صعبة جداً، بدايتها إرضاء الرب أولاً بالقربان الذي سيقدمه نوح عليه السلام ومن معه، ومن ثم حصوله على عهد منه أن لا يلعن الأرض والعباد من جديد، ومن ثم إعادة إعمار الأرض وانتشارهم فيها والاجتهاد في العمل بشرط عدم الخروج عن طاعة الله من جديد، وتجدر الإشارة إلى أن التوراة في ما يخص الأحداث بعد الطوفان لم تهتم كثيرا خاصة بالفترة الذي قضاها نوح عليه السلام بين أولاده ومن معه، وهي ليست بالقليلة فقد صرّحت أنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسون عاماً، غير ان أحداثها التي وردت فيها فقط الفترة ما بعد الطوفان مباشرة وهي هبوطه ومن معه من الفلك...

أ. هبوط ركاب الفلك:

بعد ما انتهى الطوفان محا الله كل ما على وجه الأرض من الوجود، مثل الحيوانات والطيور، لم يبق إلا ركاب الفلك أراد لهم الله أن يكونوا فقط الناجون من الطوفان، كما جاء في قوله: [**23فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأرض: النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ وَالدَّبَّابَاتَ وَطُيُورَ السَّمَاءِ فَانْمَحَتْ مِنَ الأرض. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ.**][2]، ويؤكد الله ذلك في موضع آخر:[**18 وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَاماً وَحَاماً وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ. 19هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هَؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأرض**][3].

(1)- George Potter, Op. Cit, p66.

(2)- سفر التكوين (7: 23).

(3)- سفر التكوين (9: 18، 19).

وتذكر التوراة أن الله أمر نوح عليه السلام ان يهبط من الفلك هو وكل ركاب الفلك، ففعل نوح عليه السلام ما أمره الله، كما جاء في الآيات: [18**فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ.** 19**وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ وَكُلُّ الطُّيُورِ كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأرض كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ.**](1)، وبنى مذبحاً للرب، وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قرباناً إلى الرب كما جاء فيما يلي: [20**وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ.**](2).

وأمر الله نوحاً عليه السلام ومن معه بعدما رضي عنه أن يتكاثروا ويملأوا الأرض، كما جاء في: [1**وَبَارَكَ اللهُ نُوحاً وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلَأُوا الأرض.**](3)، وكذلك جاء في موضع آخر: [17**وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدُبُّ عَلَى الأرض أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأرض وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأرض».**](4)، وورد أيضا في موضع آخر: [7**فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأرض وَتَكَاثَرُوا فِيهَا».**](5).

حتى أن نوح عليه السلام بعدما نزل من الفلك اشتغل بالزراعة، وأصبح فلاحا، كما جاء في الآية: [20**وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا**](6)، ومن ثم أضاف صفة الفلاح إلى صفة النجار التي أعابها عليه قومه، ويذكر الثعلبي أن نوح عليه السلام ومن معه هبطوا من الفلك في يوم عاشوراء، وقد اتخذوا في ناحية من أرض الجزيرة موضعاً، وابتنى نوح عليه السلام ومن معه هناك قرية سموها سوق الثمانين (وقد قال لأن عدد من كان معه في الفلك ثمانين شخصاً) (7).

ب. مباركة الرب لنوح عليه السلام:

بعد ما نزل نوح عليه السلام ومن معه من الفلك بنى مذبحاً وقدّم قرباناً إلى للرب، وقد تحرى أن يكون ذلك من الحيوانات والطيور الحلال أو الطاهرة كما ورد في التوراة: [20**وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ.**

(1)- سفر التكوين (8: 18، 19).

(2)- سفر التكوين (8: 20).

(3)- سفر التكوين (9: 1).

(4)- سفر التكوين (8: 17).

(5)- سفر التكوين (9: 7).

(6)- سفر التكوين (9: 7).

(7)- الثعلبي، المصدر السابق، ص60. أنظر كذلك: Gertrude Lowthian Bell, Op. Cit, p293.

وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ.][1]، وبذلك رضي الله عنه وعن بني البشر وباركه هو نسله، وأوصاهم بأن يتدبروا في الأرض ويتكاثروا ليملؤوها خلافا للبشر الفاسدين الذين أهلكهم الطوفان، كما جاء في الآية: [**[1]وَبَارَكَ اللهُ نُوحاً وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلَأُوا الأرض.**][2]، وقيل أن البركة هنا لا يقصد بها البركة بالخير، وإنما بركة بكثرة العدد، وذلك لأن بعدها وجوب الكثرة "اثمروا وأكثروا"[3].

وقد جاء في التوراة أن الله سخَّر لنوح عليه السلام وبنيه ونسلهم دواب الأرض وأسماك البحر لتكون طعاماً لهم، جاء في التوراة: [**[2]وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأرض وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأرض وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ. [3]كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَاماً. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. [4]غَيْرَ أَنَّ لَحْماً بِحَيَاتِهِ دَمِهِ لاَ تَأْكُلُوهُ. [5]وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيهِ. [6]سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ. [7]فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأرض وَتَكَاثَرُوا فِيهَا».**][4].

ويذكر مفسري التوراة أن الله وجّه الخطأ في القتل، فقتل الإنسان هو قتل شخص خُلق على صورة الله، كل الناس قد خلقوا على صورة الله، فكل الناس يمتلكون الخصائص التي تميّز الإنسان عن الحيوانات سواء من النواحي الأدبية والعقلية والإبداعية، أو القيمة الذاتية فعندما نتعامل مع الآخرين فنحن نتعامل مع خلائق على صورة الله، كائنات ستحيا إلى الأبد، وأراد الله لنا أن ندرك هذه الخصائص[5].

وقد حاولت التوراة أن تبيّن أن نوح عليه السلام كان مفضلاً بسبب تقاه وورعه، وإلا لما اختاره الله أن يكون السبب في نجاة من معه، وبالتالي إنقاض الأرض من الفناء، فتلك المهمة العظيمة التي

---

(1)- سفر التكوين (8: 20).

(2)- سفر التكوين (9: 1).

(3)- الامام علاء الدين على بن محمد الباجي (ت714 هـ)، **كتاب على التوراة او الرد على اليهود**، تح: السيد يوسف أحمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص71.

(4)- سفر التكوين (9: 2- 7).

(5)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص28.

أوكلها الله لنوح ﷺ تبيّن تكريمه عن غيره، كما جاء في آيات التوراة صراحة بر نوح ﷺ بربه مثل ما ورد في سفر يشوع بن سيراخ: [[17]**نوح وجد برا كاملا وبه كانت المصالحة في زمان الغضب**][(1)]، كما ذكر في سفر حزقيال مع أنبياء آخرين اتقوا ربهم وأخلصوا له هما دانيال وأيوب: [[14]**وَكَانَ فِيهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ**][(2)].

تنوّه التوراة في الآيات السابقة أن نوح ﷺ قد نال رضا الرب بتقديم المحرقات واللحم المشوي الذي يحبه الرب كما يزعمون، وليس لأن نوح ﷺ دعا إلى عبادة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالتوراة سكتت عن دعوة نوح ﷺ التوحيدية كما سكتت عن دعوة كل الأنبياء الذين ذكروا في الكتاب المقدس ككل[(3)].

ج. ميثاق الرب مع نوح ﷺ:

بعدما أرضى نوح ﷺ ربه بالمذبح الذي بناه وقدّم فيه القرابين، وكان رضا الله على نوح ﷺ ومن نجا من الطوفان بعد ندمه على اتخاذه قرار الطوفان ومعاقبته للأرض ومن عليها، لذلك أقام عهده مع نوح ﷺ ونسله من بعده، وكل الحيوانات والطيور التي كانت مع نوح ﷺ في الفلك، بأنه لن يبعث طوفان مرة أخرى، كما جاء في الآيات: [[8]**وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ وَبَنِيهِ:** [9]**«وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ** [10]**وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وُحُوشِ الأرض الَّتِي مَعَكُمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلْكِ حَتَّى كُلُّ حَيَوَانِ الأرض.** [11]**أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضاً بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضاً طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأرض».**][(4)].

ومن الملاحظ حسب تسلسل آيات التوراة أن الله في كل مرة يعيد تأكيد عهده مع نوح ﷺ والمخلوقات إلى أبد الآبدين، ويصرّح بأن علامة الميثاق هي قوس قزح الذي يرتسم في السماء بعدما تمطر السماء، والميثاق كان ليذكر الله وكأنه ينسى به ما حدث فلا يرسل طوفان على الأرض من جديد كما جاء في الآية: [[12]**وَقَالَ اللهُ: «هَذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ**

(1)- سفر يشوع بن سيراخ (44: 17).

(2)- سفر حزقيال (14: 14).

(3)- محمد علي البار، المرجع السابق، ص69.

(4)- سفر التكوين (9: 8- 11).

ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ:[13]وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الأرض. [14]فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَاباً عَلَى الأرض وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ. [15]أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضاً الْمِيَاهُ طُوفَاناً لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. [16]فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقاً أَبَدِيّاً بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأرض».][(1)]، أي أن الرب لم يكتفِ بحديث شفوي عن الميثاق، وإنما عمل على وضع إشارة يتذكر بها ميثاقه، وكأنه يريد أن يطمئِّن بني إسرائيل إلى أن الأمر ليس مجرد وعد قابل للنسيان أو الزوال[(2)].

ويذكر مفسري التوراة أن الوعد الذي قطعه الرب لنوح ﷺ كان يتضمن ثلاثة أجزاء: أن لا يحدث طوفان مدمر مرة أخرى، وأن يحفظ تعاقب فصول السنة حسب المطر مدى الحياة، وأن يجعل قوس قزح[(3)] يظهر عندما تمطر كعلامة للجميع على أن الله سيحفظ وعده مع نوح ﷺ[(4)]، وتجدر الإشارة إلى أن الميثاق لم يكن مع نوح ﷺ فقط، فقد كان مع أنبياء من بعده مثل يعقوب واسحاق وابراهيم فقد جاء في موضع آخر من التوراة: [**[42]أَذْكُرُ مِيثَاقِي مَعَ يَعْقُوبَ، وَأَذْكُرُ أَيْضًا مِيثَاقِي مَعَ إِسْحَاقَ، وَمِيثَاقِي مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَذْكُرُ الأرض. [43]وَالأرض تُتْرَكُ مِنْهُمْ وَتَسْتَوْفِي سُبُوتَهَا فِي وَحْشَتِهَا مِنْهُمْ، وَهُمْ يَسْتَوْفُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لأَنَّهُمْ قَدْ أَبَوْا أَحْكَامِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُهُمْ فَرَائِضِي. [44]وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ أَيْضًا مَتَى كَانُوا فِي أَرْضِ أَعْدَائِهِمْ، مَا أَبَيْتُهُمْ وَلاَ كَرِهْتُهُمْ حَتَّى أُبِيدَهُمْ وَأَنْكُثَ مِيثَاقِي مَعَهُمْ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ. [45]بَلْ أَذْكُرُ لَهُمُ الْمِيثَاقَ مَعَ الأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ لأَكُونَ لَهُمْ إِلهًا. أَنَا الرَّبُّ».**][(5)].

---

(1)- سفر التكوين (9: 12- 16).

(2)- عبد الستار قاسم، **ابراهيم** والميثاق مع بني اسرائيل في التوراة والانجيل والقرآن، ط2، الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية، القدس، 1994، ص40.

(3)- **قوس قزح**: قوس ينشأ في السماء أو على مقربة من مسقط الشلال ونحوه ويكون في ناحية الافق المقابلة للشمس، وترى فيه ألوان الطيف المتتابعة، وسببه انعكاس أشعة الشمس من رذاذ الماء المتطاير من ماء المطر. أنظر: الامام الباجي، المرجع السابق، ص74.

(4)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص28، 29.

(5)- سفر اللاويين (26: 42- 45).

وينتقل الرب في ميثاقه مع بني إسرائيل خطوة كبيرة في حديثه مع إبراهيم من نسل نوح ﷺ، بأن فضَّله على سائر البشر[1]، ويكرِّر الرب إشارة لحفظ العهد بينه وبين نوح ﷺ وإبراهيم ونسلهما لعهده في أبدانهم وهو الختان[2].

د. أولاد نوح ﷺ:

فصّلت التوراة في أبناء نوح ﷺ وأحفاده من بعد الطوفان ايما تفصيل؛ حيث لم يرد ذكرهم في أي مصدر آخر بنفس التفصيل، فقد ذكرت أن نوح ﷺ أنجب قبل الطوفان ثلاثة أبناء هم: "سام" و"حام" و"يافث"[3]، وتضيف بأن البشرية تشعّبت من هؤلاء الثلاثة فيما بعد كما جاء في الآيات: [18**وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ.** 19**هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأرض.**][4]، كما جاء في موضع آخر: [1**وَهذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ الطُّوفَانِ.**][5].

وقد أوردت التوراة ترتيب أبناء نوح ﷺ من حيث العمر، فإن حام أصغر الثلاثة لأنه قال بعده: "وعلم ما عمل به ابنه الاصغر"، فلم يبتدأ في ذكرهم بالأكبر ثم الأوسط، ثم الأصغر، وابتدأ بالأكبر فالأكبر، فلم يبدأ بالأصغر ثم الأوسط ثم الأكبر جريا على سلوك الارتقاء من الأصغر للأكبر[6].

وتفصل التوراة في أحفاد نوح ﷺ وتذكر أبناء كل واحد من أبناء نوح ﷺ سأدرجها فيما يلي: إن أولاد يافث بن نوح ﷺ سبعة ذكور وهم: "جومر" و"مأجوج" و"ماداي" و"ياوان" و"توبال" و"ماشك" و"تيراس"، كما جاء في الآية: [2**بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَايِ وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ.**][7]، ويذكر ابن اسحاق اسم زوجة يافث بن نوح ﷺ وهي: "أربسيسة بنت

(1)- أنظر: سفر التكوين (12: 2، 3).

(2)- عبد الستار قاسم، المرجع السابق، ص41.

(3)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p34.

(4)- سفر التكوين (9: 18، 19).

(5)- سفر التكوين (10: 1).

(6)- الامام الباجي، المرجع السابق، ص75

(7)- سفر التكوين (10: 2).

مرازيل بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام" ويقول أن بنت يافث اسمها "شبكة"[1]، وتفصّل أيضا التوراة في أحفاد "يافث بن نوح" وتذكر أبناء "جومر بن يافث بن نوح" الثلاثة وهم: "اشكنار" و"ريفاث" و"توجرمة"، أما أبناء "ياوان بن يافث بن نوح" فهم "أليشة" و"ترشيش" و"كتيم" و"دودانيم"، كما ورد في الآيات: [3**وَبَنُو جُومَرَ: أَشْكَنَازُ وَرِيفَاثُ وَتُوجَرْمَةُ.** 4**وَبَنُو يَاوَانَ: أَلِيشَةُ وَتَرْشِيشُ وَكِتِّيمُ وَدُودَانِيمُ.** 5**مِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَمِ بِأَرَاضِيهِمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ كَلِسَانِهِ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ بِأُمَمِهِمْ.**][2].

وتفصّل التوراة في أبناء "حام بن نوح" وتعدّدهم بأربعة وهم: "كوش" و"مصرايم" و"فوط" و"كنعان"، كما جاء في الآية: [6**وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ.**][3]، يقول محمد ابن اسحاق: «أن امرأة "حام بن نوح" كانت "نحلب بنت مارب بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم"»[4].

وتفصّل التوراة في نسلهم وتذكر أن أبناء "كوش بن حام بن نوح" هم: "سبا" و"حويلة" و"سبتة" و"رعمة" و"سبتكا" و"نمرود"[5]، كما جاء في الآيات: [7**وَبَنُو كُوشَ: سَبَا وَحَوِيلَةُ وَسَبْتَةُ وَرَعْمَةُ وَسَبْتَكَا. وَبَنُو رَعْمَةَ: شَبَا وَدَدَانُ.** 8**وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأرض**][6]، ويذكر ابن اسحاق أن منهم خرجت الحبشة والسند والهند[7].

(1)- محمد ابن اسحاق، المصدر السابق، ص82.

(2)- سفر التكوين (10: 3- 5).

(3)- سفر التكوين (10: 6).

(4)- محمد ابن اسحاق، المصدر السابق، ص82.

(5)- **نمرود:** نمرود جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس انه كان صيادا جباراً البعض يعتبرونه مؤسس الامبراطورية البابلية. أنظر: بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص30.

(6)- سفر التكوين (10: 7، 8).

(7)- محمد ابن اسحاق، المرجع السابق، ص82.

أما أبناء "مصرايم بن حام بن نوح" فقد ورد ذكرهم في التوراة كذلك وهم: "لوديم" و"عناميم" و"لهابيم" و"نفتوحيم" و"فتروسيم" و"كسلوحيم"، كما يظهر في الآيات: [13**وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ** 14**وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ.**][1].

في حين تذكر التوراة أن أبناء "كنعان بن حام بن نوح" هم: "صيدون بكرة" و"حثا" و"اليبوسي" و"الأموري" و"الجرجاشي" و"الحوي" و"العرقي" و"السيني" و"الارودي" و"الصماري" و"الحماتي"، كما ورد ذكرهم في الآيات: [15**وَكَنْعَانُ وَلَدَ: صِيْدُونَ بِكْرَهُ، وَحِثًّا** 16**وَالْيَبُوسِيَّ وَالأَمُورِيَّ وَالْجِرْجَاشِيَّ** 17**وَالْحِوِّيَّ وَالْعَرْقِيَّ وَالسِّينِيَّ** 18**وَالأَرْوَادِيَّ وَالصَّمَارِيَّ وَالْحَمَاتِيَّ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْكَنْعَانِيِّ.**][2].

ويذكر ابن اسحاق أن زوجة "كنعان بن حام بن نوح" كان اسمها "ارتيل ابنة بتاويل بن تيراس بن يافث بن نوح" وان من نسله خرج الاساود والنوبة[3] وفزان[4] والزنج والزغاوة وأجناس السودان كلها، ويضيف الى انه من نسل "فوط بن حام بن نوح" الذي تزوج بـ"بخت ابنة بتاويل بن تيراس بن يافث بن نوح" خرج القبط[5].

أما أبناء "سام بن نوح" وهم في الحقيقة أهم فرع من أبناء نوح ﷺ بالنسبة لكُتّاب التوراة لأن منهم يعود نسبهم، ولذلك يروي كتبة التوراة كيف أن الله فضَّلهم عن غيرهم من إخوتهم وجعلهم خدام لهم كما ورد في الآية: وهم: "عيلام" و"أرفكشاد" و"لود" و"آرام" و"أشور"، كما تذكر الآية:

---

(1)- سفر التكوين (10: 13، 14).

(2)- سفر التكوين (10: 15- 18).

(3)- **النوبة**: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش أول بلادهم بعد أسوان. أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج5، ص309.

(4)- **فزان**: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب وهو في الاقليم الاول سميت بفزان بن حام بن نوح ﷺ، مدينتها زويلة السودان اغلب اهلها سود. أنظر: نفسه، ج4، ص260.

(5)- محمد ابن اسحاق، المصدر السابق، ص83.

[22]**بَنُو سَامٍ: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ.**][1]، ويذكر ابن اسحاق أن زوجة سام بن نوح عليه السلام كانت "صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خنوخ بن قين ابن آدم"[2].

وتفصّل التوراة في نفس الاصحاح في احفاد "سام بن نوح" وتذكر أن أبناء "آرام بن سام بن نوح" هم: "عوص" و"حول" و"جاثر" و"ماش"، أما أبناء "أرفكشاد بن سام بن نوح" فتذكر "شالح" وابنه "عابر" وله ابنان "فالج" و"يقظان"، ولهذا الأخير ثلاثة عشر ابن وهم: "المواداد" و"شالف" و"حضرموت" و"يارح" و"هدورام" و"أوزال" و"دقلة" و"عوبال" و"أبيمال" و"شبا" و"أفير" و"حويلة" و"يوباب"، كما ورد في الآيات: [[23]**وَبَنُو أَرَامَ: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ.** [24]**وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ، وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ.** [25]**وَلِعَابِرَ وُلِدَ ابْنَانِ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَالَجُ لأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ الأَرض. وَاسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ.** [26]**وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ** [27]**وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ** [28]**وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا** [29]**وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ بَنُو يَقْطَانَ.**][3].

ويقول محمد بن اسحاق أن "لاوذ بن سام بن نوح" أو لود كما ورد في التوراة تزوّج من "شبكة ابنة يافث بن نوح" وولدت له "فارس" و"جرجان" واجناس فارس[4] ومنه أيضا جاء طسم[5] وعمليق، ومنهم كان أهل المشرق وأهل عمان وكانوا يسمون جاسم، وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر ومنهم الكنعانيون وهم الجبابرة، كلهم كانوا تقريباً بالجزيرة وكان لسانهم عربياً إلا أهل فارس[6].

---

(1)- سفر التكوين (10: 22).

(2)- محمد ابن اسحاق، المصدر السابق، ص83.

(3)- سفر التكوين (10: 23- 29).

(4)- **فارس (Persia)**: تقع بلاد فارس في القارة الآسيوية شمال شرق الجزيرة العربية ووادي الرافدين، سميت كذلك نسبة إلى قبيلة قوية سكنت في المنطقة، تحول اسمها إلى إيران اشتقاقا من الكلمة السنسكريتية التي تعني النبيل أو الشريف، وهي اشتقاق لقبائل آرية هاجرت إلى هذه البلاد في العصور القديمة عرفت باسم "ايريار". أنظر: ساهر رافع، **تاريخ وحضارة إيران** من عصور ما قبل التاريخ وحتى 350 م، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2011، ص13، 14. أنظر كذلك: اسماعيل حامد، **الملك كورش وتأسيس الامبراطورية الاخمينية الفارسية**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2011، ص ص11-16.

(5)- **طسم (Tasam)**: قبيلة عربية تنتسب إلى العمالقة من بني ارم من العرب البائدة، سكنت اليمامة في الشرق من نجد دخلت في صراع مع قبيلة جديس. أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص564.

(6)- محمد ابن اسحاق، المصدر السابق، ص83، 84.

ويذكر مفسري التوراة أن أبناء نوح عليه السلام قد تناسلوا بعد الطوفان، فكان من "سام بن نوح" العبرانيون والكلدانيون الاشوريون[1] والفرس والاراميون[2] والعرب، وكان من "حام بن نوح" الكنعانيون المصريون الفلسطينيون الحيثيون[3] والأموريون[4]، بينما كان من "يافث بن نوح" اليونان والتراقيون[5] والسكيثيون، وقد سمي أبناء سام بالساميين، وقد جاء إبراهيم وداود ويسوع من نسل سام، واستوطن نسل حام كنعان ومصر وسائر أنحاء افريقية، أما نسل يافث فقد استقر غالبيتهم في أوروبا وآسيا الصغرى[6]. (أنظر الملحق رقم 10ص 294).

بعد استقرار السفينة من المفترض أن من كان مع نوح عليه السلام لم ينفصلوا عنه إلا بعد أن تكاثروا جدا وضاقت بهم الأرض التي نزلوا بها، وهذا يحتاج إلى مئات السنين لأنه لا يعقل أن يذهب أولاده في كل جهة ولم تتجاوز عائلته عدد الأصابع، وطبيعة الإنسان تقتضي الاجتماع خاصة بعد الكارثة وليس الابتعاد عن بني جنسه، ومع ذلك التوراة أوردت الأحداث بعد الطوفان وانتشار أبناءه في الأرض ومن ثم مباشرة مرحلة ابراهيم عليه السلام التي كانت تعجّ بالشعوب والحضارات المنتشرة في وادي

---

(1)- **الآشوريون**: من الأقوام السامية التي هجرت من شبه الجزيرة العربية في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، استوطنوا شمال وادي الرافدين واختلطوا مع الاقوام التي سبقتهم وقد سموا كذلك نسبة إلى إله المدينة الحامي آشور كوّنوا في الألف الثانية قبل الميلاد امبراطورية. أنظر: نور الدين حاطوم وآخرون، **موجز تاريخ الحضارة**، ج1، مطبعة الكمال، مصر، 1965، ص212، 213.

(2)- **الآراميون**: أقدم الاقوام السامية ظهرت على مسرح الأحداث في الألف الرابع قبل الميلاد حوالي 3500 ق.م، اندفعوا اتجاه السواحل الشامية وبلاد الرافدين أسسوا مملكة ابلا (حمص وحلب) ومملكة ماري، وتعود لهم حضارة العبيد في وادي الرافدين. أنظر: خزعل الماجدي، **المعتقدات الآمورية**، ط1، دار الشروق، الاردن، 2002، ص11، 12.

(3)- **الحيثيون**: شعب هندو أوروبي استقر في الأناضول وعرفت بلاده ببلاد حاتي، التي ظهرت في الألف الثانية قبل الميلاد، توسعت في شمال سورية وبلاد الرافدين، أصبحت امبراطورية واسعة (1430-1200ق.م) وأضحت قوة منافسة للفراعنة أنظر: محمد حرب فرزات، **موجز في تاريخ سورية القديم**، منشورات جامعة دمشق، 1985، ص138.

(4)- **الآموريون**: هم شعب من الشعوب السامية وهم كنعانيون هجروا إلى وادي الرافدين ما بين الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، أسسوا دولاً وسلالات كثيرة كانت أولها في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، نتج عنها تحطيم امبراطورية أور وإقامة عدة دويلات على أنقاضها. أنظر: طه باقر، (مقدمة في تاريخ الحضارات)، المرجع السابق، ص90، 91.

(5)- **التراقيون**: نسبة إلى تراقيا وهم قوم سكنوا إقليم يحده شمالا نهر الدانوب ومن الجنوب بروبونتوس ومن الغرب نهر سترمون ومن الشرق القبائل الغيليرية ضمها فيليب المقدوني إلى مقدونيا. أنظر: William Smith, Op. Cit, p885,886.

(6)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص30.

الفرات ودجلة وفلسطين ومصر وجنوب الجزيرة العربية، وتذكر أيضا كيف أن أكثر عقائد هذه الشعوب كانت وثنية، والتحول الكبير هذا من التوحيد الذي كان مع نوح ﷺ إلى الوثنية في عهد إبراهيم يقتضي زمناً ليس بالقصير كما ورد في التوراة[1]، ذلك يؤكّد أن الطوفان موغل في القدم مقارنة بالزمن الذي جاء في التوراة.

وتؤكد التوراة أن الطوفان كان عالمياً وأهلك كل سكان الأرض، فكان الناجون من الطوفان الوحيدين على الأرض بعد انحسار الماء ورسو السفينة، ومن ثم كان أبناء نوح ﷺ الخلائف للبشرية من بعد الطوفان وذلك أكّدته الآية: [32**هؤُلاَءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتِ الأُمَمُ فِي الأرض بَعْدَ الطُّوفَانِ**][2].

وهكذا كانت قصة الطوفان التوراتية من بدايتها إلى نهايتها، وكان الطوفان العقاب الإلهي للبشرية لفسادها، ويقول ويلكوكس: «إن الصورة التي رسمها العهد القديم للطوفان مأخوذة بحذافيرها من القصص السومرية القديمة التي تمتاز عن التوراة في وصفها للظواهر الطبيعية في حين أن العهد القديم يمتاز عن الالواح البابلية في تصويره لفكرة الاله»[3]، ويضيف أدولف لودز أن مصدر الرواية الكهنوتية هو ما ورد عن الطوفان في ملحمة جلجامش ويرجع ذلك للتشابه الكبير بين القصتين[4].

(1)- حسن الباش، المرجع السابق، ج2، ص124.

(2)- سفر التكوين (10: 32).

(3)- ويلم ويلكوكس، **من جنة عدن الى عبور نهر الاردن**، تر: محمد الهاشمي، دار المعارف، بغداد، 1955، ص24.

(4)- Adolphe Lods, (Israel), Op. Cit, p397.

الفصل الخامس: نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

1. دعوة نوح عليه السلام لقومه:

2. الفلك:

3. فوران التنور:

4. وصف الطوفان:

5. ما بعد الطوفان:

جاء القرآن الكريم بأحداث متكاملة لتتبع تطور التاريخ الانساني، أي كيف تفاعل الإنسان مع القانون العام للوجود والقوانين الجزئية من جهة، وكيف تفاعل مع الرسالات من جهة أخرى، وسمي بـ"أحسن القصص" أو "الكتاب المبين"[1]، ويقول فيه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣** ﴾[2]، والقصص لا يعني التتبع، وإنما جاء بمعنى الأخذ من الشيء ما يماثله، أو ما يدل عليه ويُعرف به[3].

والقصص القرآني جزء من القرآن كان النبي ﷺ يجهله[4]، وهو من الأنباء الغيبية سواءً كانت من الماضي أو من المستقبل، فهو من مقام النبوة غرضه العبرة والعظة وليس التشريع[5]، أي الانتفاع بنصائح الأنبياء ومواعظهم الخاصة بكل قوم حسب حالتهم، كقوم نوح عليه السلام في غوايتهم وغرورهم، وآل فرعون في عتوّهم، وقوم لوط في فحشهم، وقوم عاد في قوتهم وبطشهم، وثمود في أثرهم، ومدين في تطفيفهم وإخسارهم المكاييل والموازين، وبني إسرائيل في تمرّدهم وجحودهم[6]، وبذلك يمكن القول أن القصص القرآني يمتاز بصفة التكامل لتغطيته بصورة إجمالية غير تفصيلية لسيرورة التاريخ الإنساني بدءاً بآدم عليه السلام وصولا إلى محمد ﷺ، كدليل على أن القصص هو للعبرة والاعتبار[7]، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ**

(1)- عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص79، 80.

(2)- سورة يوسف، الآية:3.

(3)- عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص20.

(4)- محمد شحرور، **الكتاب والقرآن** رؤية جديدة، ط2، دار الساقي، بيروت، 2013، ص79.

(5)- نفسه، ص 108.

(6)- عبد الرحمان النجدي، **تيسير المنان في قصص القرآن**، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 2008، ص23.

(7)- عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص80.

﴿ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾[1]، والقصص القرآني يتسم بالتشابه ويدخل في إطاره كل قصص الأنبياء والرسل لأنها كانت قد وقعت وصارت حتمية تاريخية[2].

ويهدف القصص القرآني إلى إبراز حقيقة عقائدية هامة تبيّن أن الأنبياء والرسل في مجملهم جاؤوا بكلمة واحدة على تتابع الأجيال أن اعبدوا الله ما من إله غيره، ومن فوائد القصص القرآني تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد مآثرهم وكذا محبتهم وموالاتهم[3]، كما جاءت الغاية منه بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ، وكل نبي إنما جاء بشريعة مصدّقة ومتمّمة لشريعة من سبقه[4] لقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[5].

ومن القصص القرآني نجد قصة طوفان نوح عليه السلام، وقد جاء ذكر نوح عليه السلام في القرآن الكريم كثيراً؛ حيث تكرَّر تسعاً وأربعين مرة مع نزول سورة باسمه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[6]، كما جاء ذكره في السنة النبوية الشريفة في عددٍ من الأحاديث.

(1)- سورة يوسف، الآية:111.

(2)- عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص80.

(3)- عبد الرحمان النجدي، المرجع السابق، ص22، 23.

(4)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص24.

(5)- سورة الشورى، الآية:13.

(6)- سورة نوح، الآية:1.

والمتأمِّل لقصة الطوفان كما وردت في القرآن الكريم يراها على أعلى منزلة من الفصاحة والبيان، حيث يتسلسل فيها الكلام بسهولة اللفظ وتأمل لما لها تأثير في النفس[1]، على الرغم من أن قصة الطوفان جاءت في أكثر من موضع مفرقة ومختصرة مثل: (الاعراف: 59- 64)، (يونس: 71- 73)، (الشعراء: 105- 122)، (الصافات: 71- 83)، (القمر: 9- 16)، (المؤمنون: 23- 31)، (نوح: 1- 8)، وقد وردت لها إشارات عابرة في مجموعة من السور الأخرى: (الأنبياء: 76، 77)، (الفرقان: 37)، (العنكبوت: 14، 15)، (غافر: 5، 6)، أما القصة الأكثر تفصيلاً فقد وردت في سورة (هود: 25- 49).

1.دعوة نوح عليه السلام:

يعتبر نوح عليه السلام أول الأنبياء الخمسة أولي العزم المبعوثين[2]، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا** ﴾[3]، وقد اختاره الله سبحانه وتعالى لدعوة قومه إلى التوحيد، وإبعادهم عن عبادة الأصنام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَقَد أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾[4]، أي أن نوح عليه السلام دعا قومه لعبادة الله وحده لا شريك له خوفاً من عذاب يوم القيامة أن يلقوا الله وهم مشركين[5].

(1)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص75، 76.

(2)- اللواساني، المصدر السابق، ص27. وقد قال بعض العلماء برسالة آدم وإدريس من قبله ليكون هو النبي الثالث، والمتعارف عليه أنهم أنبياء وليسوا رسلاً؛ فآدم وابنه شيث وإدريس كانوا أنبياء إلى أقوامهم الذين كانوا على التوحيد، بينما نوح النبي الرسول بعث إلى قوم عبدوا الأصنام وأشركوا بالله فكان أول رسول إلى البشرية وكان آدم أول نبي والله اعلم. أنظر: منصور عبد الحكيم، (ازدراء) المرجع السابق، ص30.

(3)- سورة الأحزاب، الآية: 7.

(4)- سورة الأعراف، الآية: 59.

(5)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م2، ص1177.

فقد جاء في الفصل الأول أن قوم نوح عليه السلام كانوا قد أشركوا بالله وعبدوا آلهة وثنية، ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي ود وسواع ويعوق ويغوث ونسرا، وكيف كان ذلك سبباً في إرسال نوح عليه السلام إلى قومه مبشراً بالحق في مجال العقيدة وبالخير في مجال الأخلاق وبالعدالة في مجال التشريع.

وقد جاء في السنة النبوية الشريفة حديث للرسول ﷺ يخبرنا بدعوة نوح عليه السلام لقومه عن عبد الله عن يونس عن الزهري قال سالم: وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو اهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد انذر نوح قومه، ولكني أقول لكم قولا لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وإن الله ليس بأعور»[1].

أ. أساليب الدعوة:

ورد في القرآن الكريم أن نوح عليه السلام قد بُعث لقومه نذيراً يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما سلف الذكر، ويلاحظ في دعوة نوح عليه السلام الإصرار والصبر فقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى الله في الليل والنهار كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥** ﴾[2]، والسر والجهر لقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾[3]، أي أن نوح عليه السلام دعا قومه جهرة بين الناس وكلّمهم كلاماً ظاهراً بصوت عالٍ وأسّر لهم ذلك أي أنه نوَّع أساليب الدعوة لتكون أنجع فيهم[4]، وقد استمرت دعوته ألف سنة إلا خمسين عاماً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤** ﴾[5].

---

(1)- البخاري، المصدر السابق، ص820. (رقم الحديث 3337) كتاب أحاديث الأنبياء. أنظر كذلك: نفسه، ص753. (رقم الحديث 3057) كتاب أحاديث الأنبياء.

(2)- سورة نوح، الآية: 5.

(3)- سورة نوح، الآية: 8، 9.

(4)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م4، ص2970.

(5)- سورة العنكبوت، الآية: 14.

وقد أورد الهندي مجموعة من أساليب الدعوة في القرآن الكريم عامة وأوجزها فيما يلي: الترغيب والترهيب والزجر والوعظ والالهيات، وقد وردت بطريقة الأنموذج في كل فن آية من آيات القرآن الكريم، وقد لمست جل هذه الأساليب في دعوة نوح عليه السلام لقومه[1].

فقد استعمل نوح عليه السلام أسلوب الوعظ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[2]، أي اطلبوا المغفرة من ربكم على إشراككم به قبل العذاب، وكذا قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[3].

وجاء أسلوب الترغيب والوعد في دعوة نوح عليه السلام في مخاطبته قومه بأن يرسل عليهم الله السماء مطراً غزيراً ينبت الأرض، ويُحيي الأنعام ويرزقهم الأولاد والأموال إذا ما رجعوا إلى ربهم تائبين عن كفرهم واستغفروا ربهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[4]، أي أن الله سبحانه وتعالى يرسل أمطار متواصلة، ويرزقهم، ويكثر الرزق، ويسقيهم بركات، وينبت الأرض، ويمدهم بأموال، وبنين إذا أخلصوا له العبادة[5].

---

(1)- رحمة الله بن خليل الرحمان الكيرواني العثماني الهندي، **إظهار الحق** أدق دراسة نقدية في إثبات وقوع التحريف والنسخ في التوراة والانجيل وابطال عقيدة التثليث والوهية المسيح واثبات اعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ والرد على شبه المستشرقين والمنصرين، تح: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ج1، ط1، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، السعودية، 1989، ص779.

(2)- سورة نوح، الآية: 10.

(3)- سورة الاعراف، الآية: 59.

(4)- سورة نوح، الآية: 11، 12.

(5)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م4، ص2970.

ونجد كذلك من أدلة القرآن الكريم على لجوء نوح عليه السلام إلى أسلوب الترهيب والوعيد ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]، وذلك لأنه قد علم أنه لن يؤمن معه إلا من آمن، وقد أُمِر ببناء الفلك، وقومه يسخرون من عمله في النجارة، فتوعّدهم بعذاب كبير كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[2]، أي أن قومه يُكذبون بما يتوعَّدهم به من الغرق، وأنه توَّعدهم وعيداً شديداً، وتهديداً أكيداً[3].

كما استعمل نوح عليه السلام الإلهيات لإقناع قومه فكان يذكرهم بفضل الله عليهم ويشرح لهم قدرته وشمول علمه، من خلقهم في بطون أمهاتهم، وكيف كانوا تراباً ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم أجنة، وهم في جميع هذه الأطوار في رعاية الله محفوظين بحفظه محاطين بعنايته...وكيف كانوا أطفالا فشبانا...وهكذا سيعودون إليه من جديد في أية لحظة شاء، كما بيّن لهم دلائل قدرة الله في خلق السماوات والقمر والشمس[4] وفي كل مرة يعدِّد نعم الله الكثيرة طمعاً في أن تجد في آذانهم صدى ويبلغ بها قلوبهم، كما جاء قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾[5]، أي سماء واحدة فوق الأخرى، وفاوت بعضها على بعض في الاستنارة، وجعل كلا منها أنموذجاً على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدّر القمر منازلاً وبروجاً، وفاوت في نوره ليدل على مضي الشهور والأعوام[6].

(1)- سورة هود، الآية:39.

(2)- سورة هود، الآية: 38.

(3)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م2، ص1466.

(4)- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص72، 73.

(5)- سورة نوح، الآية:15، 16.

(6)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م4، ص2970، 2971.

وقد أدرج محمد بيومي مهران في كتابه (دراسات تاريخية من القرآن الكريم) أن دعوة نوح عليه السلام مؤسسة على ثلاثة أركان وهي ترك عبادة الأصنام وعبادة الله وحده لا شريك له، والتي تلّخصت في قوله "أن اعبدوا الله"، بالإضافة إلى تقوى الله واجتناب المعاصي والذنوب، والتي جاءت في كلمة "واتقوه"، وكذا إطاعة أولي الأمر فيهم وهو نوح عليه السلام وجاءت في كلمة "وأطيعون"، ويضيف بأن الدعوة السماوية مطوية في ثلاث كلمات هي الإيمان والتقوى والطاعة؛ فبالإيمان ينتظم أمر عقائد الأمة وتسلم من الخرافات، وبالتقوى ينتظم أمر أخلاقها وآدابها فتسلم من السقوط والفساد، وبالطاعة ينتظم أمر اتحاد كلمتها وعلو شأنها فتسلم من الانحلال والضياع[1].

وقد استمر نوح عليه السلام في مجادلة قومه ودعوتهم بالحسنى، وكان في كل مرة يرجوا أن يخرج من أصلابهم من يستجيب لدعوته ويؤمن بالله، ولكن على الرغم من طول مدة دعوة نوح عليه السلام لقومه، لم يتبعه إلا القليل[2] لقوله تعالى عن قومه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[3]، أي عدد قليل من قوم نوح عليه السلام فقط من يؤمن بدعوته على الرغم من طول المدة والمقام بينهم وصلت إلى ألف سنة إلا خمسون عاماً[4]، بقي العدد القليل من المؤمنين بدعوة نوح عليه السلام مبهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فلم يحدِّد عددهم وأسماءهم[5].

ب. موقف قومه من الدعوة:

لم ينجح نوح عليه السلام في أساليبه مع قومه فقد استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان، فبقدر ما كان له من صبر على رفض قومه كان لهؤلاء الإصرار في الابتعاد عن

(1)- محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص15، 16.

(2)- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص150.

(3)- سورة هود، الآية: 40.

(4)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م2، ص1467.

(5)- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص179، 180.

دعوته لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾[1]، أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فرّوا منه وحادوا عنه[2]، بل ونصّبوا له العداوة في كل وقت وتوّعدوه ومن آمن معه بالرجم والإخراج، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم[3]، لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾[4].

رفض قوم نوح عليه السلام دعوته وصدّوا عنها واستنقصوا من شأنه، ضناً منهم أن النبي يكون أعلى مرتبة من البشر، على حد قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[5]، وهناك من يفسّر ذلك أن البشر كانوا يظنون أن الأنبياء يأتون على هيئة ملائكية، ويستدل في ذلك بقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾[6]، بمعنى أنه لو كان ملك لآمن به قومه، والاختلاف كان في الصفة البشرية التي كان له أن يتميّز بها عنهم ويعلن أنه نبي، ولو جاء بملء الأرض أدلة وآيات لما آمنوا به، وبقي من آمن من قومه إلا قليل كما أنبأنا الله سبحانه وتعالى[7].

---

(1)- سورة نوح، الآية: 5، 6.

(2)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م4، ص2970.

(3)- ابن كثير، (البداية)، المصدر السابق، ص164، 165.

(4)- سورة الشعراء، الآية: 116.

(5)- سورة المؤمنون، الآية: 23- 25.

(6)- سورة هود، الآية: 31.

(7)- عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص133، 134.

ويذكر عبد الحليم محمود أن ضعفاء القوم من الأتباع الذين ليسوا من أصحاب الثروات الطائلة والجاه العريض والنفوذ الواسع، ويعلّل الظاهرة بأن أشراف الناس لهم مصالح وأغراض شخصية تحول بينهم وبين أتباع الحق، فمكانتهم وثروتهم تتيح لهم الجري وراء الشهوات في إسراف، والدين لا يبيح من ذلك إلا الحلال الطيب، ومكانتهم تتيح لهم التعالي، واستعباد الضعفاء، واستغلال النفوذ، وكذلك هناك شيء آخر له وزنه نجده في محيط الأثرياء، ولا يكاد يوجد عند غيرهم، وهو الكبر الذي يمنعهم من اتباع شخص من بينهم يرون أن لا ميزة له عليهم، ويصبحون تابعين بعد ما كانوا متبوعين، أما الضعفاء فقد خلصت نفوسهم من ذلك فكانت مهيأة للاستجابة في سهولة ويسر[1].

وتمادى قوم نوح عليه السلام في السخرية، والتطاول على نبي الله وأتباعه، واتهموه بالسفه، والظلال لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]، كما اتهموه بالجنون فقد قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾[3]، وأنهم ازدجروه ومنعوه عن الدعوة[4].

ويذكر القرآن الكريم أن قوم نوح عليه السلام قد خيَّروه بينهم وبين اتباعه من الضعفاء، ووصفوهم بأرذال القوم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾[5]، أي أن قومه رفضوا أن يتساوى في ذلك بهؤلاء الأرذال الذين اتبعوه وصدَّقوه[6]، فرَّد على طلبهم المتعالي بالرفض كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[7].

---

(1)- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص74، 75.

(2)- سورة الاعراف، الآية: 60.

(3)- سورة القمر، الآية: 9.

(4)- محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي (ت1296هـ) ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص223.

(5)- سورة الشعراء، الآية: 111.

(6)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م3، ص2113.

(7)- سورة هود، الآية: 29.

ويذكر ابن إسحاق أن قوم نوح عليه السلام كانوا يجتمعون عليه ويضربونه ضرباً مبرحاً، ويخنقونه حتى يُغشى عليه ثم يلفونه في حصير، ويرمون به في الطريق يظنون أنه مات فيعيد الله سبحانه وتعالى إليه قوته ويرجع إلى دعوتهم إلى الله فيفعلون به مثل ذلك، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[1].

وقوم نوح عليه السلام ظلوا على ظلالهم ورفضهم لدعوة نبيهم إلى أن أخذهم الطوفان، ويروي الرسول ﷺ حديثاً عن ظلال قوم نوح عليه السلام وإنكارهم لدعوته حتى يوم القيامة وفق الحديث الذي رواه أبو يعلى، قال: حدثنا ابو خثيمة، قال: حدثنا جرير، عن الاعمش، عن ابي صالح، عن ابي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: "يدعى قوم نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم يا رب، فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته". قال ﷺ: فيشهدون أنه قد بلّغ ويكون الرسول عليهم شهيدا، فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[2]، والوسط: العدل[3].

كما أن الله سبحانه وتعالى قد أنبأ نبيه الكريم بأن قومه لن يهتدوا إلا من سبق، واهتدى فلا يحزن من أعمالهم، وذلك من فضل الله على نبيه كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[4]، أي أن الآية تؤكّد أنه لا

(1)- ابن اسحاق، المصدر السابق، ص77.

(2)- سورة البقرة، الآية: 143.

(3)- ابن بلبان الفارسي، المصدر السابق، ص397. (رقم الحديث6477) جاء في خبر بأن المصطفى وامته يكونون شهداء على سائر الامم في القيامة.

(4)- سورة هود، الآية: 36.

يوجد غير من آمن بنوح عليه السلام من قومه سوف يؤمن فقد ختم الله المسألة، وأمره أن لا يبتأس، والابتئاس هو الحزن المحبط، وهم قد كفروا، وليس بعد الكفر ذنب[1].

مما سبق حول دعوة نوح عليه السلام وردّ فعل قومه من الدعوة يتبيّن أن القرآن الكريم قد صوّر المواجهة التي كانت بين نوح عليه السلام وقومه، وكيف طلبوا إليه طرد المستضعفين من الذين آمنوا به، فأبى عليهم، وذكر كيف يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه فدعا عليهم بالهلاك، وقد ذكر الله شيئا من فضل نوح عليه السلام وما حباه الله به[2].

ج. يأس نوح عليه السلام من قومه:

لما يأس نوح عليه السلام من قومه دون استجابة لدعوته كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا** ﴾[3] أوحى الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام أنه لن يؤمن به إلا من آمن في قوله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[4]، وطلب عليه السلام النصر من الله ﷻ ودعا على قومه الكفار في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[5]، أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً اي واحداً من سكان الدار، فاستجاب له الله وأهلك جميع من على الارض من الكافرين وأنه إذا أبقى أحداً منهم أضلُّوا عباد الله الذين يخلقون فيما بعد، ويقصد بالفاجر

(1)- محمد متولي الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم المعروف بـ**تفسير الشعراوي**، م10، دار أخبار اليوم، مصر، 1991، ص6458، 6459.

(2)- عمر سليمان الاشقر، **قصص التوراة والانجيل** في ضوء القرآن والسنة، (د.ن)، الأردن، 2010، ص54.

(3)- سورة نوح، الآية: 21، 22.

(4)- سورة هود، الآية: 36.

(5)- سورة نوح، الآية: 26، 27.

في الاعمال كافر القلب[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾[2]، وبذلك نجَّى الله نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الفلك المملوء بالحيوانات، كما يظهر من عبارة الفلك المشحون، أما قومه فقد اجتمعت عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم، ودعوة نبيهم عليهم، وكان العذاب آت لا محالة.

2. صنع الفلك:

أورد القرآن الكريم بعض التفاصيل المتعلقة بالسفينة، وكيفية صناعتها وأوصافها، وحمولتها بعدما تظهر علامة حدوث عذاب الله سبحانه وتعالى، وهلاك الكافرين، على الرغم من أن هذه التفاصيل جاءت في الحقيقة مقتضبة إذا ما قارناها بما ورد في التوراة من أخبار، وفي ما يلي كل ما يتعلق بالفلك سواء ورد صراحة أو إيحاءً علّقت عنه كتب التفسير:

أ. أمر الله بصنع الفلك:

أمر الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام بصنع الفلك لتكون أداة نجاة له ومن معه من المؤمنين من الطوفان، فأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام بذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[3]، وقد ذهب المفسرون إلى أن الفلك هو السفينة[4].

ويقول الشعراوي في تفسيره لمعنى "أصنع الفلك بأعيننا ووحينا": «أن الله سبحانه وتعالى سيوفّقه إلى صناعتها، ويهديه إلى ما يجب أن يكون، فنوح عليه السلام لم يكن نجاراً ليعلم كيفية

(1)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م4، ص2973.

(2)- سورة الشعراء، الآية: 117 – 119.

(3)- سورة المؤمنون، الآية: 27.

(4)- الطبري، (تفسير)، المصدر السابق، ج17، ص35.

صناعتها»[1]، وفي المقابل كان رد فعل قوم نوح عليه السلام السخرية منه، لأنهم لم يعلموا ما يصنع ولما يصنعه، وهناك من يرى بأنهم كانوا يضحكون عليه لأنه يصنع فلكاً يحمله الماء في بلدة ليس فيها بحر[2]، كما أنهم استهزئوا بنبي نجار يصنع فلكاً للنجاة من عذاب استبعدوا وقوعه، وكان نوح عليه السلام بالمقابل يسخر منهم، ومن غفلتهم عن الحق، وبلادتهم عن أخذ الحيطة لأنفسهم باتباعه بإحسان، وتنجية أنفسهم، وصار يهدّدهم بالعذاب[3]، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾[4]، أي أن قومه كانوا يسخرون منه ويهزؤون منه ويقولون أتحوّل إلى نجار بعد النبوة، ويصنع السفينة في البر، ونوح عليه السلام يجيبهم أنه وأتباعه سيهزؤون منهم في الآخرة[5].

ب. وصف الفلك:

استعان العديد من علماء التفسير بالإسرائيليات في وصفهم للسفينة وأبعادها، وهي تتشابه إلى حد كبير مع ما جاء في التوراة في وصف أبعادها كونها استرسلت في وصف السفينة، وأدرجت الكثير من التفصيلات التي لم يهتم القرآن الكريم بذكرها، لأن معرفتها لا يغير من الأمر، والهدف منها كان العظة لا شيء آخر.

ومن إشارات وصف السفينة في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ** ﴾[6]، وجاء في (عرائس المجالس) أن الدسر مسامير الحديد[7]، ويقول الثعالبي: «أن ذات ألواح هي السفينة والدسر المسامير، مفردها دسار، وهناك من رأى بأنها أضلاع السفينة، وجاء

(1)- محمد متولي الشعراوي، المرجع السابق، م16، ص 10013.

(2)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص45.

(3)- عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص50.

(4)- سورة هود، الآية: 38.

(5)- الطبري، (تفسير)، المصدر السابق، ج12، ص393.

(6)- سورة القمر، الآية: 13.

(7)- الثعلبي، المصدر السابق، ص56.

أن الدسار ما تشد به السفينة»[1]، ويفسِّر الشعراوي الدسر بالحبال التي تضم بها ألواح الخشب بعضها إلى بعض بإحكام شريطة أن تكون جافة، وإذا لامست المياه زاد حجمها وسدّ المسام بين الألواح فلا يدخل الماء[2]، (أنظر الملحق رقم 11 ص295).

وجاء أيضاً في وصف السفينة بـ"الجارية"، من فعل جرى أي مرّ سريعاً دون توقف كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[3]، وأن مسيرها كان بإذن من الله ﷻ، أي أنه وحده يعلم وجهتها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[4]، بمعنى بمرأى من الله وحفظه وذلك أبلغ لأن العين هنا تستعمل آلة لذلك، جزاءً على ما كفروا به لا على إيمانه وشكره فما جوزي به كان جزاء صبره على كفرهم[5]، وحسب ابن كثير كان ذلك جزاءً لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام[6].

وقال تعالى أيضا في وصفه للسفينة: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ ﴾[7]، دلالة لهم على قدرة الله تعالى في تسخير البحر ليحمل السفن، وتدل كلمة الفلك المشحون على السفينة المملوءة بالأمتعة والحيوانات، المشحون أي الموقر، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الفلك المثقل بحمولته كان من شأنه أن يغوص في الماء ويغرق، لولا سنة الله التي تقتضي أن لا يغوص من السفينة إلا ما يكفي لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة وحمولتها، فإذا زيدت الحمولة غاص من السفينة جزء جديد، وإذا انتقصت نقص الغاطس منها، ولذلك تقوم هندسة السفن بوضع أبعاد للسفينة لتحقق الغرض منها، ولولا حكمة الله في طفو الأجسام ما كان هناك للسفن هندسة ولا

---

(1)- عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف ابي زيد الثعالبي (ت875 هـ)، **تفسير الثعالبي** المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض وآخرون، ج5، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ص338.

(2)- محمد متولي الشعراوي، المرجع السابق، ج16، ص10014.

(3)- سورة الحاقة، الآية: 11.

(4)- سورة القمر، الآية: 14.

(5)- محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي (ت604 هـ)، **تفسير الفخر الرازي** المشتهر بالتفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج29، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981، ص40.

(6)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م4، ص2758.

(7)- سورة يس، الآية: 41.

صناعة، وذلك اكبر دليل على ان نوح عليه السلام في تلك الفترة لم يكن له هندسة تلك السفينة لولا أن أوحى بها لنبيه وكان منه ما كان، وظلت آية للعالمين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴿١٥﴾ ﴾[1].

ج. حمولة الفلك:

أمر الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام -بعد الانتهاء من صنع السفينة- أن يحمل فيها من كل الحيوانات اثنين (ذكر وانثى) وأهله الذين آمنوا بدعوته إلا من سبق عليهم القول، لقوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴿٤٠﴾ ﴾[2]، أي أن نوح عليه السلام بمجرد رؤيته لعلامة الطوفان يتوجب عليه أن يحمل معه في الفلك أهله المؤمنين به ويستثني في قوله "من سبق عليه القول"، ويقصد بها الذي اختار الكفر وأصرّ عليه وحق عليه أمر الله وسيقع عليه العذاب ويقصد في ذلك زوجته وابنه (يام) اللذين كانا من المغرقين[3].

غير أن ركاب السفينة أثار اختلاف بين جموع العلماء والمفسرين، فيقول أبي حفص الدمشقي الحنبلي: «إن اختلاف قراءة "من كل زوجين اثنين" يجعل من معناها احتمالين: الاحتمال الأول ورد عن قراءة حفص بتنوين "كلٍ" ومعناها أنه من كل حيوان أو من كل صنف، و"زوجين" مفعول به و"اثنين" نعت على التأكيد، أما الاحتمال الثاني فهو قراءة العامة بإضافة "كل" لـ"الزوجين" وقالوا أنه مفعول "احمل" "اثنين" وقيل ان "من" زائدة و"اثنين" نعت لـ"زوجين" على التأكيد، وقيل قوله "زوجين" بمعنى العموم أي من كل ما له ازدواج»[4]، وهناك من يرى بأن بالقراءة الثانية لـ"كل" يقصد بها الكل المتوفر في بلاد وأرض نوح عليه السلام فقط، وهذا يؤدي إلى التأكيد على أن نوح عليه السلام حمل معه

(1)- سورة العنكبوت، الآية: 15.

(2)- سورة هود، الآية: 40.

(3)- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص69.

(4)- أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تح: أحمد عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص486.

زوجين من كل الحيوانات التي على أرضه، وبالتالي الله سبحانه وتعالى لم يغرق العالم كله في الطوفان، بل أغرق قوم نوح عليه السلام الكفار[1]، ويضيف الشيرازي الشافعي أن قوله "اثنين" تأكيد ومبالغة[2].

ويرى العلماء المعاصرون أن سفينة نوح عليه السلام لابد وأن تكون ذات حجم هائل، حيث حمل فيها من كل زوجين من الحيوانات اثنين، وبالرغم من كل التساؤلات حول حجم السفينة والعدد الهائل من الأنواع الذي حملته، ومواجهتها لعتو الأمواج بما فيها من حمولة لمعجزة من المولى عز وجل وما فعله نوح عليه السلام في بنائها كان وحي من الله، ومسراها ومرساها كان برعاية من الله، كيف لا وهو الذي يقول "كن فيكون"، فلا يقاس ما حدث بفعل رباني بمقاييس العقل والعلم لأنه يمثل إعجاز رباني لا دخل للبشر فيه[3].

3. فوران التنور:

كان فوران الماء من التنور العهد الذي بين الله عز وجل ونوح عليه السلام للإذن له بحمل أهله ممن آمنوا به والحيوانات المتاحة له الذَّكَرَ منها والأنثى في الفلك وذلك تحذير له بقروب الطوفان، وجاء ذكر التنور في موضعين من القرآن الكريم في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ** ﴾[4]، وفي سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿ **فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧** ﴾[5]، وسأحاول أن أوضّح معنى الكلمة لغة واصطلاحاً، وما تضيفه من إعجاز قرآني تفرّد القرآن الكريم بإدراجه، ومن ثم أهمية فوران التنور بالنسبة لنوح عليه السلام خاصة والطوفان بصفة عامة.

---

(1)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص139.

(2)- الشيرازي الشافعي، المصدر السابق، ج2، ص176، 177.

(3)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص ص77- 79.

(4)- سورة هود، الآية: 40.

(5)- سورة المؤمنون، الآية: 27.

أ.التنور لغة:

يقول ابن منظور في (لسان العرب): «أن التنور الذي يخبز فيه في جميع اللغات، ويضيف أن تنور "تفعول" من النار، وهو فارسي معرّب يعني وجه الأرض، ويضيف إلى أن التنور اسم أعجمي عرّبته العرب فصار عربيا على بناء فعول، والدليل على ذلك أصل بنائه "تنر" ولا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل»[1].

يقول بطرس البستاني: «أن التنور هو كانون يخبز فيه ويصفه بتجويفة أسطوانية تجعل في الأرض يخبز فيها وفي العبرانية والسريانية مركب من (تن) أي الدخان، ومن (نور) أي نار، وفي العربية مركب من النور أو النار، وأن أصله "تنوور" على وزن "تفعول" فهمزت الواو لاستثقال الضمة عليها، ثم حذفت الهمزة وعوضت بنون أخرى فصار "تنّور" بتشديد النون، وقيل هو وجه الأرض، وكل مفجر ماء»[2].

ب. التنور اصطلاحا:

يذكر القرطبي في تفسيره سبع معانٍ لمصطلح التنور منها أنه الكانون الذي يخبز فيه، ومنها أنه وجه الأرض، ومنها أنه موضع اجتماع الماء في السفينة، وأنه نور الصبح، وطلوع الفجر، وأنه مسجد بالكوفة، وأنه عين بالجزيرة هي "عين الوردة" كانت تنور آدم، وأنه اعالي الأرض، وأضاف أن كل هذه الآراء لا تشكل اختلافاً فيما بينها[3]، مع أن البعض منها ينفي الآخر، فإذا كان التنور مسجد بالكوفة فكيف له أن يكون عين الوردة بالجزيرة من جهة، وكيف له أن يكون أعالي الأرض أي الأماكن المرتفعة من جهة، ونور الصبح ووجه الأرض رغم انخفاضه من جهة أخرى، وكيف لهذا الحدث الكبير أن يمهد الله سبحانه تعالى له بشيء معنوي دون علامة ظاهرة للعيان؛ فنور الصبح وأعالي الأرض ووجه الأرض ليست أحداثاً مميزة لتلاحظ فتنذر ببدء الطوفان، ولا تتماشى وعظمة الحدث، وما سيحل بالقوم الكافرين.

(1)- ابن منظور، المرجع السابق، م1، ص450.

(2)- بطرس البستاني، المرجع السابق، ص75.

(3)- القرطبي، المصدر السابق، ج11، ص ص114-116.

وكل ما يسبق يشير الى فكرة مختصرها أن التنور له علاقة بالأرض، وبالتالي يرجّح فكرة أن التنور حفرة في الأرض، خاصة وأنه لم يأتي شرح صريح في القرآن الكريم عن ذلك، ولم يرد نص للنبي ﷺ يقطع بعلم او بمعنى ذلك، فقد وجب الرجوع إلى عربية القرآن الكريم، فيكون معنى تنور حفرة في الأرض يوقد فيها النار، غير أن الآية تشير إلى أن الماء لم يخرج من التنانير الموجودة فقط زمان نوح عليه السلام، وإنما تحول كل سطح الأرض إلى ينابيع للماء المندفع من باطن الأرض كما سيأتي في وصف الطوفان.

ويقول الإمام الرازي: «فالأكثرون يرون أنه هو التنور المعروف، وروي أنه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب»[1].

ج. الإعجاز القرآني في الفوران:

يقول منصور عبد الحكيم في تعليقه عن فوران التنور؛ «أن التنور حفرة في الأرض تصنع من أجل إيقاد النار وتحضير الطعام وهذه الحفرة تسّرب إليها الماء من جوف الأرض وبدأ الفوران كما نرى اليوم في الينابيع الحارة التي نرى الماء يغلي منها، وأن انفجار الينابيع يشكل البحيرات، ويخرج الماء من الأرض مضغوطاً وقد يصل ارتفاعه إلى 100م، فإن رؤية الماء يغلي في الأرض دليل على قروب انفجار يحدث بشكل مفاجئ»[2].

ويظهر الإعجاز العلمي في الربط بين ثورة البركان، وإغراق قوم نوح عليه السلام بمياه الطوفان، في الوقت الذي أثبت علميا أن اكثر من 70٪ من مكونات الغازات والأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين هو بخار ماء الذي سرعان ما يتكاثف في نطاق المناخ ويعود إلى الأرض مطراً، وفي علم المياه هناك حقيقة تقول بأن الماء تحت الأرض مضغوط بنسبة أو بأخرى، ولكنه محاط بطبقات من الصخور فإذا ما زاد ضغط الماء تحت الأرض أدى إلى اندفاعه بشكل مفاجئ باتجاه السطح بما يشبه الانفجار[3].

(1)- فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ج23، ص95.

(2)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص85.

(3)- نفسه، ص85.

4. وصف الطوفان:

ورد في القرآن الكريم وصف أحداث الطوفان من بدايته الى نهايته المتمثلة في انحصار الماء، وقد أبلغ الله ﷻ في الوصف أيمَّا بلاغة، واستعمل مصطلحات دقيقة لتصوير الأحداث، فكانت البداية بوصف مياه الطوفان من مصادرها ومسرى السفينة بين الأمواج، إلى غاية انحصار الماء واستقرار الفلك وفق إرادة الله واحتساب المدة التي دامها الطوفان:

أ. مياه الطوفان:

قال تعالى: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾[1]، تصف الآية الكريمة بداية الطوفان، وتذكر أن الله ﷻ قد وصف السماء بالأبواب، وليتصور العقل البشري الماء المتدفق ليس من باب واحد فحسب بل من أبواب، وأضاف ليؤكّد على غزارة المطر فقال "بماء منهمر" بمعنى ماء غزير يحدث سيولاً جارفة، وانتقل إلى الأرض ليقول "وفجرنا الأرض عيوناً" لم يقل فجرنا في الأرض عيوناً، ففي ذلك دلالة على أن كل العيون التي كانت في زمان نوح ﷺ في منطقته انفجرت ماءً، وإنما كلامه جاء دلالة على أن كل الأرض أصبحت عيوناً بمعنى أن الماء خرج من مكانه ومن غير مكانه[2]، والتقى على قوم نوح ﷺ الكافرين ماء السماء وماء الأرض.

وقد جاء في بعض المصادر الإسلامية عن جماعة من المفسرين أن الماء قد ارتفع على أعلى جبل في المنطقة بـ15 ذراعاً وقيل 80 ذراعاً[3]، وهذا كما أسلفنا عن أهل الكتاب، غير أن القرآن الكريم اكتفى بالوصف الذي لا يعتمد الإحصاء ويبقى ذلك عند الله، غير أن الإشارات كانت كثيرة عن غمر الماء للجبال كما ورد في قصة نوح ﷺ مع ابنه الذي ظن أن الجبل العالي سيحميه من الماء؛ وترد القصة بالتفصيل في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ

(1)- سورة القمر، الآية: 11، 12.

(2)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص75، 76.

(3)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص93.

﴿ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[1]، تصوِّر الآية الأولى عظمة الطوفان وضخامته، هذه الضخامة التي كبرت وضاعفت الأمواج العاتية المتلاطمة، فأصبحت هذه الأمواج كالجبال في ارتفاعها وامتدادها[2]، وجاء في الآية أن نوح عليه السلام لما دعا ابنه لركوب الفلك خوفاً عليه من الغرق، أجابه ابنه أنه ستحصّن بجبل يعصمه من الماء، وأنه أجابه أن لا عاصماً اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه[3].

ب. مسرى السفينة:

اختلفت التأويلات في ما يخص مسرى السفينة في الوقت الذي لم يرد نص صريح في ما يخص ذلك من القرآن الكريم، وذلك يرجّح أن الأقوال التي وردت في المصادر الاسلامية تعتمد بالدرجة الأولى على ما ورد في الإسرائيليات، ولذلك سأحاول أن أتبين ذلك من آيات القرآن الكريم، وسأستند لنصوص التفسير لفهم آيات القرآن الكريم بالتعامل مع آياته والالتزام بما قاله ﷻ بدون إضافات.

صوَّر الله ﷻ سرعة السفينة بين الأمواج المتقاذفة التي جعلت السفينة التي بُنيت بهدف الطفو[4] أن تكون جارية، وفي ذلك عظمة من الله ﷻ، وتأكيداً منه مرة أخرى على هول الطوفان، كما جاء في قوله: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾[5]، ويضيف الله ﷻ في وصف سيْر السفينة أنه سبحانه كان يرعى السفينة في سيْرها برحمة منه وتخطيط كما جاء على لسانه سبحانه وتعالى: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[6]، ويقول في ذلك الثعالبي في تفسيره أن: «السفينة كانت تجري بحفظ المولى عز وجل وتحت نظره سبحانه»[7]، ويؤكّد على ذلك في موضع آخر في قوله

(1)- سورة هود، الآية: 42، 43.

(2)- الشنقيطي، المصدر السابق، ص34.

(3)- الطبري، (تفسير)، المصدر السابق، ج12، ص ص416-418.

(4)- جان كوربون وآخرون، المرجع السابق، ص132.

(5)- سورة الحاقة، الآية: 11.

(6)- سورة القمر، الآية: 14.

(7)- الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص338.

تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1] بمعنى بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله تكون خاتمة سيرها ومن ثم رسوها"[2]، ويقول الزمخشري: «ان الآية جاءت بمعنى اركبوا فيها باسم الله وقت جريها ووقت ارساءها، ويروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال باسم الله فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال باسم الله فرست» [3].

وربما كان التكرار الذي ورد في الآيتين السابقتين من سورتين مختلفتين فيما يخص عظمة السفينة، وسيرها، ومرساها تأكيداً للبشر لكي لا يكثروا الاستفتاء في ذلك، وكأن الله يذكر عباده بأنه هو من يقول "كن فيكون"، ولا حاجة للإنسان ذو المعرفة المحدودة أن يبحث في دلائل قدرة الله لكي لا يصل إلى ما نراه اليوم من إلحاد، فقد كان ذلك على أمر قد قدّر منه فسبحان الله.

ويوصي الله ﷻ نبيه بشكر المولى سبحانه الذي سخّر لهم ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]، والحمد والشكر من صفات المؤمن الطائع لربه فيقول: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ ﴾[5]، وقد أمرنا الله ﷻ عباده عند ركوب السفن دائما الدعاء كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾[6]، أي مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وغير ذلك من الأجناس والأصناف، وأن الله سبحانه وتعالى سخّر

(1)- سورة هود، الآية: 41.

(2)- الشنقيطي، المصدر السابق، ص33.

(3)- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ)، **تفسير الكشاف** عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، ج12، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009، ص484.

(4)- سورة المؤمنون، الآية: 28.

(5)- سورة إبراهيم، الآية: 7.

(6)- سورة الزخرف، الآية: 12- 14.

السفن والأنعام ويسرها[1]، ويذكر الزمخشري أن الآية تقصد بمقرنين أي مطيقين وإن الركوب يقتضي ذكر الله بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من لن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله لأن الراكب معرّض للخطر[2].

ج. انحصار الماء:

جاءت نهاية الطوفان في القرآن الكريم بانحصار الماء كما أمر الله ﷻ السماء والأرض أن تفعل ففعلتا، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ **وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾** ﴾[3]، وقد اختلف علماء اللغة في وظيفة الواو المعطوفة في الآية السابقة؛ فهناك من يذهب إلى أنها تفيد الربط والترتيب مطلقاً سواءً العطف في المفردات والجمل، فالترتيب يقتضي الابتداء بفعل ما بدء بذكره في الخبر والأمر[4]، وقد أوجز المولى ﷻ في عبارات الآية المعطوفة على بعضها بواو النسق على الترتيب البليغ، فبدأ بأرض نوح عليه السلام أن "ابلعي ماءك" فهو أمر الله الذي لا رد فيه، ومن ثم أمر السماء أن أمسكي عن إرسال المطر بقوله "أقلعي" ثم أشار إلى نتيجة ذلك أن "غيض الماء" بمعنى انقطع الماء عن ينابيع الأرض وتوقف مطر السماء، وأضاف أن "قضي الأمر" بمعنى حدث الطوفان وهلك الكافرون، ونجا المؤمنون كما كان مقدراً وفق الوعد الإلهي[5].

وهناك جمع من علماء اللغة يرى بأن الواو لا تدل على الترتيب لا في الفعل كالفاء ولا في المنزلة كثم ولا في الأحوال كـ"حتى"، وإنما هي تفيد الجمع المطلق كالتثنية لا ترتيب فيها ولا معية وأه يعمها الجمع المطلق، وأنها كلها جامِعة لا مرتبِة[6]، وإذا أخذنا بهذا الرأي لما عرفنا أيُ المعطوفات في

(1)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، ج4، ص2580.

(2)- الزمخشري، المصدر السابق، ج25، ص986.

(3)- سورة هود، الآية: 44.

(4)- بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي الزركشي (ت794هـ)، **البحر المحيط** في أصول الفقه، ج2، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1992، ص255.

(5)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص76، 77.

(6)- الزركشي المصدر السابق، ص ص253-255.

الآية سابق للثاني، فهل كان أول أمر للأرض أن تبلع ماءها أم السماء أن تتوقف عن هطولها، أو كان الأمر كن فيكون لكل منهما في وقت واحد فكانت بذلك نهاية الطوفان، ويبقى الأهم أن الله ﷻ أرسل الطوفان بمياه متفجرة من تنانير الأرض وأمطار السماء الغزيرة التي فاقت احتمال الأنهار، وكانت نهايته بأن توقف المطر وغيض الماء، وعاد كل شيء إلى حاله بعدما هلك الكافرون من قوم نوح عليه السلام.

ويذكر بن كثير أن كلمة "وغيض الماء" جاءت بمعنى بدأ في النقصان، أما انقطاع الماء فكان بعدما قال سبحانه "وقضي الأمر"، وفرغت الأرض من الكفار، ولم يبقَ إلا ركاب السفينة التي استوت على الجودي[1]، وجاء قوله تعالى "بعداً للقوم الظالمين" أي نودي عليهم بلسان القدرة بعداً لهم من الرحمة والمغفرة[2]، وقال تعالى: ﴿ **وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[3]، ويذكر الزمخشري أن "نَصَرَ" مطاوعه انْتَصَرَ، وأن "انصرهم منه" تعني "جعلهم منتصرين منه"[4]، وكان الأمر كما قُدّر له أن يكون، وأغرق الله سبحانه وتعالى قوم نوح عليه السلام الذين كفروا بدعوته، ولم تأخذه بهم لا رأفة ولا شفقة، لأنهم تمادوا في كفرهم وتكذيبهم لنبيه، وما كان لهم أن يصلحوا لا هم ولا نسلهم من بعدهم، كما ورد في دعاء نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[5].

د.استقرار الفلك:

إذا كان القرآن الكريم قد سكت عن موضع انطلاق الفلك، فقد أورد صراحة موضع رسوّ السفينة أو استوائها كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ**

(1)- ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م2، ص1468.

(2)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص94.

(3)- سورة الأنبياء، الآية: 77.

(4)- الزمخشري، المصدر السابق، ج17، ص683.

(5)- سورة نوح، الآية: 27.

﴿ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، وكانت تلك الإشارة الوحيدة بلفظة دقيقة عن مكان رسو فلك نوح عليه السلام وهو "الجودي".

وتروي كتب التفسير أن الجبال كلها تطاولت لتستقر عليها السفينة، وتواضع الجودي فاستوت عليه[2]، ولما خرجوا من السفينة في ناحية من أرض الجزيرة ابتنوا قرية سموها سوق ثمانين[3]، وقال اللوساني: «مدينة الثمانين، ويضيف أنها على الأغلب بالموصل»[4].

والملاحظ أن هذه ليست اختلافات بل مقاربات حول استواء السفينة فالذي يؤكّد على استواء السفينة على جبل الجودي، فهو يقع في منطقة متاخمة لحدود وادي الرافدين، ومتاخمة لبلاد الشام، والله سبحانه وتعالى جعل بلاد الشام بلداً مباركاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[5]، وبالتالي كان جبل "الجودي" هو المكان المبارك الذي دعا في طلبه "نوح" عليه السلام.

هـ. مدة الطوفان:

لم يذكر القرآن الكريم أية معلومة عن المدة التي دامها الطوفان، وإذا ما قارناها بالرواية التوراتية لوجدنا الكثير من التفصيلات التي سكت عنها القرآن الكريم، وفي ذلك أكيد حكمة من المولى عز وجل، وهي أن ما ورد في القرآن الكريم كاف لتحقيق الغاية من القصص القرآني، أما المعطيات التي أوردتها التوراة مثلا وتدخَّل فيها الابداع الانساني، فما عادت تمت للقداسة بصلة نظرا لكثرة التناقضات التي حوتها.

---

(1)- سورة هود، الآية: 44.

(2)- البغدادي، المصدر السابق، ص46، 47. أنظر كذلك: (الثعلبي، المصدر السابق، ص59، 60)، و(الخازن، المصدر السابق، ج2، ص 386).

(3)- أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي (ت454هـ)، **الأنباء بأبناء الأنبياء** تواريخ الخلفاء وولايات الأمراء، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ص55، 56.

(4)- اللوساني، المصدر السابق، ص37.

(5)- سورة الإسراء، الآية: 1.

فقد أورد المفسرون بعض الروايات فيما يخص مدة الطوفان؛ فالثعلبي قال: «أن المدة بين إرسال الماء وحمل الماء الفلك كانت 40 يوماً وليلة، وأضاف أن نوح عليه السلام ومن معه أقاموا في الفلك ستة أشهر، فقد ركبوا في العاشر من رجب وخرجوا منها في العاشر من محرم وسمي ذلك اليوم بعاشوراء فصامه نوح عليه السلام ومن معه لله لوصولهم سالمين»[1]، وقال بن كثير: «أن الركاب بقوا في الفلك مدة 150 يوماً، وأن الله سبحانه وتعالى وجَّه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت 140 يوم»[2]، وقال ابن اسحاق: «أنه كان بين دخول نوح عليه السلام الفلك وخروجه سنة كاملة وعشرة أيام»[3].

5. ما بعد الطوفان:

انتهى الطوفان بانحصار الماء واستقرار الفلك، وتجدر الإشارة إلى ما حلّ بنوح عليه السلام وركاب السفينة والأرض بعد الطوفان، وسأحاول فيما يلي التطرق للأحداث التي تلت استقرار الفلك بداية باختيار المولى عز وجل للمكان المبارك الذي هبط فيه نوح عليه السلام ومن معه، ومن ثم التطرق لهؤلاء الناجين بكثير من التمحيص والتمعن في آيات القرآن الكريم، وصولاً لوفاة نوح عليه السلام:

أ. المنزل المبارك:

تحققت إرادة الله في إهلاك من أعرض وكفر بدعوة نبيه نوح عليه السلام، وكان جزاؤهم الغرق أجمعين، وانتهى الطوفان وتراجعت المياه، وجفت الأرض بأمر من المولى عز وجل، واستقرت السفينة كما أُريد لها على جبل الجودي كما سلف الذكر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٨٢** ﴾[4].

(1)- الثعلبي، المصدر السابق، ص58، 59.

(2)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، ص99.

(3)- محمد بن اسحاق، المصدر السابق، ص80.

(4)- سورة الصافات، الآية:79- 82.

وتقرّر أن ينجو نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾[1]، والكرب هو الطوفان العظيم[2]، ويذكر الشنقيطي أنه أقصى الغم والأخذ بالنفس[3]، وشاء لهم أن ينزلوا منزلاً مباركاً حامدين وشاكرين له، وهو من أمرهم بحمد الله وشكره في سير السفينة ومرساها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[4].

وقد تقبّل الله ﷻ دعوة نوح عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[5]، وأنزله ومن معه منزلاً مباركاً كما ورد في موضع آخر قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[6]، فقد أنزلهم الله ﷻ مكان يمن، وبركات، وأمان قُدّر له في ذلك المكان أن يستأنف نوح عليه السلام مع الناجين من الطوفان الحياة على وجه الأرض من جديد مع ما حملوه من حيوانات، وذلك وفق ما جاء في الآية: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[7]، ويقول الثعالبي أن الله سبحانه وتعالى خاطب نوح عليه السلام بأن يهبط من الفلك في سلامة وأمن، لا يخاف شيء مع الخير والنمو في كل الجهات، والذي يعم جميع المؤمنين إلى يوم القيامة[8]، فكانت تلك استجابة المولى ﷻ لدعوة نبيّه الذي صبر في دعوة قومه 950 سنة، فكان جزاءه المنزل المبارك

(1)- سورة الصافات، الآية:75، 76.

(2)- الزمخشري، المصدر السابق، ج17، ص683.

(3)- الشنقيطي، المصدر السابق، ج4، ص745.

(4)- سورة هود، الآية:41.

(5)- سورة الشعراء، الآية: 118.

(6)- سورة المؤمنون، الآية: 29.

(7)- سورة هود، الآية: 48.

(8)- الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص287.

والخير والأمن والبركات عليه وعلى أمم من بعده، وفي الآية إشارة لسنة الله ﷻ في خلقه، بأن يبعث فيهم نبيين كلما حادوا عن الطريق فيمتعهم ثم يبعث على الظالمين منهم عذاب أليم.

ب. الناجون من الطوفان:

يقصد القرآن الكريم في حديثه عن الناجين من الطوفان أولائك الذين آمنوا بدعوة نوح عليه السلام وركبوا السفينة معه، ويقابلهم في ذلك الذين أُغرقوا بسبب كفرهم وعنادهم، كما عبّر القرآن الكريم أن المغرَقون هم الآثمون من قوم نوح عليه السلام، وليس كل أهل الأرض، والناجين في منطقة الحدث هم نوح عليه السلام ومن معه[1].

وتجدر الإشارة إلى التتابع أو الترادف في المتناقضات فالناجون من الفلك يتبعون في كل مرة بالحديث على المغرَقين مثل قوله تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾** ﴾[2]، وجاء قوله تعالى في آيتين مترادفتين: ﴿ **فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾** ﴾[3]، وجاء كذلك في نفس السياق في قوله تعالى: ﴿ **وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾** ﴾[4]، وفي موضع آخر سبق حديثه عن المغرقين من قوم نوح عليه السلام ومن ثم تطرّق لثواب المؤمنين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾** ﴾[5].

---

(1)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص51، 52.

(2)- سورة الاعراف، الآية: 64.

(3)- سورة الشعراء، الآية: 119.

(4)- سورة الأنبياء، الآية: 76، 77.

(5)- سورة العنكبوت، الآية: 14، 15.

وقد عبّر القرآن الكريم على الناجين من الطوفان بعدة ألفاظ مثل "أهلك" بصيغة المخاطب، مثل قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾[1]، كما أشار لهم بـ"أهله" بصيغة الغائب كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾[2]، وجاء في قوله و"أهلك" أي أهل بيتك وقرابتك عطف على زوجين، ويستثني "إلا من سبق عليه القول" كامرأته واعلة وابنه كنعان، و"من آمن" عطف على زوجين كما في و"أهلك"[3].

وأحيانا يعبّر عنهم بأصحاب السفينة كما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[4]، وأحياناً أخرى يشير إليهم في مخاطبته "بمن معك" أو بصيغة الغائب "من معه" كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[5].

وقد ذكر القرآن الكريم في موضع آخر أن من نجا في السفينة كان "أهل نوح عليه السلام ومن آمن" كما جاء في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[6]، وفي هذه الآية إشارة لعدد من آمن مع نوح عليه السلام بالقلة، ويذكر البعض أنهم كانوا ثمانية أنفس، أو سبعة أو عشرة، وهناك من رأى أن عددهم أكثر بكثير فجاء أن نوح عليه السلام حمل معه إثنان وسبعون إنسانا، وهناك من يذكر أنهم كانوا ثمانون إنساناً[7]، ويضيف الشافعي إلى أنهم بنو قرية بعد رسوّهم يقال لها الثمانون وهي

(1)- سورة الأنبياء، الآية: 76.

(2)- سورة الصافات، الآية: 76.

(3)- الشافعي، المصدر السابق، ص176، 177.

(4)- سورة العنكبوت، الآية: 15.

(5)- سورة يونس، الآية: 73.

(6)- سورة هود، الآية: 40.

(7)- الطبري، (تفسير الطبري)، المصدر السابق، ج12، ص ص 409- 413.

موجودة بناحية الموصل[1] وربما جاء هذا الرأي مصداقاً لفكرة أن يكون عددهم ثمانون، والأهم أنهم كانوا قليل، ولم يرد عدد لهم لا في القرآن الكريم، ولا على لسان نبيه الكريم.

ويذكر القرآن الكريم أن من نجا في السفينة جعلوا خلائف للأرض بعد أن أغرق الكافرين كما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

وتذكر كتب التفسير أن الله ﷻ قد أنصف الإنسانية في إرساله للطوفان، فهو لم يغرق طفل أو غير مكلف فقد أعقم بطون نساء قوم نوح عليه السلام قبل الطوفان بأربعين سنة، ليتساووا في ذنبهم وكفرهم، ولذلك قال وذريته هم الباقين لأن أولاده فقط من توالدوا بعد الطوفان[3]، لذلك وقع الاتفاق بين النسابين والمؤرخين أن ذرية "نوح" عليه السلام هم الذرية الباقية بعد الطوفان، فلم يتناسل من كان معه في السفينة ما عدا أولاده الثلاثة (سام أوسطهم وحام أصغرهم ويافث أكبرهم)، ويفصِّل في ذلك الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره وينسب أقوام ما بعد الطوفان لأبناء "نوح" عليه السلام فيقول: «أن "سام" أبو العرب وفارس والروم، بينما "حام" كان أبو السودان في حين كان "يافث" أبو الترك»[4]، ويضيف لهم الراوندي السقالبة ويأجوج ومأجوج والصين[5].

وتجدر الاشارة إلى أن رأياً آخر ورد فيما يخص الناجين من الطوفان، أن هناك من لم يؤمن ونجا من الطوفان، وإلا لما دعا نوح عليه السلام ابنه، وإنما لإشترط عليه الايمان أولا، ويستشهد أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]، إن لفظة "إلا من رحم"

(1)- الشيرازي الشافعي، المصدر السابق، ج2، ص 176، 177.

(2)- سورة يونس، الآية: 73.

(3)- ابن اسحاق، المصدر السابق، ص78.

(4)- الطبري، (تفسير الطبري)، المصدر السابق، ج23، ص66.

(5)- الراوندي، المرجع السابق، ص85.

(6)- سورة هود، الآية: 43.

أي هناك من ستنالهم رحمة الله ولن يغرقوا ما لم يكونوا من الذين ظلموا وممن سبق عليهم القول بالهلاك، وبناءً على ذلك هناك من عُصم من الهلاك برحمة من الله، وهم حتما ليسوا المؤمنين الذين مع نوح عليه السلام لأنهم معصومون من الهلاك سلفاً بسبب إيمانهم، بينما تلك الفئة فقد نجت برحمة من الله لا باستحقاق منها، ولو كان المقصود بـ"من رحم" هم المؤمنون لما قال نوح عليه السلام لابنه "اركب معنا"، بل لطلب منه أن يؤمن أولا ثم يدعوه للركوب معه[1].

ج. مسألة ابن نوح عليه السلام:

جاء في الفصل الأول أن نوح عليه السلام كان له ثلاثة أبناء نجوا من الطوفان وكانوا ممن حمل معه في الفلك، غير أن القرآن الكريم انفرد بذكر ابن رابع لنوح عليه السلام كان من المغرقين لأنه لم يؤمن بدعوة نوح عليه السلام، وقد ورد في المصادر الإسلامية أحياناً باسم "كنعان" وأحياناً باسم "يام"[2].

والقرآن الكريم يُظهر الخطاب الذي دار بين نوح عليه السلام بعد ركوب الفلك مع ابنه خارج الفلك، حيث دعاه لأن يركب الفلك، وألا يكون من الكافرين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ** ﴿٤٢﴾ ﴾[3].

وفي البحث عن سبب مناداة نوح عليه السلام لابنه وحثِّه على ركوب الفلك، وجدت العديد من التفسيرات منها من يرى أن نوح عليه السلام نادى ابنه، ولم يكن يعلم بأنه كافر أو خُفي عليه كفره كما جاء في تفسير الثعالبي[4] مع العلم أن الله سبحانه وتعالى عندما أمره ببناء الفلك وحمل معه الحيوانات ومن آمن به وأهله قد استثنى ممن آمن ابنه وزوجته، وذلك لأنهما كانا كافرين بدعوة نوح عليه السلام وبالتالي كان على علم بكفر ابنه كما في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ**

(1)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص88، 89.

(2)- ابن كثير، (قصص)، المصدر السابق، 93.

(3)- سورة هود، الآية: 42.

(4)- الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص284.

﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]، ولذلك كان خارج الفلك في حين تعاظم الماء ولم يركب من البداية مع نوح عليه السلام.

وهناك من يرى أن نوح عليه السلام كان يعلم بأن ابنه كافر، وقد خاطبه بألا يكون مع الكافرين وكان نهيا محضاً[2]، ولذلك ثلاث حجج: فإما أن نوح عليه السلام دفعه الحنان الأبوي لذلك -وذلك مستبعد لدى العديد من المفسرين ولكنه يبقى احتمال- وإما أنه دعاه مجدداً للركوب في إطار مواصلة الدعوة إلى الصراط المستقيم، وذلك استناداً لتركيز نوح عليه السلام على المعية كما جاء في تكرار "مع" و"معنا" مرتين في نفس الآية، وإما أنه ظنّ أن ابنه تفطن وآمن بدعوته فطلب منه الركوب، وذلك ما توحيه العبارة "وكان في معزل" أي أنه كان في معزل عن القوم الكافرين، أي أن نوح عليه السلام لم يحتجّ عن قضاء الله، وحال الموج بينهما قبل أن يعرف حقيقة إيمانه من كفره، فما كانت نهاية ابنه هل إيمان أم كفر؟[3].

ويتواصل خطاب نوح عليه السلام لابنه الذي يرفض ركوب الفلك، ويرد على نوح عليه السلام بأنه سيلجأ الى الجبل الذي سيمنع الماء عنه ظناً منه أن الماء لن يصل إليه، ولكن نوح عليه السلام كان يعلم أن الجبل لن يعصمه من الماء، وكان ذلك بأن غرق مع من غرق من الكافرين، وذلك ما تُظهره الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4].

(1)- سورة هود، الآية: 40.

(2)- الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص284.

(3)- صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص ص70-73.

(4)- سورة هود، الآية: 43.

وقد جاءت الآيات لتروي كيف احتجّ نوح عليه السلام على ابنه الذي لم يركب معه في الفلك في الوقت الذي كان أمر الله له بحمل أهله وابنه من أهله كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]، ويذكر محمد علي الصابوني أن نوح عليه السلام سأل ابنه عن الظاهر الذي عنده، وهو الإيمان، بينما الله سبحانه وتعالى أطلعه بنفاق ابنه فقال "هو ليس من أهلك" أي ليس من المؤمنين[2]، وأن المراد كان "من آمن من أهلك"، وبذلك يكون الاحتمال الثاني الذي أورده الشافعي سابقا أصح، وقوله تعالى أنه ليس من أهلك أي ليس على دينك، وإن كان ابنك بالولادة، وأضاف أنه عمل غير صالح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

ويضيف الله سبحانه وتعالى ويعلِّم نوح عليه السلام بألا يطلق أحكاما على ما ليس له به علم، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى قد أقرّ أن نوحاً عليه السلام لم يكن يعلم كفر ابنه، وإنما ظنّ أنه ممن آمن، ربما لأنه أظهر له ذلك فكان حكمه عن الظاهر، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبره بكفره كيف لا وهو يعلم ما تخفي النفوس كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[4].

(1)- سورة هود، الآية: 45.

(2)- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص83.

(3)- سورة هود، الآية: 46.

(4)- سورة البقرة، الآية: 77.

وتتواصل الأحداث باستغفار نوح عليه السلام لذنبه على محاجاة الله في ابنه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾[1]، وفي هذه الآية رجوع عن سؤال نوح عليه السلام لربه عن ابنه لأن الله سبحانه وتعالى وحده من يعرف ما تخفي الصدور، وإلا لكان أنجا ابنه من الهلاك فهو قادر على كل شيء.

د. وفاة نوح عليه السلام:

لم يرد في القرآن الكريم أي ذكر لوفاة نبي الله نوح عليه السلام، غير أننا يمكن أن نستدلَّ من فترة مكوثه في قومه، والتي وردت في سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥ ﴾[2] فإذا كانت دعوته تسعمائة وخمسون عاما فإن ذلك دليل على أن فترة حياته كانت طويلة جدا، مقارنة بمتوسط أعمار الأفراد في هذا الزمان.

ويمكن استنتاج محطات مهمة في حياة نبي الله نوح عليه السلام فقد كانت فترة حياته مقسّمة إلى: الفترة التي عاشها نوح عليه السلام قبل بعثه، وهي غائبة تماما في القرآن الكريم، وفترة ثانية تتمثل في المدة التي قضاها في دعوته لقومه إلى غاية حدوث الطوفان والتي بلغت 950 سنة، بالإضافة إلى المدة التي دامها الطوفان كذلك سكت الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه العزيز، وآخر فترة هي تلك التي عاشها نوح عليه السلام بعد نجاته من الطوفان، ونزوله من الفلك إلى غاية وفاته، وهي الأخرى غائبة في القرآن الكريم.

وقد ورد حديث للرسول ﷺ عن وصية نوح عليه السلام لأبنه عن عبد الله بن عمرو قال: كنا جلوساً عند رسول الله فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان، حتى قام على رأس النبي ، فقال: إن صاحبكم قد وضع كل فارس (أو قال: يريد أن يضع كل فارس)، ويرفع كل راعٍ فأخذ النبي بمجامع جبته فقال: " ألا أرى عليك لباس من لا يعقل". ثم قال: «إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين، وانهاك عن اثنتين، آمرك بـ(لا إله الا الله)، فإن السماوات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفة، ووضعت لا اله الا الله في كفة؛ رجحت بهن،

(1)- سورة هود، الآية: 47.

(2)- سورة العنكبوت، الآية: 14، 15.

ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة؛ إلا قصمتهن لا اله الا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء، وأنهاك عن الشرك والكبر، فقلت –أو قيل–: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؛ هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: "لا"، قال: فهو أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا. قال: هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: "لا"، قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا. قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق، وغمص الناس»[1]، ويقول عبد الحليم محمود: «أي التكذيب بالحق، والتعالي على الناس»[2].

ويذكر الألباني المفردات الغريبة في الحديث فيقول أن قصمتهن تعني كسر الشيء وإبانته، وجاءت في رواية أخرى فصمتهن بالفاء وتعني كسر الشيء من غير إبانة، وسفه الحق أي جهله والاستخفاف به، وألا يراه على ما هو عليه من الرجحان والرزانة، وغمص الناس أي احتقارهم والطعن فيهم والاستخفاف بهم وفي حديث آخر غمط الناس والمعنى واحد[3].

ويتبين من الحديث أن الله سبحانه وتعالى قد طهّر الأرض من الكفر بالطوفان، وعاد بالبشر جميعاً إلى التوحيد، وذلك يظهر من خلال أمره لابنه بـ"لا إله إلا الله"[4]، كما كانت البشرية في البداية موحِدة لله ﷻ دون سواه، ثم جاءها الانحراف الديني كما سلف الذكر إلى الشرك، فكانت تلك قصة نبي الله نوح ﷺ من القرآن الكريم حيث تفرّدت بمميّزات عن غيرها؛ فقد اختصت بدعوة التوحيد التي أمر بها نوح ﷺ، عن غيرها من قصص الطوفان فكانت دعوة التوحيد هي بداية القصة ونهايتها.

---

(1)– محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، ط4، مكتبة الدليل، السعودية، 1997، ص206، 207. (رقم الحديث: 548/426) باب الكبر.

(2)– عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص86.

(3)– محمد ناصر الدين الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة **الأحاديث الصحيحة** وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، (د.ت)، ص260. (رقم الحديث 134).

(4)– عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص86.

ثم توفي نوح عليه السلام، ولم تفصِّل النصوص من الآيات والأحاديث الصحيحة في وفاته، ولا في جنازته ودفنه، ولا في قبره، وقد ذكر القرآن الكريم خلفاء نوح عليه السلام في الأرض دون ذكر أسماءهم، لأنه جاء في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾[1].

(1)- سورة الصافات، الآية: 77.

الفصل السادس: المقاربات والمفارقات في طوفان نوح عليه السلام.

1. ما قبل الطوفان:

2. حدوث الطوفان:

3. ما بعد الطوفان:

4. مسألة شمول الطوفان:

إن هذا الفصل عبارة عن مقارنة بين ما جاء في الأساطير وما جاء في التوراة والقرآن الكريم، بالإضافة إلى ما اجتهدت كتب التفسير في جمعه سواء من الاحاديث النبوية الشريفة أو مما جاء في الاسرائيليات، فقد وردت قصة طوفان نوح عليه السلام -كما أسلفنا الذكر- في المصادر السابقة ولكنها حوَت الكثير من الاختلافات، غير أن هذه الأخيرة لم تجعل من الطوفان حدثاً منعزلاً أو خرافياً، بل كانت كلها تصب في قالب واحد وتشترك في الخطوط العريضة، وإذا ما نفينا صحة بعض منها لا يعني ان الحدث لم يرتبط بذلك المصدر أو كان بعيداً عنه.

فمثلا إذا وردت في التوراة اختلافات -بل وتناقضات أحياناً- لا يجعل من الطوفان حدثاً لا علاقة له بالتوراة، أو أن ما جاء في هذه الأخيرة مجرد نقل من الأساطير كما ورد في بعض المراجع، فالوحي الإلهي موجود، والتوراة تعتبر كتاب الله الذي أنزل على موسى عليه السلام، ولكن قبل أن تطالها يد التحريف بدليل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾[1]، بينما القرآن الكريم بالرغم مما فيه من اقتضاب في بعض تفاصيل القصة، يبقى مصدراً منزّهاً عن الخطأ بدليل قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

ونستطيع أن نصل من ذلك إلى اتفاق على أن تناول المصادر باختلافها لقصة الطوفان، وانتقالها في حضارات العالم القديم، وذكرها في الكتب السماوية دليل قاطع على أن الطوفان حدث ديني وتاريخي أي حقيقة تاريخية لا يمكن نفيُها، وإن كانت بتناقلها في كثير من الأحيان اعتراها التشويه والبعد عن الحقيقة، وفيما يلي أوجه التشابه والاختلاف فيما يتعلق بالطوفان من مصادره:

(1)- سورة المائدة، الآية: 41.

(2)- سورة الحجر، الآية: 9.

1. الأحداث قبل الطوفان:

سبق حدوث الطوفان العديد من الأحداث التي اختلفت بين النصوص السماوية والنصوص الأسطورية، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن البعض منها لم يتناولها، وذلك راجع لأن بعض الألواح الطينية وجدت في شكل قطع لم تكمِّل بعضها بعضاً، أو جاءت بدايتها مهشمة أو مشوهة يصعب قراءتها، كما جاء في التوراة ذكر بعض الأحداث التي لها علاقة بالطوفان، ولكنها دارت قبل اندلاعه، وبعض الأحداث عن الفترة التي سبقت حدوث الطوفان وردت في القرآن الكريم، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب هذه الأخيرة لها علاقة بالإيمان والدعوة إلى الله التي أوحي بها إلى نبيه الكريم نوح عليه السلام، وسأحاول فيما يلي إحصاء الأحداث التي سبقت الطوفان بغرض إبراز أوجه الاختلاف، والتأكيد على أوجه التشابه، ما يثبت علاقة بعضها ببعض.

أ. سبب الطوفان:

بما أن الطوفان حدث تاريخي فمن الطبيعي أن يكون له سبب أدى إلى حدوثه بالشكل الذي حدث به، وقد تشابهت أسباب حدوث الطوفان أحيانا واختلفت في أحيان أخرى، فالذي اجتمع عليه الرأي كان أن الطوفان سبب حدوثه فساد البشر، وازدياد شرهم، ومخالفة الأوامر الإلهية.

على الرغم من أن سبب الطوفان كان غائباً في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش، إلا أنه ظهر من خلال عتاب الإله "ايا" لـ"انليل" لعدم أخذ المخطئ بإثمه من دون البشرية[1]، كما ورد في الأبيات: [...**وعند ذاك فتح "أيا" فاه وقال مخاطباً "أنليل" البطل: «ايها البطل انت أحكم الآلهة فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان؟ حمل المخطئ وزر خطيئته وحمل المعتدي إثم اعتدائه**...»][2]، وذلك دليل على أن السبب وراء إحداث الطوفان كان أخطاء البشر، التي لم يغفرها لهم الإله "انليل" وقرّر إهلاكهم.

أما في أسطورة "أترا-حاسيس" البابلية ورد أن الإله "انليل" -وبموافقة باقي الآلهة- قرّر القضاء على البشر، وإحلال الطوفان كحل أخير -بعدما سلّط عليهم الأوبئة والجفاف- للقضاء على ضجيج البشر الذي زاد بتزايد عددهم على الأرض[3]، على الرغم من أن خلق الإنسان في البداية

(1)- نائل حنون، (ملحمة)، المرجع السابق، ص ص56-61.

(2)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص187.

(3)- Tikva Freymer- Kenskey, Op. Cit, p149.

كان بهدف حمل مشاق الأعمال عن الآلهة[1]، كما جاء في الأبيات: [... **ضاق الرب ذرعا بصخبهم، واضطر أنليل لسماع ضجيجهم، فخاطب الآلهة العظماء قائلا، ضجيج الجنس البشري لم يعد يطاق، صخبهم يفقدني رقادي...**][2].

في حين جاء في التوراة صراحة أن البشر تكاثروا، وزاد شرهم وفسادهم، فعزم الرب على إفناءهم، وإفناء كل ما هو حي فوق الأرض[3] -إلا نوح عليه السلام وأهله وبعض الحيوانات بغرض إبقاء النسل- كما جاء في الآية: [1**وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ**][4]، وجاء أيضا في الآية: [5**وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.**][5]، وزاد الظلم حتى امتلأت الأرض به، وأفسد البشر طريقهم في الأرض كما جاء في الآية: [11**وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا.** 12**وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ.**][6]، أي أنهم حادوا عن الطريق التي رسمها الرب لهم، وخالفوا أوامره.

أما القرآن الكريم فقد مهّد للطوفان بمسيرة طويلة لنوح عليه السلام مع قومه بلغت 950 سنة الذين حادوا عن الطريق وعبدوا غير الله (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر)كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا** ﴾[7]، فجاء في سبب الطوفان أن الله سبحانه وتعالى رأى أن هؤلاء القوم قد اجتمعت عليهم خطاياهم من كفر وفجور، فكان دعاء نبيهم عليهم -بعد أن يأس منهم- تتمة لإقرار حدوث الطوفان وهلاك الكافرين منهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ**

(1)- صلاح أبو السعود، (أساطير) المرجع السابق، ص143.

(2)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص57.

(3)- U. Cassuto, Op. Cit, p19.

(4)- سفر التكوين (6: 1).

(5)- سفر التكوين (6: 5).

(6)- سفر التكوين (6: 11، 12).

(7)- سورة نوح، الآية: 23، 24.

﴿ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1]، وجاء في موضع آخر قوله تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ ﴾[2]، وذلك دليل على أن قوم نوح عليه السلام قد أُنذروا قبل أن يأتيهم العذاب، فلم يستجيبوا وكفروا فكان جزاءهم الهلاك.

بالإضافة إلى أوجه التشابه تجدر الإشارة أن "بيروسوس" في روايته عن أبيدين سكت عن سبب الطوفان؛ فجاءت بدايتها بالرؤيا التي أظهرت للملك "اكسيسوثروس" خبر الطوفان الذي سيهلك الأرض[3]، غير أنه في رواية "بوليستور" عن بيروسوس تذكر أن الطوفان كان بسبب مياه غزيرة[4]، كما غاب عن نص أسطورة "زيوسدرا" السومرية سبب الطوفان، بسبب الكسر الذي طال بداية الرقيم الطيني[5]، حيث بمجرد انتظام الأبيات يظهر قرار الطوفان قد اتخذ من طرف الآلهة[6].

ب. بطل الطوفان:

اتفقت مصادر الطوفان على أن الناجي من الطوفان كان شخصية ورعة تقية باركها الله سبحانه وتعالى، وأوكلها بمهمة الإنقاذ من الغرق، فقد كان في كل المصادر رجلا باراً عابداً لربه أنعم الله عليه بطول العمر، وإن اختلفت ترجمات الاسم من لغة إلى أخرى، إلا أن معناها واحد يوحي بأنه اختير لينقذ البشر من الهلاك.

ففي الأسطورة السومرية سمي بطل الطوفان بـ"زيوسدرا" الذي يعني اسمه "الخالد" أو "ذو الحياة المديدة"، وقد وصف بالملك الصالح والتقي وكثير الطاعة والعبادة[7]، أما بطل الأسطورة البابلية الذي ورد في ملحمة جلجامش فهو "أو تا-نبشتم"، ويعني اسمه "الذي ادرك الحياة"، وذلك جاء بسبب

---

(1)- سورة نوح، الآية: 1.

(2)- سورة الفرقان، الآية: 37.

(3)- E. A. Wallis Budge, Op. Cit, p28, 29.
(4)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p20.
(5)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p202.

(6)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص278.

(7)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص268.

حصوله على الخلود كجزاء له لإنقاذه البشر[1]، في حين جاء في رواية "بيروسوس" باسم "اكسيسوثروس" بمعنى الذي أبحر إلى الآلهة وانه سيعيش معها[2].

وعُرِف في الأسطورة البابلية بـ"اترا-حاسس" ويعني "فائق الحكمة"[3]، واشتهر بالوعظ والارشاد ما يدل على أنه ملتزم بالضوابط أكثر من غيره، وقد ورد في الأسطورة أنه كان أشبه بالوسيط بين الناس وبين الآلهة، فقد كان يرفع شكاوى الناس إلى الآلهة وينقل أوامر هذه الأخيرة للناس، ما يدل على أنه كانت له مكانة عظيمة عند الآلهة والناس، وتلك المكانة لا تتوفر إلا لمن له سيرة جيدة بين الناس وتقى وطاعة للآلهة، كما جاء في الأبيات: [**اشرح لي معنى الحلم،... دعني اكتشف نذيره، اسمع أنكي صوته وخاطب خادمه، أنت تقول، يجب أن اكتشف أثناء النوم...**][4].

وجاء اسم نوح في النصوص السماوية؛ ففي التوراة جاء "نوح" عليه السلام رجلا باراً وجد نعمة في عيني الرب[5]، وأنه قد نال البركة من ربه بإنقاذه للبشرية، وبتقديم المحرقات للرب، كما جاء في الآيات: [8**وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.** 9**هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ.**][6]، كما جاء في موضع آخر: [1**وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُو ا الأَرْضَ.**][7]، وذُكِر نوح عليه السلام في القرآن الكريم نبياً ورسولاً ذو أخلاق وصفات وأنه عبد شكور[8]، ما يؤكّده الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ۝٣ ﴾[9]، كما جاء بأنه من المحسنين، وعليه الثناء في كل أمة[10]، وتجدر الإشارة في

(1)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص39.

(2)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص77.

(3)- رعد شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص169.

(4)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص73.

(5)- لواء أحمد عبد الوهاب، **الإسلام والأديان الأخرى** نقاط الاتفاق والاختلاف، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص32.

(6)- سفر التكوين (6: 8، 9).

(7)- سفر التكوين (9: 1).

(8)- العسقلاني، المصدر السابق، ج8، ص256.

(9)- سورة الإسراء، الآية: 3.

(10)- تفسير القرطبي، المصدر السابق، ج18، ص47.

الأخير إلى أنه وإن اختلفت الترجمات يبقى الناجي من الطوفان واحد، وصفاته واحدة وهو الطاعة والأخلاق الكريمة والبر بربه، كما أنه يشترك في الغاية وهي النجاة من الطوفان.

ج. الاعلام بالطوفان:

يعتبر نوح عليه السلام الوحيد الذي علم بأمر الطوفان مسبقًا في كل الأساطير والكتب السماوية، غير أن الطريقة تختلف من واحدة لأخرى: فالأساطير روَّجت إلى أن بطل الطوفان قد علم بأمره عن طريق وساطة إما جدار أو سياج، كما جاء في الأساطير السومرية والبابلية، أو في شكل حلم كما جاء على لسان "بيروسوس"، أو عن طريق الوحي كما جاء في الكتب المقدسة.

ففي الأسطورة السومرية كان الإله "آن" والإله "انليل" المسؤولان عن الطوفان، وعارض الإله "انكي" والإلهة "نينتو" قرار الطوفان، ولذلك قرّر الإله "انكي" أن يساعد البشر وأخبر "زيوسدرا" بأمر الطوفان، ولكن من وراء جدار(1)، كما ورد في ما يلي: [**كان "زيوسدرا" قائما بجانبه وهو يصغي، قف عند الحائط إلى جانبي الايسر...، ان طوفانا سيدمر مراكز العبادة، وتهلك ذرية البشر...**](2).

وجاء في ملحمة جلجامش أن الآلهة قرّرت بإجماع إحداث الطوفان، غير أن الإله "ايا" إله الحكمة أسف لذلك القرار وقرّر أن يحذر "أو تا-نبشتم" من الطوفان، ويوكل إليه مهمة إنقاذ البشرية(3)، كما يشير النص: [...**وكان حاضراً معهم "نن-إيكي-كو" أي "أيا"، فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه: "يا كوخ! يا كوخ القصب؟ يا جدار، يا جدار! اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط، ايها الرجل "الشورباكي" يا ابن "أو بار-توتو"، قوض البيت وابن لك فلكا "سفينة"**](4).

أما في الأسطورة البابلية فقد كان مسبب الطوفان الإله "انليل" ووافقته كل الآلهة على ذلك، وتدخّل "انكي"، وأخذ على نفسه إخبار "اترا-حاسيس" بخبر الطوفان، ولكن من وراء حائط أو سياج القصب(5)، كما ورد في الابيات: [...**أيها الجدار، أصغ لي باستمرار. يا كوخ القصب، تأكد**

(1)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص281، 282.

(2)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص269.

(3)- كارم عزيز محمود، المرجع السابق، ص206.

(4)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص176

(5)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص79.

أنك ستنفذ كل كلماتي.][1]، وجاء في رواية "بيروسوس" أن الملك "اكسيسوثروس" جاءته رؤيا بأن الإله "كرونوس" حدّثه عن طوفان عظيم سيغمر الأرض ويهلكها[2].

جاء في الكتب المقدسة أن الله سبحانه وتعالى كلّم نبيه وأوحى له بأمر الطوفان[3]، كما تذكر آيات التوراة: [13**فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ**][4]، وفي موضع آخر من التوراة جاء: [7**فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».**][5].

كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ﴾[6]، أي عند معاينة إنزال المطر العظيم، لا تأخذك رأفة بقومك، وشفقة عليهم، وطمع في تأخيرهم لعلهم يؤمنون، فإني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان[7].

د. الفلك:

تتفق المصادر على أن وسيلة النجاة من الطوفان كانت الفلك الذي أمر الله ببنائه للنجاة من الطوفان، غير أن أوصافه مختلفة من مصدر لآخر، فمثلاً فصَّلت أسطورة "أو تا–نبشتم" في أوصاف السفينة، وتشابهت إلى حد بعيد مع وصف التوراة لها، بينما كانت أوصاف السفينة في القرآن الكريم مقتضبة، وكذلك جاء الوصف في أسطورة "اترا–حاسس"، ورواية "بيروسوس".

لم يأت في أسطورة "زيوسدرا" أوامر صناعة الفلك لأن الأسطر كانت مشوهة ولكن في أبيات لاحقة ورد ذكر الطوفان والفلك تتلاطمه الأمواج، وجاء في الابيات: [... **وبعد ان استمر الطوفان**

(1)– ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص73.

(2)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص245.

(3)– شريف حامد سالم، (المصدر)، المرجع السابق، ص214.

(4)– سفر التكوين (6: 13).

(5)– سفر التكوين (6: 7).

(6)– سورة المؤمنون، الآية: 27.

(7)– ابن كثير، (تفسير)، المصدر السابق، م3، ص1987.

سبعة أيام وسبع ليالٍ، واكتسح الطوفان البلاد، وكانت السفينة الضخمة تتقاذفها الاعاصير في المياه الجارفة، ...فتح "زيوسدرا" شباكا في الفلك العظيم][1]، على أن الفلك به كوة لينظر منها زيوسدرا.

ويروي "أو تا-نبشتم" أن الإله "أيا" خاطب، ونصحه بأن يهدم بيته ويبني فلكاً، ويحمل عليه بذور جميع الكائنات الحية، وأمده بأوصاف السفينة، فكان طولها مساوٍ لعرضها وارتفاعها ما يقارب ستون متراً، وجعل فيها سبع طبقات قُسّمت كل منها إلى تسعة مقصورات، وطُليت بالقار[2]، كما ورد في الأبيات: [**ايها الرجل "الشورباكي" يا ابن "أو بار-توتو" قوض البيت وابن لك فلكا "سفينة"...واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة»]**[3].

وقد ورد في أسطورة "أترا-حاسس" أن الإله أنكي طلب منه بناء سفينة، وأشار عليه بكيفية بنائها لتواجه الأمواج العاتية، ففعل "أترا-حاسيس" وبنى سفينة كبيرة في سبعة أيام[4]، وصفها بأن اسقفها كما أبسو وبها ظهرا أعلى وظهرا أسفل، وأشرعة متينة واستعمل فيها القار ليزيدها قوة تحمل، كما ورد في النص: [...**فكك المنزل، وابن سفينة، ارفض الممتلكات، وخلّص الكائنات الحية، السفينة التي سوف تبني... أسقفها كما أبسو كي لا تتمكن الشمس من رؤية ما بداخلها، اصنع لها ظهراً أعلى وظهراً أسفل، ولتكن حبال الأشرعة والصواري متينة، وكذلك القار صلباً، ليعطي قوة**][5].

وتجدر الإشارة إلى أن الإله "كرونوس" طلب من الملك "اكسيسوثروس" بناء فلك يحمل فيه عائلته وذويه ويزوده بالمؤن والماء الشروب، فضلا عن الكائنات الحية من الطيور والدواب[6]، فبنى "اكسيسوثروس" فلكا طوله ما يقارب 1كم وعرضه ما يقارب 400م[7]، وجاء في ديوان الأساطير أن طوله كان خمس عشر استاداً[8] ما يقارب 3كم.

(1)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.
(2)- كارم عزيز محمود، المرجع السابق، ص206.
(3)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص176.
(4)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص79.
(5)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص73، 74.
(6)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص77.
(7)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص245.
(8)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص305.

كما ورد في التوراة وصف دقيق للفلك الذي أمر الله نوحاً عليه السلام ببنائه؛ فقد بناه من خشب السرو[1] وطلاه بالقار من الداخل والخارج[2]، وأمره بأن يجعله في ثلاثة طبقات، وبه باب جانبي واحد وكوى للتطلع إلى الخارج، وكان بطول 150م، وعرض 25م، وارتفاع 15م، كما جاء في الآيات: [14]**اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ.** [15]**وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ.** [16]**وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ.**][3].

أما القرآن الكريم فلم يتطرق لوصف السفينة إلا في بعض الإشارات، وأهم ما أشار إليه في ما يخص بناء الفلك أنه كان بوحي إلاهي[4]، وذلك وفق ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ﴾[5]، كما أشار إلى أنها "جارية" دليل على سرعتها، حتى أن مسيرها كان بأمر إلهي، لأن الله هو من يعين طريق النجاة كما جاء في كل المصادر التي ذكرت الطوفان، لقوله تعالى: ﴿ **تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ** ﴾[6]، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ**

(1)- وليم وهبة بياوي وآخرون، المرجع السابق، ص270.

(2)- الثعلبي، المصدر السابق، ص56.

(3)- سفر التكوين (6: 14- 16).

(4)- محمد متولي الشعروي، المرجع السابق، م16، ص 10013.

(5)- سورة المؤمنون، الآية: 27.

(6)- سورة القمر، الآية: 14.

رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[1]، وقد جاء أيضا أنها صنعت بألواح وثبتت بالدسر (المسامير)[2]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾[3].

يتبين مما تقدم أن القصة التوراتية عن الفلك، أعطت معلومات مفصلة في حين لم يأت القرآن الكريم بذكر تلك التفصيلات، وقد حاولت كتب التفسير أن تأت على ذكر بعض الأوصاف، الا أنها اعتمدت على الاسرائيليات فكانت معلوماتها تفتقد للدقة في كثير من الاحيان، وأشير إلى أن أوصاف السفينة في أسطورة "أوتا–نبشتم" كانت أكثر تفصيلاً من غيرها من الأساطير، وتجدر الإشارة إلى أن أوجّه التشابه بينها وبين السفينة التوراتية تتخطى الصدفة، وذلك واضح في عدد الطبقات والحمولة والأبعاد.

ويتأكّد مما سبق أن صناعة الفلك كانت بأمر إلهي بكل الأوصاف التي وردت سواءً في الأساطير أو في الكتب المقدسة، فكان ذلك دليل على عظمة الخالق والقدرة الالهية التي جعلت للفلك قدرة تشق طريقها بنجاح بين أمواج الطوفان، فقد أشار القرآن الكريم إلى أنها ستضلّ آية للعالمين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

هـ. علامة الطوفان:

يُقصد بعلامة الطوفان الإشارة التي تسبق حدوث الطوفان، وقد اتفقت بعض الروايات على أن الطوفان تسبقه إشارة، في حين حددت روايات أخرى بشكل صريح وقت اندلاع الطوفان دون علامة مسبقة؛ ففي أسطورة "أوتا–نشتم" كانت علامة الطوفان نزول الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك، كما جاء في الابيات: [**وضرب لي الاله "شمش" موعداً معيناً بقوله: حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك فادخل في السفينة واغلق بابك**][5]، إذا اكفهَر الجو وتلبّدت السماء فعلى "أوتا–نبشتم" أن يدخل الفلك ويغلق بابه، وعند الفجر لاحت في الأفق غيمة سوداء ثقيلة في

(1)– سورة هود، الآية: 41.

(2)– الثعلبي، المصدر السابق، ص56.

(3)– سورة القمر، الآية: 13.

(4)– سورة القمر، الآية: 15.

(5)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص180.

وسطها "ادد" اله العواصف والأمطار يرعد، وأمامه الإلهان "شلة" و"خنش" يحملان مشعله[1] ما يوافق ربما البرق الذي يلازم الرعد.

وجاء في القرآن الكريم أن علامة الطوفان هي فوران التنور في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ** ﴾[2]، وقد ذكرت في موضع سابق أن التنور هو الكانون الذي يُطهى فيه الخبز[3]، فبدل أن يخرج من الكانون النار، قدّر الله له –كعلامة للطوفان– أن يخرج منه الماء، بل وينفجر بمعنى يندفع بقوة[4]، وأضاف أن الله سبحانه وتعالى قد أحال كل سطح الأرض تنانير وليس تنور واحد، وذلك جعل باطن الأرض مصدر من مصادر مياه الطوفان حتى امتلئ سطح الأرض بالمياه[5]، قال تعالى: ﴿ **فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ** ﴾[6]، ودليل قوله "فجّرنا الارض عيونا"، ولم يقل في الأرض عيوناً، بمعنى أن كل سطح الأرض بات عيونا دليل على كثرتها ومن ثم كثرة المياه[7].

أما في ما يخص موعد حدوث الطوفان فقد تحدّد في رواية "بيروسوس" بمنتصف شهر أيار (15 ماي)[8]، كما حدّدت التوراة موعد الطوفان بسبعة أيام بعد إعلام نوح عليه السلام بخبر الطوفان، كما جاء في الآيات: [**10وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ.**][9]، كما صنع "اترا–حاسس" الفلك في سبعة أيام[10]، وربما كانت هي الفترة التي تسبق الطوفان، فكانت العلامة

---

(1)- U. Cassuto, Op. Cit, p8.

(2)– سورة هود، الآية: 40.

(3)– ابن منظور، المرجع السابق، م1، ص450.

(4)– عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص 156، 157.

(5)– عمرو الشاعر، المرجع السابق، ص 156، 157.

(6)– سورة القمر، الآية: 11، 12.

(7)– الخازن، المصدر السابق، ج4، ص219.

(8)– محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص77.

(9)– سفر التكوين (7: 10).

(10)– محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص79.

أن أرعد الإله "أدد" في السماء، وتأتي الأنباء ببداية الطوفان بسماع صوته ليحضر "اترا-حاسيس" مادة القار لسد فتحة الفلك مخافة غرقه، ومن ثم بداية الطوفان[1]، في حين سكتت الأسطورة السومرية عن موعد الطوفان، وذلك راجع للخدش الذي طال الأبيات التي تسبق حدوث الطوفان[2].

2. حدوث الطوفان:

تشابهت المصادر مع بعضها البعض في النقاط الأساسية لحدوث الطوفان؛ فقد بدأ بحمل الناجين في الفلك وتعاظم المياه ومن ثم استقرار الفلك وجاءت نهايته بانحسار الماء، ومع ذلك اختلفت في بعض التفاصيل سأذكرها فيما يلي:

أ. حمولة الفلك:

جاء في نصوص الأساطير والكتب السماوية أن ركاب الفلك كانوا من البشر والحيوانات، غير أنها اختلفت في عددهم، وتجدر الإشارة إلى أن ذلك غائب في أسطورة زيوسدرا، لأنها لم تذكر ركاباً إلا "زيوسدرا" الذي قدّم القرابين للإله لنجاته فمنحه الخلود[3]، وتوجد إشارة إلى أنه أنقذ الجنس البشري والحيوانات من الفناء، كما ورد في الأبيات: [**زيوسدرا الملك الذي حافظ على الزرع والذي صان ذرية البشر، وفي ارض العبور في ارض دلمون، الموضع الذي تشرق منه الشمس اسكناه هناك...**][4].

غير أن نهاية الطوفان أظهرت أن "زيوسدرا" قد قدّم قرابين ثيران وخراف للإله "أوتو" عندما فتح كوة الفلك، ودخل الإله "أوتو" لينيره[5]، فلو لم يأخذ معه حيوانات فمن أين له بالقرابين الحيوانية وهو لم يبرح الفلك بعد؟ كما جاء في الابيات: [...**فتح زيوسدرا شباكا في الفلك العظيم، فأنفذ البطل "أو تو" اشعته في الفلك العظيم، زيوسدرا الملك، سجد امام "أو تو" وقتل الملك ثورا وذبح كبشا...**][6].

---

(1)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص76.

(2)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p202.

(3)- Ibid, p206, 207.

(4)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص311.

(5)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص202.

(6)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310، 311.

أما باقي الأساطير فقد زادت عن بطل الطوفان وعائلته، أمهر الصناع، وذلك بالمحافظة على الانتقال الحضاري من عصر ما قبل الطوفان إلى عصر ما بعد الطوفان، والذي استعاض "اكسيسوثروس" عنه بنقل السجلات المكتوبة، وطمرها تحت الأرض في سيبار[1] لتسلم من مياه الطوفان كما سلف الذكر، وتصل إلى جيل ما بعد الطوفان، وتنقل ما برع فيه القوم قبل الطوفان، كما ذكرت الرواية أن "اكسيسوثروس" جُمع في بالفلك زوجته وأهله والحيوانات وغذاءه[2].

كما جاء في الأسطورة البابلية أن "أوتا-نبشتم" حمل أهله واقرباءه وكل الصناع والحرفيين وكل ما هو ثمين من ذهب وفضة، بالإضافة إلى كل الحيوانات البرية والمتوحشة[3]، كما ورد في بيت: [...**واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة**...][4] غير أنه لم يحدّد عددها، كما جاء في الابيات: [... **وحملت فيها كل ما أملك، وكل ما عندي من فضة حملته فيها، وحملت فيها كل ما املك من ذهب، وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية، اركبت في السفينة جميع اهلي وذوي قرباي، أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر، وجميع الصناع اركبتهم فيها**...][5].

في حين جاء في أسطورة "اترا-حاسس" أن هذا الأخير حمل معه في الفلك زوجته وأصحابه وأقرباءه والصناع المهرة، بالإضافة إلى أمواله وأمتعته وغذاءه والحيوانات[6]، غير أن النصوص جاءت مشوهة لدرجة أن حمولة الفلك جاءت في كلمات متناثرة تدل على ما حمل اترا-حاسس معه.

وتظهر التوراة أن الله أمر نوح عليه السلام -بعد إخباره بأمر الطوفان- أن يحمل معه في الفلك أهله وزوجته وأبناءه الثلاثة وزوجاتهم كما تبين الآيات: [18**وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ.**][7]، وباحتساب الأشخاص الذين حملهم الفلك نجدهم ثمانية أشخاص (نوح عليه السلام وامرأته وبنوه ونساءهم)، بالإضافة إلى زوجين من الحيوانات الذكر والأنثى وكما جاء: [15**وَدَخَلَتْ إِلى نُوحٍ إِلى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ.**][8]، وأحيانا جاء أن

(1)- E. A. Wallis Budge, Op. Cit, p28, 29.
(2)- M. Joachim Ménant, Op. Cit, p19.

(3)- محمد فيض الله الحامدي، المرجع السابق، ص44.
(4)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص176.
(5)- نفسه، ص180.
(6)- كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص204، 205.
(7)- سفر التكوين (6: 18).
(8)- سفر التكوين (7: 15).

يحمل معه سبعة من كل نوع، الذكر والأنثى، وجاء في موضع آخر: [3**وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْل عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ.**][1].

ويذكر مفسري التوراة أن الله سبحانه وتعالى سخّر الحيوانات لنوح عليه السلام ليحملها معه في الفلك، وأنه اهتم بتفاصيل جمعها، غير أن الأسطورة أشارت إلى أن الحيوانات التي ورد ذكرها هي حيوانات عشبية وليست متوحشة[2].

وقد جاء في القرآن الكريم أن نوح عليه السلام قد حمل معه من آمن بدعوته واهله، وقد استثنى منهم من سبق عليهم القول، وهم زوجته وابنه "يام" الذي غرق مع الكافرين[3]، ومن الحيوانات زوجين الذكر والانثى للحفاظ على النسل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ** ﴾[4].

يظهر مما سبق أن القرآن الكريم انفرد بذكر ابن نوح عليه السلام الكافر وزوجته التي صُنِّفت مع الخائنين ومن ثم كانت نهايتها مع الظالمين، في قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠** ﴾[5]، وتجدر الإشارة إلى زوجة نوح عليه السلام والتي لم تذكر في التوراة على أنها كانت كافرة، بل ذُكِرت أنه قد أُمِر بإدخال زوجته السفينة مع من دخلها من المؤمنين وأنها نجت مع الناجين، وهذا ليس دليل على أن نوح عليه السلام لم تكن له زوجة كافرة، مع احتمال أنه كانت له زوجتان إحداهما كافرة هلكت مع الكافرين، وأخرى مؤمنة نجت مع المؤمنين[6].

---

(1)- سفر التكوين (7: 3).

(2)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص26.

(3)- الشيرازي الشافعي، المصدر السابق، ص176، 177.

(4)- سورة هود، الآية: 40.

(5)- سورة التحريم، الآية: 10.

(6)- عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص60، 61.

وقد سجّل القرآن الكريم ما جرى بين نوح عليه السلام وابنه؛ حيث دعاه للصعود إلى الفلك بينما كان مع الكافرين، وفي الحقيقة تظهر الآية مشاعر الأبوة كيف أن نوح عليه السلام حرّكته الابوة ليستجدي ابنه ليكون مع المؤمنين ولكن الابن رفض طلبه وكان من المغرقين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾** ﴾[1].

ب. وصف الطوفان:

اتفقت المصادر على أن بداية الطوفان جاءت بزيادة منسوب الماء وتعاظم الأمواج إلى نهايته وتراجع الماء، لذلك ارتأيت أن أحدّد أولا المسبّب الرئيسي لتعاظم المياه واندلاع الطوفان، لأن في ذلك تشابهاً بين المصادر، إلا في بعض الجزئيات، فجميعها تتفق على ان المياه المنهمرة من السماء والأخرى المتفجرة من الارض والرياح والعواصف هي التي جعلت المياه تتعاظم لتبلغ عنان السماء، غير أنه تجدر الاشارة إلى أن بعض المصادر قد أسهبت في ذلك، ومنها ما اقتضب في الوصف.

نجد في الأسطورة السومرية إشارات لانطلاق الطوفان، فقد وصفت قوة الرياح وعتو الأمواج وكمية المياه المتراكمة[2] كأول حدث تسبّب في حدوث الطوفان بشكله المهول، كما جاء في الأبيات: [...**كانت جميع الزوابع تهجم بعنف وضراو ة وهي مجتمعة، وفي الوقت نفسه جرف الطوفان مراكز العبادة...وكانت السفينة الضخمة تتقاذفها الاعاصير في المياه الجارفة**][3].

كما ورد في أسطورة "أوتا-نبشتم" أنه بحلول موعد الطوفان الذي حدّده الإله "شمش"، لاحت في الافق غيمة سوداء ثقيلة في وسطها "ادد" اله العواصف والأمطار، ويصاحبه البرق واقتلعت الصواري وغمرت السدود بالمياه، وليوم كامل عصفت الرياح الهوجاء بالبلاد ثم حلّ الطوفان[4]، كما جاء في الابيات: [...**علت من الافق البعيد غمامة ظلماء، وفي داخلها ارعد الاله "أدد"...ونزع الاله**

(1)- سورة هود، الآية: 42، 43.

(2)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص282.

(3)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

(4)- U. Cassuto, Op. Cit, p8,9.

"ايراكال" الأعمدة، ثم اعقبه الاله "ننورتا" الذي فتق السدود...][1]، وتجدر الاشارة إلى أن رواية بيروسوس لم ترد فيها تفصيلات عن وصف الطوفان ولا وقت بدايته[2].

في حين جاء في أسطورة "اترا-حاسس" أنه عندما حلّ موعد الطوفان تبدّل الجو ورعد الإله "أدد" في السماء، فاندفعت الرياح الغاضبة دفعة واحدة يعني لم يكن الوقت الكافي لنجاة غير أصحاب الفلك الذي فكّ رباطه، وجاء أيضا في الوصف أن حركة المياه اقترنت بصوت صاخب كخوار ثور للتشبيه على قوتها، وما تبث من خوف ورهبة في القلوب حتى أنه أرهب الآلهة، كما جاء في الأبيات: [...**تغيّر وجه الطقس، وخار أدد من قلب الغيوم، ... واستمر أدد في خواره من قلب الغيوم، كانت الرياح تثور حتى حينما صعد، و راح يقطع الحبل وحرر السفينة، ... وهدر الطوفان كالثور، وهدرت الريح كحمار بري يزعق كان الظلام شاملا لم يكن هناك شمس...**][3].

أما الرواية التوراتية للطوفان فتذكر أن بدايته كانت بانفجار ينابيع الأرض وفتح أبواب السماء بماء منهمر، فشكّلت بذلك الغمر العظيم، كما جاء في الآيات: [**[10]وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. [11]فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.**][4]، وارتفع الماء بخمسة عشر ذراعا فوق الجبال الشامخة، كما ورد في الآيات: [**[17]وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. [18]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. [19]وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. [20]خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ.**][5].

(1)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص181.

(2)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص77.

(3)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص76.

(4)- سفر التكوين (7: 10، 11).

(5)- سفر التكوين (7: 17- 20).

وجاء في القرآن الكريم أن مياه الطوفان كان مصدرها سماوي وأرضي، حيث فُتحت أبواب السماء نتيجة انفجار المياه الباطنية في شكل ينابيع حتى صارت تغطي سطح الأرض[1]، فكان الطوفان نتيجة التقاء ماء السماء وماء الأرض، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾[2].

ويظهر فيما يخص نهاية الطوفان أن الأساطير تتفق على أن الطوفان انتهى فجأة ودون سابق إنذار، في حين تشترك الكتب المقدسة في أن الطوفان قد هدأ بسبب نضوب الماء، فقد ورد في التوراة أن الله قد أرسل ريحاً هدأت على إثرها المياه وانسدت الينابيع، وتوقف هطول المطر، وتراجع الماء، كما تذكر الآيات: [1**ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ.** 2**وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ.** 3**وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ،**][3].

وقد جاء في القرآن الكريم فيما يخص نهاية الطوفان أن الأمر حدث بأمر الله سبحانه وتعالى وكما أراد أن يكون فقد جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ﴾[4]، تبين هذه الآيات أمر الله تعالى ولا ردّ لأوامره سبحانه؛ فقد أمر الأرض أن ابلعي الماء، ومن ثم أمر السماء أن تمسك عن إرسال المطر، وأردفها بالانصياع لأوامره سبحانه بأن توقف الماء في قوله "وغيض الماء"، ومن ثم قال أن الأمر قضي وانتهى وانحسر الماء، وهلك الظالمون وفق الأمر الإلهي[5]، ويظهر مما تقدم من نصوص القرآن الكريم والتوراة، أن نضوب الماء قد أخذ وقتا عكس ما جاء في الأساطير، جاء على

(1)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص75، 76.

(2)- سورة القمر، الآية: 11، 12.

(3)- سفر التكوين (8: 1-3).

(4)- سورة هود، الآية: 44.

(5)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص76، 77.

ذلك علامات كثيرة مثل: [2**وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ.** 3**وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ،**][1].

ج. استقرار الفلك:

جاء استقرار الفلك بعد نضوب الماء على الرغم من تأخر خروج ركاب الفلك، وقد اتفقت المصادر على أن الفلك قد استقر على جبل، غير أنه اختلف في اسم ومكان هذا الجبل، فمثلا في أسطورة "أوتا-نبشتم" جاء أن الفلك رسا على جبل نصير في شمال وادي الرافدين، وظلّ راسياً هناك مدة ستة أيام[2]، كما جاء في الأبيات: [**واستقر الفلك على جبل "نصير"...لقد ضبط (مسك) جبل نصير السفينة ولم يدعها تجري**][3]، وحسب رواية "بيروسوس" جاء استقرار الفلك على جبل "كرديان" أي جبل الأكراد بأرمينيا[4].

وقد جاء في التوراة أن الفلك قد استقر على جبال آراراط في تركيا، كما جاء في الآية: [4**وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ.**][5]، وهناك من ينفي أن السفينة استوت على جبل "أراراط" وذلك لأن ترجمة هذا الاسم في اللغة الآرامية تعني "جبل السخط واللعنة" وفي الأرمينية "جبل النار"، وفي الحقيقة يعتبر جبل "أراراط" جبل بركاني، وذلك يتعارض مع طلب نوح عليه السلام من ربه أن ينزل السفينة بأمان وسلام لقوله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ** ﴿٢٩﴾ ﴾[6]، فما كان ذلك ليكون على جبل بركاني مع إمكانية الثوران في أي وقت، وهو سبحانه الذي يقول أن نوح عليه السلام مستجاب الدعاء.

غير أن التوراة السامرية تشير إلى أن الجبل الذي استوت عليه السفينة كان اسمه "سرنديب" في سيرلانكا، يقول نص التوراة: [4**واستقرت السفينة في الشهر السابع في سبعة عشر يوما من الشهر**

---

(1)- سفر التكوين (8: 2، 3).

(2)- محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص46.

(3)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص184.

(4)- نفسه، ص246.

(5)- سفر التكوين (8: 4).

(6)- سورة المؤمنون، الآية: 29.

على جبال سَرَنْدِيب][1]، ويقول ابن الوردي: «ان جبل "سرنديب" هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند، وهو الجبل الذي أهبط عليه آدم ﷺ، وعليه أثر قدمه غائصاً في الصخرة، وطوله سبعون شبراً»[2].

وقد جاء في القرآن الكريم أن فلك نوح ﷺ قد استقر على جبل الجودي بتركيا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾** ﴾[3]، وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم كان أبلغ من حيث التعبير على وصول الفلك إلى مكان آمن ومبارك كما جاء في قوله: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾** ﴾[4]، فقد جاء مصطلح "استوت" دون استقرت، لما في الاستواء من إشعار بالجلوس المتمكن، الذي لا زيغ فيه ولا ميل ولا حركة، وبه تسكن قلوب ركاب السفينة ويسهل خروجهم منها بدون خوف[5].

د. مدة الطوفان:

تتفق الأسطورة السومرية وأسطورتي "أوتا-نبشتم" و"اترا-حاسس" على أن الطوفان كان سبعة أيام، بينما تزيد المدة في التوراة عن ذلك بكثير؛ حيث ذكرت أن أقصر مدة أربعون يوما، وأكبرها 371 يوماً، في حين سكتت أسطورة "بيروسوس" عن ذلك، كما سكت القرآن الكريم، ولم يرد في أي منهما أي إشارة للفترة التي قضاها الطوفان والناجون في الفلك.

وورد في الأسطورة السومرية أن الطوفان دام سبعة أيام بلياليها[6]، كما تبين الابيات: [...**وبعد أن استمر الطوفان سبعة أيام وسبع ليالٍ، اكتسح الطوفان البلاد**][7]، وجاء عن مدة

(1)- التوراة السامرية، سفر التكوين (8: 4).

(2)- ابن الوردي، المرجع السابق، ص 276.

(3)- سورة هود، الآية: 44.

(4)- سورة المؤمنون، الآية: 29.

(5)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص77.

(6)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص282.

(7)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

الطوفان في أسطورة "أوتا-نبشتم" أنه دام ستة أيام وسبع ليال[1]، وفق ما تذكره الابيات: [...**ولما حلّ اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)**][2]، واستمرت العاصفة والمطر في أسطورة "اترا-حاسس" مدة سبعة أيام وسبع ليالٍ[3]، كما جاء في الابيات: [**لسبعة أيام وسبع ليال هبّت السيول، والعواصف والطوفان**][4].

أما التوراة فيفهم من آياتها أكثر من رأي عن مدة الطوفان، فقد ذكرت أن الطوفان دام أربعون يوما كما جاء في الآية: [**17وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ.**][5]، وجاء في الاصحاح السابع أن الطوفان بدأ وعمر نوح عليه السلام 600 سنة وانتهى وعمره 601 سنة وعشرة أيام، كما جاء في الآيات: [**11فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ اليَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.**][6]، والآية: [**13وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأو لِ فِي أو لِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأَرْضِ. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأَرْضِ قَدْ نَشِفَ. 14وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ.**][7]، فتكون مدة الطوفان عام وعشرة ايام أي 364 يوما.

وجاء في موضع آخر أن الطوفان كان على فترتين تعاظم الماء في 150 يوما وتراجع في نفس المدة، كما جاء في الآيات: [**24وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.**][8]، **والآية:** [**3وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ،**][9]، وبالتالي تكون مدة الطوفان 300 يوم، وتذكر الآيات أيضا أن نوح عليه السلام انتظر في الفلك بعد أن انتهى

(1)- U. Cassuto, Op. Cit, p9.

(2)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، 184.

(3)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص269.

(4)- ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص79.

(5)- سفر التكوين (7: 17).

(6)- سفر التكوين (7: 11).

(7)- سفر التكوين (8: 13، 14).

(8)- سفر التكوين (7: 24).

(9)- سفر التكوين (8: 3).

الطوفان مدة أربعون يوما، ثم بدأ في إطلاق الطيور للتأكّد من انحسار الماء في مدة 21 يوم كما تبين الآيات: [8**ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، 9فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. 10فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، 11فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. 12فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعْ إِلَيْهِ أَيْضًا.**]، فكانت المدة التي قضاها نوح عليه السلام ومن معه في الفلك 361 يوم ما يوافق السنة كما يذكر مفسري التوراة[2].

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد سكت عن مدة الطوفان، ولم يرد أي تفصيل عن ذلك، والأحسن أن لا يجد قارئ القرآن أي ذكر لذلك، على أن يجد في نفس المصدر أكثر من مدة، بل وتتناقض فيما بينها، لأن ذلك يفتح للقارئ النبه مجالا للشك في المصدر، وذلك لا يتناسب وقدسية الكتب السماوية، ويقول عنها سبحانه وتعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾** ﴾[3]، وقال في موضع آخر: ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾** ﴾[4].

إن ذلك التحريف الذي طال الكتاب المقدس كما سبق الذكر جعل المولى عز وجل يعوّض كل الكتب السابقة بكتاب، لا خطأ، ولا ريب فيه، وهو القرآن الكريم، وقد ذكر ذلك في كتابه العزيز

(1)- سفر التكوين (8: 8- 12).

(2)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص27.

(3)- سورة المائدة، الآية: 41.

(4)- سورة آل عمران، الآية: 71.

الحكيم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ ﴾[1].

3. ما بعد الطوفان:

انقضى الطوفان بعد أن أهلك الأرض وما عليها كما كان مقدر له أن يكون، وتراجع الماء وكان ذلك وفق دلائل؛ فقد عرف نوح عليه السلام بانتهاء الطوفان وتراجع الماء ورجعت الأرض لما كانت عليه قبلا، وكان جزاء نوح عليه السلام لأنه أنقذ الناجين من الطوفان كما سلف الذكر، والجزاء اختلف من رواية لأخرى، وفيما يلي ما كان من الأحداث التي تلت نهاية الطوفان:

أ. نضوب الماء:

تتمثل علامة نضوب الماء في الإشارة التي تدل على انحسار الماء، وتتفق بعض الأساطير مع التوراة على أنها كانت إطلاق الطيور، غير أن القرآن الكريم لم يذكر أي شيء عن ذلك، لأن الله ﷻ قد علم بانحسار الماء، فأمر نوح عليه السلام بالنزول من الفلك فكان ذلك، بينما تروي الأساطير البابلية – أسطورتي "أوتا–نبشتم" ورواية "بيروسوس"– أن كل من "أوتا–نبشتم" و"اترا–حاسس" كانا في كل مرة يرسلان طيراً للتأكد من انحسار الماء والنزول من الفلك.

ففي أسطورة "أوتا–نبشتم" جاء أنه بعد رسو السفينة على جبل نصير بسبعة أيام، أرسل "أوتا–نبشتم" الطيور لمعرفة انحسار الماء، وكانت أولها حمامة ثم طائر سنونو ثم غراب، وقد استطاع من هذا الأخير أن يعلم بانحصار الماء[2]، كما ورد في الابيات: [...**ولما حلّ اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)، طارت الحمامة ولكنها عادت...، واخرجت السنونو وأطلقته، ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعا يحط فيه، ثم اخرجت غرابا وأطلقته، فذهب الغراب، ولما رأى المياه قد قرّت وانحسرت، أكل وحام وحط ولم يعد**][3].

(1)– سورة فصلت، الآية: 41، 42.

(2)– محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص46.

(3)– طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص184، 185.

وجاء في رواية بيروسوس أن "اكسيسوثروس" أطلق –لمعرفة انحسار الماء من عدمه– سراح بعض الطيور، ولما عادت عرف أنها لم تجد مكان تحط فيه، وثم أطلقها بعد أيام أخر فإذا بها تعود ملوثة الأرجل بالطين، وفي المرة الثالثة لم تعد الطيور إلى الفلك فعلم أن المياه انحسرت(1).

كما جاء في التوراة أن نوح عليه السلام قد فتح طاقة الفلك بعد أربعين يوما من استقرار الفلك، وبدأ بإرسال الطيور لمعرفة انحسار الماء فأرسل غراباً، غير أن هذا الأخير لم يرجع وظلّ يتردد على الفلك، فأرسل حمامة فرجعت إليه ولم تجد لرجلها موضعاً، وبعد سبعة أيام أرسلها من جديد لتنظر إذا انحصر الماء، ولم ترجع إلا في المساء وفي فمها ورق زيتون فعلم نوح عليه السلام أن الماء قد قلّ ، ثم لبث سبعة أيام وأرسلها من جديد فلم ترجع للفلك فعلم أن الأرض قد برزت، وأكمل نوح عليه السلام السنة من اندلاع الطوفان إلى انحصار الماء، وذلك واضح في الآيات التالية: [**6وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، 7فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. 8وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: 9دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا.10وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. 11فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. 12وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.**](2).

يظهر مما تقدّم التشابه الكبير بين الرواية البابلية والرواية التوراتية للطوفان، وذلك ما يؤكّد بعد الأخيرة عن الوحي الإلهي فلو أن التشابه كان بين التوراة والقرآن لكان مقبولاً، لأن كلا الكتابين وحي إلهي، أما أن تتشابه أسطورة بابلية(3)، مع التوراة التي نزلت في القرن 15 ق.م، فذلك يفتح بابا للتشكيك في صحة المعلومات التي جاءت في التوراة خاصة، ويضيف أدولف لودز أن مصدر الرواية الكهنوتية هو ما ورد عن الطوفان في ملحمة جلجامش، وذلك للتشابه الكبير بين القصتين(4).

(1)– كارم محمود عزيز، المرجع السابق، ص208، 209.

(2)– سفر التكوين (7: 6- 12).

(3)– فراس السواح، (جلجامش)، المرجع السابق، ص86، 87.

(4)- Adolphe Lods, (Israel), Op. Cit, p397.

ب. مباركة نوح عليه السلام:

تجمع المصادر على أن الناجي من الطوفان كان من البشر، وعاش عمراً مديداً، إلا أنه في النهاية يكَرّم ويؤتى مرتبة عالية، ففي الأساطير جاء أنه يؤّله ويصبح من الخالدين، لأنه ما من تكريم أفضل من جعله خالداً يعيش في مصاف الآلهة، ففي أسطورة الطوفان السومرية يظهر أن زيوسدرا كوفئ جراء إنقاذه للبشرية، ومنح الخلود في دلمون مثل الآلهة(1)، كما ورد: [...**الملك "زيوسدرا" سجد أمام "آن" و"أنليل" واصطفى آن وأنليل زيوسدرا ووهباه الحياة مثل إله...وفي ارض العبور في ارض دلمون الموضع الذي تشرق منه الشمس اسكناه هناك**](2)

وقد جاء في الأسطورة البابلية أن "أوتا–نبشتم" قد قدّم القرابين ووضع البخور على قمة الجبل، وقام "أيا" بمباركة "أو تا–نبشتم" وزوجته، وجعله إلاها يعيش في مصاف الآلهة في دلمون(3)، كما ورد في الابيات: [**وعند ذاك أخرجت كل ما في السفينة إلى الرياح الاربع وقربت قربانا وسكبت الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل... فتنسم الآلهة شذاها...فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم ذباب...ثم علا انليل فوق السفينة وامسك بيدي واركبني معه في السفينة واركب معي ايضا زوجي وجعلها تسجد بجانبي ووقف بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلاً: لم يكن أوتنابشتم قبل الآن سوى بشر، ولكن منذ الآن سيكون "أوتو–نبشتم" وزوجه مثلنا نحن الآلهة وسيعيش "أوتو–نبشتم" بعيدا عند فم الانهار**](4)، كما جاء في رواية بيروسوس أن "اكسيسوثروس"، سجد لربه وقدَّم القرابين للآلهة وبنى لها مذبحاً، فاختارته الآلهة بفضل ورعه ليسكن إلى جوارها هو وزوجته وابنته وربان الفلك(5).

أما في المصادر المقدسة فجاء فيها أن البركة كانت جائزة نوح عليه السلام، فقد باركه الله قبل الطوفان باختياره كمنقذ، ثم بعد نجاحه في إنقاذ البشر من الطوفان، وحملهم في فلك إلى بر الامان، وجاءت البركة بمعنى كثرة العدد، وذلك لأن بعدها وجوب الكثرة "اثمروا وأكثروا"(6)، كما جاء في

(1)- Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p206, 207.

(2)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص311.

(3)- Morris Jastrow, Op. Cit, p452.

(4)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص ص184- 188.

(5)- محمد بيومي مهران، (تاريخ)، المرجع السابق، ص77، 78.

(6)- الباجي، المصدر السابق، ص71.

التوراة: [1**وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُو ا الأَرْضَ.**][1]، وكذلك جاء في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى جازى نوح عليه السلام بالبركة هو ومن معه في الفلك، في قوله تعالى: ﴿ **قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨** ﴾[2]، ويقصد الله عز وجل الخير والنمو في كل الجهات، والذي يعم جميع المؤمنين من ذرية نوح عليه السلام من بعده ونسلهم إلى يوم القيامة[3]، وتجدر الإشارة إلى أن ذلك كان من فضل الله على عبده، فقد دعا أن ينزله في مكان آمن ومبارك، حتى أن البعض ذهب إلى أن ذلك دليل على أن مهبط نوح عليه السلام كان في الجزيرة العربية، وتفنيد لهبوط نوح عليه السلام كما ورد في التوراة في جبل "ارارط"، وهو جبل بركاني نشط كما سبق الذكر[4].

ج. الميثاق مع الرب:

تحدثت التوراة من جهة والأساطير من جهة أخرى على ميثاق أبرمه الله مع نوح عليه السلام، وقد اتخذه الرب ليتذكر إقراره الطوفان، وإهلاك الجنس البشري بعدما ندم على ذلك، فكان الميثاق وعد منه لكي لا يُغرق الارض من جديد بطوفان مماثل، وقد كانت هذه الفكرة قد وردت في التوراة، وقبلها في الأسطورة البابلية فقط.

فقد جاء في بعض المصادر إيحاءات وثنية كما سلف الذكر فمثلا نجد في الأساطير ان الله يتلذذ بالدماء، وانه يظلم إلى غير ذلك من الصفات التي أعجز عن إدراجها في هذا المقام، مثل التوراة التي تتحدث عن المولى عز وجل، وكأنه ندم على قرار الطوفان الذي أخذ بعباده وكأنه لم يتوقع النتيجة.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الإشارات غائبة في وحي الله سبحانه وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الله عز وجل يعلم ما سيحدث فهو من كتب قدر كل مخلوق على الارض وهو من سخَّر الارض لعباده وحباهم بالخيرات لينعموا بها، وأخّر العذاب إلى يوم القيامة، لذلك لا نجد في القرآن الكريم إشارة إلى تراجع الله عز وجل عن قراره، واتخاذه الميثاق مع عباده لكي لا ينسى ما حلّ بهم.

---

(1)- سفر التكوين (9: 1).

(2)- سورة هود، الآية: 48.

(3)- الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص287.

(4)- قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المرجع السابق، ص148.

وجاء في الأسطورة البابلية أن العهد كان مع عشتار بأن أعطاها "آنو" عقداً من اللازورد رفعته للآلهة، لكي لا ينسوا ما حدث بعدما تنسموا رائحة قربان "أوتا-نبشتم" وتجمعوا حوله -عدا أنليل- وكان رد فعل الآلهة أن أشفقت على البشرية، وعلى ما حلّ بالأرض، وهلعت من هوله وارتقت إلى السماء[1]، كما ورد في الابيات: [**رفعت عقد الجواهر الذي صاغه لها "آنو" وفق هواها، وقالت: "أنتم ايها الآلهة الحاضرون: كما انني لا انسى عقد اللازورد هذا الذي في جيدي، سأظل أتحسس هذه الايام ولن انساها ابدا"**][2].

وجاء في التوراة أن الله سبحانه وتعالى أقام عهداً مع نوح عليه السلام ومخلوقات الفلك التي نجت من الطوفان، وكل ذرية نوح عليه السلام من بعده أن لا يبعث طوفاناً آخراً يغرق الأرض ومن عليها لأنه ندم على الطوفان العظيم، كما جاء في قوله في الآيات: [**[8]وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعهُ قَائِلاً: [9]«وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، [10]وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وُحُوشِ الأَرْضِ الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلْكِ حَتَّى كُلُّ حَيَوَانِ الأَرْضِ. [11]أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ»..**][3]، وقد تكرّر ذلك الوعد في أكثر من موضع ربما كان ذلك للتأكيد أو للأخطاء التي وقع فيها مدونو التوراة.

وقد تمثل العهد الذي أبرمه الله مع مخلوقاته في قوس قزح، كما ورد في الآيات: [**[12]وَقَالَ اللهُ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: [13]وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. [14]فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، [15]أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. [16]فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ».**][4].

---

(1)- فراس السواح، (القصص)، المرجع السابق، ص203.

(2)- طه باقر، (ملحمة)، المصدر السابق، ص186.

(3)- سفر التكوين (9: 8- 11).

(4)- سفر التكوين (9: 12- 16).

وتجدر الإشارة إلى أن الميثاق لم يكن مع نوح عليه السلام فقط بل كان مع أنبياء من بعده مثل يعقوب واسحاق وابراهيم[1] عليهم السلام، فقد جاء في موضع آخر من التوراة: [42**أَذْكُرُ مِيثَاقِي مَعَ يَعْقُوبَ، وَأَذْكُرُ أَيْضًا مِيثَاقِي مَعَ إِسْحَاقَ، وَمِيثَاقِي مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَذْكُرُ الأَرْضَ. 43وَالأَرْضُ تُتْرَكُ مِنْهُمْ وَتَسْتَوْفِي سُبُوتَهَا فِي وَحْشَتِهَا مِنْهُمْ، وَهُمْ يَسْتَوْفُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لأَنَّهُمْ قَدْ أَبَوْا أَحْكَامِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُهُمْ فَرَائِضِي. 44وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ أَيْضًا مَتَى كَانُوا فِي أَرْضِ أَعْدَائِهِمْ، مَا أَبَيْتُهُمْ وَلاَ كَرِهْتُهُمْ حَتَّى أُبِيدَهُمْ وَأَنْكُثَ مِيثَاقِي مَعَهُمْ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ. 45بَلْ أَذْكُرُ لَهُمْ الْمِيثَاقَ مَعَ الأو لِينَ الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ لأَكُونَ لَهُمْ إِلهًا. أَنَا الرَّبُّ»..**]**[2].

وأن الله سبحانه وتعالى المنزَّه عن الخطأ قدّر الطوفان على قوم نوح عليه السلام، وهو عالم بمن سيغرق وما سيؤدي له الطوفان، فالقرآن الكريم لا توجد فيه أي من المغالطات التي وردت في التوراة؛ فالله سبحانه وتعالى عالم بقدر كل مخلوق، ولا يندم على قرار اتخذه في قوم كفروا به وبنبيه وصبر عليهم أكثر من 950 سنة، كما أنه خصّ نوح عليه السلام بالثناء بأن يذكر في كل قوم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[3]، كما جعل الله سبحانه وتعالى قصة نوح عليه السلام مع قومه وسفينته ذكرى وآية للعالمين، كما جاء قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾** ﴾[4]، وجاء قوله تعالى أيضا في موضع آخر: ﴿ **وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾** ﴾[5].

4. مسألة شمول الطوفان الأرض:

اختلفت الآراء حول مسألة شمول الطوفان من عدمه، نظراً لكون القضية قد أخذت بعداً دينياً، واستراتيجياً، وحضارياً، وكثُرت التساؤلات حول ما إذا كان الطوفان عالمياً، أي شمل كل الأرض

(1)- عبد الستار قاسم، المرجع السابق، ص41.

(2)- سفر اللاوين (26: 42- 45).

(3)- سورة الصافات، الآية: 78- 80.

(4)- سورة القمر، الآية: 15.

(5)- سورة يس، الآية: 41.

كما جاء في التوراة، أو إقليمياً كما توحي آيات القرآن الكريم، أو بين هذا وذاك كما يفهم من نصوص الأساطير الرافدية، وقد حاولت أن أدرج الآراء للوصول إلى رأي أكثر منطقية كما سيأتي:

أ. في الأساطير:

تراوحت معاني المصطلحات التي وردت في الأساطير عن وصف الطوفان بين العالمية والإقليمية، فقد وردت في نصوص الأساطير الرافدية ما يوحي بشمول الطوفان، ولكن تظهر بعض الشكوك والتأويلات لمعاني كلماتها، ما يدل على أن الطوفان عمّ فقط بقعة معينة من حضارة وادي الرافدين دون سواها.

جاء في الأسطورة السومرية أن الملوكية قد نزلت من السماء على الأرض في خمس مدن هي: "أريدو"، و"باد-تيبيرا"، "لاراك"، "سيبار"، "شوروباك"[1]، وذلك دليل على أن الطوفان قد عمّ المدن التي نزلت فيها الملوكية ولم يعم كل الأرض.

وجاء في موقع آخر: [**أن طوفانا سيدمر مراكز العبادة**][2]، وفي ذلك دليل على أن الطوفان في الأسطورة السومرية كان خاصاً بمنطقة معينة كما توحيه مراكز العبادة، ولكن سرعان ما تلحق بهذه الابيات بيت يدل على أن الطوفان جاء لإهلاك البشرية[3]، وكيف ذلك إن لم يكن الطوفان عالمياً كما جاء في الابيات: [**وتهلك ذرية البشر**][4]، وفي وصفه لأحداث الطوفان يذكر أن هذا الأخير عمّ البلاد وذلك دليل على أن رقعة الطوفان كانت صغيرة ومحدودة[5]، أي أن الطوفان أغرق البلاد التي وقع فيها الطوفان كما جاء في الابيات: [**واكتسح الطوفان البلاد**][6].

وجاء في موضع آخر من نص أسطورة "أوتا-نبشتم" قوله: [**وتحطمت الارض الفسيحة كما تتحطم الجرة...وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد**][7] ويوحي ذلك إلى أن مياه الطوفان شملت كوكب الأرض، وتوحي هنا الأرض الفسيحة بشمول الطوفان الأرض، ويرى البعض الآخر أنه من المستحيل

(1)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص21، 22.

(2)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

(3)- قاسم الشواف، المرجع السابق، ص281.

(4)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

(5)- صلاح ابو السعود، المرجع السابق، ص188.

(6)- صمويل كريمر، المصدر السابق، ص310.

(7)- طه باقر، (ملحمة)، المرجع السابق، ص181.

لـ"أوتا-نبشتم" أن يرى الكرة الأرضية كاملة، وبالتالي يذكر أن هذا تهويل فقط أو كناية عن الأرض التي يسكنونها وليس كل الكرة الأرضية[1]، وجاء في موضع آخر [**لقد عادت الايام الأو لى إلى الطين**][2] وفي ذلك دلالة على أن فناء البشر أجمعين، ولو أن ذلك صعب على "أوتا-نبشتم"، لأنه لم يكن له أن يرى كل البشر على الكرة الأرضية ويروي لنا عن فناءهم، أما رجوعهم إلى الطين، فيدل على أنهم ماتوا وملأت جثثهم سطح الأرض، وبالتالي فالعبارات التي وردت في الأساطير والتي تبين شمول الطوفان ظاهرياً ليست بالضرورة هي صادقة، خاصة اذا ما كانت عرضة للنقد، وإذا كان هذا الأخير يعتمد براهين ودلائل أكثر منطقية.

ب. في التوراة:

جاء في التوراة أن الطوفان شمل جميع الأرض، فالمياه ارتفعت وغطت جميع الجبال الشامخة، وارتفعت الأمواج فوقها بخمسة عشر ذراعا، ومحا الله عن وجه الأرض جميع الأحياء من بشر وحيوانات وطيور وحتى الزواحف، كما جاء في الآيات: [**19وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. 20خَمْسَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. 21فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ.**][3]، وقد تكرّر تأكيد موت كل الأحياء في الآيات اللاحقة لها، غير أن هذا التكرار في الحقيقة مظهر من مظاهر الخلط الذي نتج عن مزج الروايات في التوراة، مثل الآيات: [**22كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. 23فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ..**][4].

وقد ورد تأكيد على شمول الطوفان حتى في العهد الجديد، مثل ما ورد في انجيل متي: [**39وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ.**][5]، وكما جاء في انجيل

(1)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص52.

(2)- طه باقر، (ملحمة)، المرجع السابق، ص182.

(3)- سفر التكوين (7: 19-21).

(4)- سفر التكوين (7: 22، 23).

(5)- انجيل متي (24: 39).

لوقا: [27**كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ، إِلى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلْكَ، وَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ.**][(1)]

ويذكر مفسري التوراة أن الطوفان إما كان محلياً أو شامل، إما كان الطوفان عالمياً وغطى كل الأرض، أو أنه قد أهلك جميع الأجزاء المسكونة منها، ليمحوا كل شر من الأرض[(2)]، وفي حقيقة الأمر ورد في التوراة بشكل صريح أن الطوفان غمر كل الأرض، ومن آياتها بعض الأدلة:

من دلائل غمر الماء للأرض في التوراة أن نوح عليه السلام عندما فتح كوة الفلك ليستطلع انحصار الماء وبعث الغراب والحمامات وجد الأرض غاصة بالمياه، إلى أن انبأه الله بجفاف الماء من على سطح الأرض، كما ورد: [7**فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ.** 8**وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ:** 9**دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلى نُوحٍ إِلى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا.**10**وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ.** 11**فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ.** 12**وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.** 13**فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلى الْفُلْكِ.**][(3)].

كما جاء في التوراة أن مياه الطوفان قد أهلكت كل ما له نفَس على الأرض، وهذا دليل على أن الطوفان كان شاملاً لكل الأرض حسب ما ورد في التوراة: [21**فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ.** 22**كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ.** 23**فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ.**][(4)].

---

(1)- انجيل لوقا (17: 27).

(2)- بروس بارتون وآخرون، المرجع السابق، ص26.

(3)- سفر التكوين (7: 7- 13).

(4)- سفر التكوين (7: 21- 23).

ولكن إذا كانت المياه تصل إلى ارتفاع خمسة عشر ذراعاً فكيف أدركت المياه الطيور التي وإن كانت على الأرض تهب مسرعة إذا أحسّت بالمياه الجارفة؟[1]، وهل يعقل أن مياه بارتفاع خمسة عشر ذراعا كافية لطمر الجبال، هي في الحقيقة تكفي لتغمر الأرض لا الجبال خاصة الشامخة، مع أن التوراة ذكرت أن مياه الطوفان طمرت حتى أعالي الجبال، إلا إذا كان ارتفاع الماء حسب ابن كثير فوق أعلى جبل في الأرض بخمسة عشر ذراعاً[2].

ومن دلائل الإشارة إلى شمول الطوفان في التوراة أن الله صرّح بأن نوح عليه السلام وبنوه وما أنقذوه من الحيوانات والطيور، كانت لهم مهمة تعمير الأرض لأن الطوفان قضى على كل حي فوق الأرض، كما ذكرت الآيات حول تعمير الارض: [15**وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلاً:** 16**«اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ.** 17**وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأَرْضِ».** 18**فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ.** 19**وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلُّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلُّ الطُّيُورِ، كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ.**][3]. ولعل ذلك حكمة من الله ﷻ لاستئناف الحياة بعد انتهاء الطوفان، وأما إمكانية الانقراض فهي غير واردة، لأنها تتنافى ما يصدِّقه العقل، فلا يعقل ما ورد في التوراة أن نوح عليه السلام حمل من كل حيوانات الأرض اثنين ذكرا وأنثى وهي تتغذى على بعضها البعض.

ومن ثمّ فإن نوح عليه السلام حمل من كل حيوانات المنطقة، وأن الله لم يطلب منه أن يجوب الكرة الأرضية بحثا عن الحيوانات التي خلقها الله، ويحشر الذكر منها والأنثى في الوقت الضيق الذي يلي فوران التنور ويسبق الطوفان، وبالتالي ذلك يرجّح أن الله ﷻ أمره بحمل اثنين من حيوانات منطقته العشبية التي يحتاجون إليها لبدء حياة جديدة مع القليل ممن آمن به من أهله[4].

ووضحت فيما سبق دلائل أوردتها التوراة عن عموم الطوفان وعالميته، ولكنها حوَت كذلك مجموعة من التناقضات فإذا أخذنا بالدلائل فكيف لا نعير اهتماما بالتناقضات التي تصل أحيانا إلى

(1)- عبد الوهاب عبد الرزاق الرأو ي، المرجع السابق، ص118.

(2)- ابن كثير، (قصص)، المرجع السابق، ص93.

(3)- سفر التكوين (8: 15- 19).

(4)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص79.

تفنيد هذه الدلائل؛ فمثلاً كيف نسّلم بأن الطوفان قد شمل الأرض من التوراة وهي تنفيه، يرى في ذلك موريس بوكاي أن عصر سيدنا ابراهيم يحدّد بالسنوات (1850–1800ق.م) فإذا كان الطوفان قد حدث قبل 292 سنة من ابراهيم –كما توحي بذلك رواية سفر التكوين في الأنساب– فإن الطوفان وقع في الفترة من القرن الواحد والعشرين إلى القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد، وذلك العصر الذي ظهر في نقاط مختلفة من الأرض حضارات ومجتمعات انتقلت اطلالها للأجيال التي تلتها، والمعارف التاريخية الحديثة تسمح بتأكيد هذه الحقيقة، على سبيل المثال: في هذه الفترة بالنسبة لمصر هي التي تسبق الدولة الوسطى (2100ق.م)، وهذا بالتقريب تاريخ الدولة الوسطى قبل الأسرة الحادية عشر، وبالنسبة لبابل كانت هذه في هذه الفترة أسرة أور الثالثة، ومن المعروف جدا أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات أو غيرها، وبالتالي فلم يحدث إفناء للبشرية برمتها، أو عمَّ المخلوقات الحية مع البشر كما ورد في التوراة[1].

ج. في القرآن الكريم:

لم يصّرح الله ﷻ في القرآن الكريم عن مسألة عالمية الطوفان كما جاء في الأساطير أو في التوراة، إلا أننا يمكن ان نستشّف بعض الدلائل على عدم شموله، فبعض الآيات التي تحدثت عن الطوفان ودعوة نوح عليه السلام لقومه، جاء في القرآن الكريم أن نوح عليه السلام لم يكن يخاطب بدعوته إلا قومه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤** ﴾[2]، بمعنى تكرار "ارسلنا نوحا إلى قومه" و"فقال يا قوم" و"من قومه"، وذكر قوم نوح عليه السلام في هذه الآية دليل على أنه خاطب قومه، وبعث لهم دون سائر البشرية، فلم يخاطب البشرية جمعاء كما خاطبها محمد ﷺ[3].

---

(1)– موريس بوكاي، المرجع السابق، ص62، 63.

(2)– سورة المؤمنون، الآية: 23، 24.

(3)– لأن دعوة محمد ﷺ جاءت للبشرية جمعاء، كما جاء في قوله تعالى في سورة الاعراف: ﴿ **قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨** ﴾، وجاءت صراحة عموم دعوته للبشرية في قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٨** ﴾.

كما جاء في الكتاب العزيز الحكيم أن الله سبحانه وتعالى كان في كل مرة يتحدث عن دعوة نوح عليه السلام ويربطها بقومه فقط دون كل البشرية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾** ﴾[1]، كما جاء في كل مرة حوار نوح عليه السلام مع قومه وخطابه لقومه دون سائر البشرية، كما نرى في قوله تعالى في سورة نوح: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾[2]، وإن دلّ ذلك على شيء فإنه يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد بعث بنوح عليه السلام لقومه فقط، فكيف له وهو الحق العدل أن يأخذ أقوام بذنب قوم آخرين دون أن تأتيهم رسالة سماوية أو نبي مكلَّف، وهو الذي يقول في موضع آخر: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾** ﴾[3].

وتجدر الإشارة إلى أن عبارة "ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه" قد وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات في سور متعددة (المؤمنون، هود، العنكبوت، الأعراف)، وذلك تأكيد صريح –من الله سبحانه وتعالى– على أن القرآن الكريم وإن لم يشِر صراحة إلى الإقليم الذي شمله الطوفان —كما حدد مراسي السفينة– قد أكّد في كل مرة على أن الطوفان لم يكن حدثاً عالمياً، وإنما اختص بمنطقة محددة وقوم معينين دون غيرهم.

وقد كان الله عز وجل في كل مرة –في خطابه مع رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية عن أمم من قبله– يذكر قوم نوح عليه السلام في مصاف الأقوام الظالمة، والتي أخذها الله بذنبها وإن اختلف العذاب، كما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾** ﴾[4]، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ**

(1)– سورة الحج، الآية: 42، 43.

(2)– سورة نوح، الآية: 5.

(3)– سورة القصص، الآية: 59.

(4)– سورة العنكبوت، الآية: 40.

نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ﴾[1].

كما أنه بعقابه لقوم نوح عليه السلام دون سائر البشرية أخلفهم أقوام من بعدهم، وذكر ذلك في كتابه العزيز، فقد أشار في كل مرة إلى أنه استخلف قوما بقوم لا البشرية بقوم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

وقد حاول البعض الاجتهاد في تفسير بعض الآيات المتعلقة بالطوفان لإيجاد دليل على عموم الطوفان من القرآن، وتصديق ما جاء في التوراة صراحة، فاستدلوا بعدة نقاط لإثارة ذلك الشك؛ كان أولها علو الأمواج بارتفاع الجبال، حيث قيل إذا غطت الامواج الجبال فكيف لا تغطي كل اليابسة وأعلى نقطة تضاريسية غمرتها المياه، مع أن علو الأمواج كان اشارة لوصف تعاظم الماء وهول الطوفان لا شموله، كما جاءت فكرة حمل زوجين من الحيوانات مع نوح عليه السلام الذكر والأنثى للتأكيد على أن الطوفان لم يختصّ بمنطقة معينة، وإلا فما الحاجة لزوجي الحيوانات في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

هذا التفسير حمل مجموعة أخرى من الباحثين على تأكيد بطلان ذلك بتفسير قوله تعالى في نفس السياق: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي

(1)- سورة ابراهيم، الآية: 9.

(2)- سورة الأعراف، الآية: 69.

(3)- سورة هود، الآية: 40.

﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[1]، واستدلّوا على ذلك بتفسير العبارة "فاسلك فيها" دلالة على انها منقادة غير متعصبة، أي سهلت مسالكها وطرقها[2]، وهي تحمل معها معنى السهولة واليسر كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ ﴾[3]، والسهولة السالفة الذكر تقتضي أن حمل الحيوانات، لم يكن بالصعوبة التي تستلزم حمل كل الحيوانات المتوحشة والاليفة في نفس الوقت على اختلاف بيئاتها، كما أن التوراة هي التي هوّلت حمولة نوح عليه السلام بإقرارها بأنه حمل كل الأنواع حفظا لها من الفناء، وأن الطوفان عمّ جميع الأرض، ولذلك هناك من ذهب إلى أن نوح عليه السلام حمل معه الحيوانات الأليفة، التي لا استغناء عنها في معيشة قوم نوح عليه السلام بعد الطوفان[4].

كما رجع البعض الآخر للاستدلال على عموم الطوفان من القرآن إلى دعاء نوح عليه السلام على قومه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ ﴾[5]، مع أن نوح عليه السلام لم يقصد الأرض ومن عليها، بل الأرض التي عليها قومه مثل قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾[6]، فالأرض في هذه الآية تعني أرض مصر وليس كل الأرض[7]، يتأكد مما سبق أن الله سبحانه وتعالى لم يشر في كتابه العزيز إلى عموم الطوفان كل الأرض.

---

(1)- سورة المؤمنون، الآية: 27.

(2)- الراغب الاصفهاني، المصدر السابق، ص240.

(3)- سورة القصص، الآية: 32.

(4)- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، المرجع السابق، ص78، 79.

(5)- سورة نوح، الآية: 26.

(6)- سورة يوسف، الآية: 55.

(7)- منصور عبد الحكيم، (طوفان)، المرجع السابق، ص139.

د. في الأبحاث الأثرية:

شغلت مسألة شمول الطوفان الذي كشفت عنه الأساطير الرافدية وأساطير العالم القديم الأثريين والباحثين، وذلك لتأكيد ما جاء في الكتاب المقدس أكثر من نفيه، لأن معظم المنقبين كانوا من أهل الكتاب، وبالتالي من غير المعقول التشكيك في قدسية الكتاب المقدس وما جاء فيه، وفي الحقيقة ذلك صعّب على المتمحص إيجاد إجابة شافية لعموم الطوفان الارض من عدمه.

وبذلك هناك من يؤيد وجهة النظر القائلة بعموم الطوفان، ويستدلّ بتلك الأصداف والمخلفات الحيوانية والنباتية المتحجرة، التي افترض الناس أنه قد عثر عليها مبعثرة في الأماكن المرتفعة والصحاري وقمم الجبال، بعد أن تراجعت مياه الطوفان عنها تلك الأماكن، غير أن تلك الادعاءات سرعان ما نفاها بعض الباحثين، مثل عالم الطبيعة الفيلسوف الايطالي "فراكاستورو"، وقد أورد جيمس فريزر رأيه بأن المخلفات ما كان لها أن تدفن في أعماق الجبال، بل أن تظهر على السطح، ولكن سرعان ما رجعت الأفكار تؤمن بفكرة المخلفات والاصداف المتحجرة لأنه في نهاية القرن السابع عشر ميلادي وحتى نهاية القرن الثامن عشر سيطر جيولوجيون ولاهوتيون من ايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا على التعليلات الاثرية، وأكّدوا أن تلك الأصداف والمخلّفات البحرية هي من طوفان نوح عليه السلام الذي شمل الكرة الأرضية، مصداقا لما جاء في الكتاب المقدس[1].

وقد سجّل الأثريان "ماكس مالوان" و"ليونارد وولي" في إطار تنقيباتهما عن مدن الطوفان في أور، أن الطوفان لم يكن طوفانا شمل الدنيا بأكملها لأنه لم يشمل المدن المجاورة لأور مثل أريدو[2]، ولكنه كان سيلاً طغى على نهري دجلة والفرات، وأغرق كل المنطقة المأهولة الواقعة بين الجبال والصحراء، وفي الحقيقة كانت تلك المنطقة بالنسبة لأهلها هي الدنيا بأسرها[3]، ويذكر محمد بيومي مهران أن المساحة التي شملها الطوفان، ربما كانت 400 ميل (ما يقارب 644 كم) طولا في 100 ميل عرضا (ما يقارب 160 كم)، وأن غالبية السكان قد أغرقهم الطوفان، وأن القوم قد رأوا أن هذه

(1)- جيمس فريزر، المرجع السابق، ص210.

(2)- Max Mallowan, Op. Cit, p71.

(3)- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص74.

الكارثة بمثابة عقاب من الإله بسبب آثام الناس وخطاياهم، وأن القلة القليلة نجت، وعلى رأسهم بطل الطوفان[1].

ويذكر المؤرخون أن نوح عليه السلام كان في وادي الرافدين، وأن قومه يعرفون ببني راسب، وأن الطوفان حدث في وادي الرافدين بحكم أن المنطقة كانت عرضة للفيضانات، والتاريخ يشهد على تكرارها، وتدل آثار الفيضانات المتكررة غير المتزامنة[2] هناك –على أن طوفان نوح عليه السلام الذي يعتبر أحد هذه الفيضانات– أكبر دليل على عدم شمول الطوفان الأرض، وأنه اختص بمنطقة قوم نوح عليه السلام فقط.

وهناك من الأبحاث الأثرية التي انطلقت من مكان رسو السفينة، للوصول إلى إثبات حدوث طوفان نوح عليه السلام وعالميته، ولكنها فشلت في إثبات ذلك، مثل حملة "روبرت دوان بالارد" الذي بحث عن حطام سفينة نوح عليه السلام في البحر الأسود دون أن يجد شيئاً، وكذا حملة "والتر بتمان" و"وليام ريان"، والتي توصّلت إلى أن طوفان آخر حدث في البحر الأسود، ولكنه لا يتزامن مع فيضانات وادي الرافدين حيث أُرخ له بـ7500 ق.م، ولم يوجد له آثار في مناطق مجاورة، وهذا دليل آخر من الأثريين على أن طوفان نوح عليه السلام لم يشمل الدنيا.

من المقارنة بين قصة الطوفان التي جاءت في الأساطير الرافدية وبين القصة الواردة في الكتب السماوية، أن التشابه وارد بين النصوص في كثير من التفاصيل، حيث جاء طوفان جارف بفعل مياه الأمطار الغزيرة من جهة وذوبان الجليد الذي أدى إلى زيادة الضغط على المياه الجوفية المخزونة من جهة أخرى، ومن ثم انفجار الأرض عيوناً، وقضى على المفسدين من قوم نوح عليه السلام إلا هذا الأخير وأبناءه والذين آمنوا به، وليبدؤوا من جديد.

(1)– محمد بيومي مهران، (دراسات)، المرجع السابق، ص40.

(2)– طوفان أور الأول يعود إلى 3500 ق.م، فيضان كيش الأول في 2900 ق.م، فيضان شوروباك حوالي 2850 ق.م، فيضان أور الثاني في حوالي 2700 ق.م، فيضان كيش الثاني في حوالي 2600 ق.م. أنظر: عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، المرجع السابق، ص ص196–200.

وبذلك نرجّح الرأي القائل بأن الطوفان كان شاملا لقوم نوح عليه السلام فقط، وهذا لا يقتضي أن يكون الطوفان عاما للأرض إذ لا دليل على أن البشر كانوا يقطنون الأرض كلها، بل كانوا منحصرين في منطقة معينة وهي التي عمها الطوفان[1]، ومن ثم يكون الاعتقاد أن البشرية في ذلك الزمان كانت فقط قوم نوح عليه السلام، وأن الطوفان عمّ الأرض التي سكنوها، وقضى على جميع الخلائق التي تقطنها إلا نوح عليه السلام وركاب الفلك.

(1)- عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص73.

خاتمة

من خلال دراسة ظاهرة التوحيد في حضارة وادي الرافدين التي اقترنت بدعوة نبي الله نوح عليه السلام، من مصادرها المتمثلة في التوراة والقرآن الكريم وكذا النصوص القديمة التي دونت في الرقم الطينية من اساطير تتحدث عن طوفان ضرب المنطقة، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت عرضة للعديد من الفيضانات، وتجدر الإشارة إلى أن التوراة قد فصّلت في قصة الطوفان تفصيلا كبيراً، في حين جاءت قصة الطوفان في القرآن الكريم مختصرة مقارنة بالسابقة، أما الأساطير فقد جاءت بأحداث الطوفان أحيانا وما منع معرفة بعض التفاصيل التشويه، وقد توصلت الى مجموعة من النتائج سأوجزها في ما يلي:

– التوحيد هو الاعتقاد بإله واحد لا إله غيره، ولا يمكن مزجه بمفهوم التفريد الذي يقضي بعبادة إله أكبر مع عدم نفي الآلهة الأخرى، والتوحيد يقتضي إفراد المعبود بالعبادة من دون غيره ولا شبيه له في العلم والقدرة والصفات.

– لم ترقَ حضارة وادي الرافدين الى التوحيد، فقد عدّد العراقيون القدماء الآلهة بتعدّد المظاهر الطبيعية، وكان لكل إله اسم أو أسماء وصفات وقدرات، بينما عرفوا التفريد مثل الإله أنليل، والإله مردوخ في بابل والإله آشور في آشور.

– يختلف مفهوم التوحيد عند اليهود والنصارى والمسلمين، فاليهود اعتقدوا بإله واحد، كما جاء في دعوة موسى عليه السلام، ولكنهم حادوا عن الطريق، واتخذت الوثنية إلى ديانتهم طريقا فعبدوا آلهة أجنبية أخرى، كما أصبغوا إلههم بصفات بشرية كالندم والغفلة والجهل...، اما التوحيد عند النصارى كان في الأصل موجودا حيث جاء عيسى عليه السلام كغيره من الأنبياء بعبادة الله وحده لا شريك له، ولكنهم في مرحلة من مراحل مواجهة الرومان للمسيحية تسرّبت إلى النصرانية فكرة التثليث، واعتبار الله ثلاثة أقانيم تتمثل في الأب والابن وروح القدس، اما التوحيد عند المسلمين الذي جاء به محمد ﷺ يقتضي عبادة الله الواحد الأحد لا إله غيره، وهو أول ركن من أركان الإسلام.

– النبوة ارتبطت بصفة عامة بدعوات الأنبياء عليهم السلام، وهي تختلف بين اليهود والنصارى عن النبوة عند المسلمين، فقد عرف اليهود النبوة بحكم حصولهم على عدد كبير من الأنبياء، ولكنهم

حرّفوها ومزجوا بينها وبين الكهانة والعرافة والتنبؤ، أما النبوة في القرآن الكريم فتتعلق بمن يؤتى الوحي الإلهي ليبلغه لقومه كما جاء في نبوة نوح عليه السلام، أو يبلغ الناس أجمعين كما جاء في دعوة محمد ﷺ.

– وقد تميّزت النبوة بمجموعة من الصفات مثل الوحي الذي يأتي من المولى عزّ وجل بعد اختيار من يحملها وتفضيله على سائر البشر، وأن يدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما أنها تقتضي أن يعصم النبي من الأخطاء ليكون قدوة لقومه وأهلا للدعوة، ويؤيده الله سبحانه وتعالى بمجموعة من الآيات والمعجزات التي تسهم في إقناع قومه بصحة دعوته.

–التوراة هي كتاب اليهود المقدس ويمثل جزءاً من العهد القديم وأحيانا يصطلح على هذا الأخير باسم التوراة وهي تتكون من خمسة أسفار، أهمها بالنسبة لموضوع الطوفان هو أول الاسفار سفر التكوين، وقد دونت التوراة بعد موسى على يد عزرا الكاتب، وأدخلت إليها العديد من الأحداث جعلت الاختلاف في أسلوب كتابتها والتكرار الوارد فيها دليل على أنها من تدوين محررين مختلفين عاشوا بعد موسى بزمن طويل، وأياً كان تاريخ تدوينها فبمجرد إثبات أنها ليست توراة موسى عليه السلام تؤكد على تحريفها كما جاء في القرآن الكريم.

– يعتبر القرآن الكريم وحي الله سبحانه وتعالى ومعجزة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ مُعجز بألفاظه المتعبَد بتلاوته المحفوظ والمنزّه عن التحريف في ثلاثة وثلاثون جزءاً وستون حزباً و114 سورة، نزلت بالتواتر على رسول الله ﷺ وفق حوادث معينة منها التي نزلت بمكة ومنها ما نزل بالمدينة، وقد دوّن على مراحل لحفظه من الضياع والتحريف، منه ما دوّن في حياة النبي ﷺ ومنه ما دون بعد مماته مما حُفظ في صدور الصحابة رضوان الله عليهم، وأول مصحف جمع كل سور القرآن الكريم كان في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم نسخ منه عدة نسخ بعث بها عثمان بن عفان إلى كل الأمصار الإسلامية لكي لا يُختلف فيه.

– إن الأسطورة تمثل قصة تعبر عن ماضي الشعوب ارتبطت بالدين وتناقلتها الاجيال، وقد اختلفت الاساطير وتنوّعت بين الأسطورة الكونية والطقوسية والرمزية والتاريخية كما صنّفها البعض، وتحمل في مجملها أحداثا تاريخية حدثت في الماضي وامتزجت بخرافات بحكم التناقل اللفظي من جهة وحكم خاصيتها بكل شعب، كما أنها أخذت قداستها وارتباطها بالدين من امتزاج أحداثها بالآلهة

المتحكمة في الكون، لذلك لم تجد الأسطورة مكانا بين الأديان التوحيدية، وقصة الطوفان الواردة في الكتب السماوية تؤكد ذلك إذا ما قارناها بأسطورة الطوفان السومرية والبابلية أو أي أسطورة من أساطير العالم القديم.

– شخصية نوح عليه السلام تقابلها في الأساطير القديمة عدة تسميات لشخص نجا من طوفان أمر به إله أو آلهة عقاباً للبشر على فسادهم وطغيانهم، فقد سمي في الأسطورة السومرية بـ"زيوسدرا" وتعني الرجل الخالد، أما في الأسطورة البابلية فقد سمي بـ"أوتا–نبشتم" الذي يعني الرجل الذي حصل على الابدية، كما سمي بـ"أترا–حاسيس" وتعني فائق الحكمة، وأطلق عليه بيروسوس اسم "اكسيسوثروس".

– إن الاختلاف غير وارد في صفات نوح عليه السلام في الأساطير فكل الأسماء السالفة الذكر يقصد بها شخص بار وورع وحكيم وقريب من الآلهة، جاء اختياره على هذا الأساس لينجوا من الطوفان ومن معه، وجاءت شخصية نوح عليه السلام في الكتب السماوية بما حباه الله به ففي التوراة ذكره الله بأنه نعمة في عيني الرب دلالة على قربه من ربه، وجاء في القرآن بالعبد الشكور.

– مع أن محرفو التوراة طالت أيديهم الأنبياء ونزعوا عنهم العصمة وادعوا أن نوح عليه السلام شرب الخمر حتى الثمالة وتعرى في خبائه وعندما أفاق ظلم حفيده بلعنة لم يكن له ذنب فيها، وذلك نتاج الإيدولوجية التي وجّه اليهود بها كتابهم المقدّس.

– فصّلت التوراة في نسب سيدنا نوح عليه السلام وذكرت شجرة عائلته من آدم عليه السلام، على الرغم مما فيها من أخطاء فقد اعتمد عليها كل من يريد نسب نبي الله نوح عليه السلام لأن مثل هذه التفصيلات لم ترد في القرآن الكريم.

– إن عمر سيدنا نوح عليه السلام وفق القرآن الكريم يزيد عن 950 سنة في حين يساوي ذلك في التوراة، وذلك جعل الأمر يختلط على من يقارن ذلك بسنين العيش المتعارف عليها اليوم.

– انفرد القرآن الكريم بذكر تفاصيل عن دعوة نبي الله نوح عليه السلام، وعدّد آلهة كانوا يعبدونها من دون الله هي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، وهي نفسها الآلهة التي عُبدت قبل بعثة الرسول ﷺ في شبه الجزيرة العربية.

– جاءت قوائم سلالات الملوك السومرية بذكر خبر الطوفان الذي حدث في المنطقة، حيث عدّد ملوكاً وسلالات حكمت قبل حدوثه وأخرى حكمت بعده، وعلى الرغم مما جاء فيها من فترات حكم خيالية للملوك خاصة في ملوك ما قبل الطوفان إلا أنها أكّدت أن الطوفان قد حدث في وادي الرافدين ما جعل الملك ينقطع وتهبط الملكية من جديد في مدينة كيش، كما جاءت على ذكر أسماء ملوك وردوا في الأساطير مثل جلجامش، ومدن لها علاقة بالطوفان مثل شوروباك.

– كانت التنقيبات على مدن الطوفان في إطار البحث الأثري الذي قامت به البعثات الأجنبية في وادي الرافدين في بداية القرن العشرين، وأول النتائج التي نشرت عن حدوث طوفان في المنطقة كانت نتائج وولي وتنقيباته في أور، وتلتها نتائج تنقيبات لانكدون ووايتلين في كيش، وكذا نتائج تنقيبات ايريك شميديت في شوروباك، فقد أكّد ليونارد وولي على حدوث طوفان في مدينة أور، يعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد أي في نهاية عصر العبيد، بدليل سمك الطبقة الغرينية المكتشفة والتي وصلت إلى 3.5م.

–كما صرّحت البعثة الأركيولوجية بأنها عثرت على آثار لطوفان ضرب كيش يعود إلى سنة 2900ق.م، وذلك بعد توصّلها إلى طبقة من التراب الأحمر الذي رسّبته مياه الطوفان يتراوح سمكها ما بين 2.70 و3.00 م، وبذلك أكّد ايريك شميديت على حدوث طوفان في مدينة شوروباك يعود إلى 2850ق.م، بعد أن توصّل إلى طبقة صفراء تشكّلت نتيجة الطوفان.

– الفيضانات التي كشفت عنها السابقة لا تتزامن مع بعضها البعض ما يؤكد أن أحدا منها لم يكن شاملا للأرض كما جاء في التوراة، كما أن تواريخها لا تتماشى مع تاريخ الطوفان التوراتي، ذلك ما جعل الأثريين لا يجعلون أي من هذه الفيضانات طوفان نوح عليه السلام، وإذا ما سلّمنا بفكرة أن الطوفان لم يكن شاملا يمكن أن نصدق أن أحداً منها كان طوفان نوح عليه السلام، وأرجّح أنه الأقدم وهو طوفان أور خاصة وأنه الأعنف بحكم سمك الترسبات.

– تؤكد نتائج أعمال الأثريين الخلفية الدينية التي تحكمت في تنقيباتهم، فهم نفوا نتائج علمية فقط لأنها لا تتماشى مع عقيدتهم التي تصدّق كل ما جاء في الكتاب المقدس، على الرغم مما فيه من تناقضات.

– توالت الرحلات الاستكشافية عن مراسي سفينة نوح ﷺ في داخل وادي الرافدين وخارجها فمنها ما انطلق مما جاء في الأسطورة عن رسو السفينة في جبل نصير، ومنها ما انطلق مما جاء في الكتاب المقدس عن استقرار السفينة في جبال آرارات، ونفي ما جاء في القرآن الكريم عن استواءها على جبل الجودي.

– ومن المغامرين وعلماء البحار من رأى أن السفينة قد غرقت في البحر الأسود ولم تبق على جبال آرارت فكانت وجهتهم أعماق البحر الأسود، ولكنها لم تحصل على نتيجة تذكر، فألغت بذلك فكرة أن تكون سفينة نوح ﷺ في أعماق البحر الأسود، مع أنها وجدت أن طوفاناً جاء بمياه البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأسود ولكنه الآخر لا يتزامن مع ما جاء في الفيضانات السابقة التي وردت في الأساطير، كما لا تتماشى ونتائج التنقيبات عن مدن الطوفان، حيث أُرخ له ما بين 7500-7000ق.م.

– حاول بعض الكتابيين إثبات رسو السفينة على جبال آرارات في تركيا، ولأنهم لم يجدوا آثار السفينة على الجبال البركانية حاولوا التضليل بنشر صور لموقع أقرب من الجودي إلى آرارات، للترويج بأن السفينة وجدت آثارها على مقربة من آرارات، وعندما لم تأت بنتيجة جعلوا رسو السفينة في أورارتو وجعلوا الجودي أحد جبالها مع أن حدودها لم تصل إليه.

– وجاءت نتائج الرحلات الاستكشافية أن آثار سفينة نوح ﷺ وجدت على جبل الجودي كما جاء في القرآن الكريم، ووجدت المراسي على مقربة منه، وذلك أكّده بعض المستكشفين مثل جرترود بيل.

– حاول البعض إثبات أن مراسي سفينة نوح ﷺ كانت في العراق كما جاء في اسطورة "اوتا–نبشتم"، وذلك من خلال ايجاد اشتقاق لإسمي آرارت والجودي على أنها تسميات من عصور مختلفة لمدينة بابل، ومنها من حاول إيجاد اشتقاق لجبل الجودي على أنه جبل من جبال السراة في جدة في شبه الجزيرة العربية وان جبل نصير هو نفسه نيشور أي الجبل المزدهر، وأن اختلاف التسميات لا تعني اختلاف المكان فممكن أنها تسميات لجبل واحد في شبه الجزيرة العربية، ولكن بما أنهم لم يجدو آثار لسفينة نوح ﷺ تبقى مجرد افتراضات تحتاج لتأكيد الأثريين.

– الطوفان حدث علمياً بسبب غزارة مياه الأمطار من جهة ما زاد من منسوب مياه الانهار وفاق احتمالها لتفيض من جهة أخرى، وذوبان ثلوج جبال أرمينيا أدى إلى ضغط المياه الجوفية وبالتالي انفجار الأرض بالمياه الجوفية فالتقى الماء بالماء وحدث الطوفان، وكل هذه العوامل متوفرة في وادي الرافدين المعروفة بالتساقط خاصة في الشمال والجبال المغطاة بالثلوج طيلة أيام السنة ووجود نهري دجلة والفرات وروافدهما ومنسوب مرتفع من المياه الجوفية.

– اختلفت المصادر فيما إذا كان الطوفان محلياً كما جاء في القرآن الكريم الذي لم يذكر أن الطوفان كان عالمياً وبالتالي فهو عذاب سلّطه الله عز وجل على قوم نوح ﷺ الذين بُلغوا بدعوته من دون البشرية، وأخرى جاء فيها أنه كان عالمياً مثل التوراة التي صرّحت في الكثير من الآيات على شمول الطوفان الأرض وأسطورة أوتا–نبشتم التي جعلت الناس يعودون إلى الطين، ولكن علم الآثار أكّد أن الطوفان لم يغرق الكرة الأرضية، حتى الفترة الزمنية التي أرخت بها التوراة تتنافى وفكرة حدوث انقطاع حضاري في المناطق المجاورة لوادي الرافدين، كما أن البحث الأثري لم يثبت وجود طوفان واحد أغرق كل المنطقة بدليل الفيضانات المتكررة التي جاءت غير متزامنة.

– اتفقت المصادر على أن أول من علم بخبر الطوفان كان نوح ﷺ وما يقابله في الأساطير، ولكن طريقة معرفته بخبر الطوفان هي التي تختلف من مصدر لآخر؛ فالأساطير روَّجت الى ان بطل الطوفان قد علم بأمره عن طريق وساطة إما جدار أو سياج كما جاء في الأسطورة السومرية وأسطورة أوتا–نبشتم أو في شكل حلم كما جاء في أسطورة أترا–حاسيس وفي رواية "بيروسوس"، أو عن طريق الوحي كما جاء في الكتب السماوية.

– اتفقت المصادر على أن وسيلة النجاة من الطوفان كانت الفلك، الذي أمر الله ببنائه للنجاة، غير أن ما يتعلق بأوصاف الفلك لا يحمل تشابهاً، فمثلاً فصّلت اسطورة "اوتا–نبشتم" في اوصاف الفلك وتشابهت إلى حد بعيد بأوصاف السفينة التي جاء ذكرها في التوراة في عدد الطبقات والأبعاد والحمولة، بينما كانت أوصاف السفينة في القرآن الكريم بدون تفصيل، وكذلك جاءت في اسطورة "اترا–حاسس" وفي رواية "بيروسوس".

– جاء في المصادر أن ركاب الفلك كانوا من البشر والحيوانات، غير أنها اختلفت فيما بينها فيما يخص تفاصيل من هم الركاب وعددهم، وتجدر الإشارة إلى أن الأسطورة السومرية لم تتحدث عن الركاب إلا "زيوسدرا" الذي قدّم القرابين للإله بنجاته فمنحه الخلود، وبات يعيش الحياة الخالدة مع الآلهة، وتوجد إشارة إلى أنه أنقذ الجنس البشري والحيوانات من الفناء، أما باقي الأساطير فقد زادت عن بطل الطوفان وعائلته أمهر الصناع –وذلك يظهر الحجة بأن يحافظ على الانتقال الحضاري من عصر ما قبل الطوفان إلى ما بعده– في حين قام "اكسيسوثروس" بنقل السجلات المكتوبة وطمرها تحت الارض لتسلم من مياه الطوفان، وتصل إلى جيل ما بعد الطوفان وتنقل ما برع فيه القوم قبل الطوفان.

– اتفقت بعض الروايات على أن الطوفان تسبقه إشارة، في حين حدّدت روايات أخرى وقت اندلاع الطوفان صراحة، ففي أسطورة "أوتا–نشتم" كانت علامة الطوفان أن أنزل أدد المكلف بالعواصف في المساء مطر الهلاك، وكانت العلامة في أسطورة أترا–حاسيس أن أرعد نفس الإله في السماء ويأتي الإنباء ببداية الطوفان بسماع صوته، وجاء في القرآن الكريم أن علامة الطوفان كانت فوران التنور، أما في ما يخص موعد حدوث الطوفان فقد تحدّد في التوراة بعد سبعة أيام منذ اعلام نوح ﷺ بخبر الطوفان، كما تحدّدت المدة في رواية "بيروسوس" –كما جاء في الرؤيا– بمنتصف شهر أيار (15 ماي)، في حين سكتت الأسطورة السومرية عن موعد الطوفان وذلك راجع للخدش الذي طال الأبيات التي تسبق حدوث الطوفان.

– اتفقت جميع المصادر على أن المياه منهمرة من السماء والمتفجرة من الأرض والرياح والعواصف هي التي جعلت المياه تتعاظم وتزيد من هول الطوفان، غير أنه تجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر قد أسهبت في وصف ذلك ومنها ما اقتضب وصفها.

– اتفقت الأساطير على أن الطوفان انتهى فجأة وبسرعة، كما جاء في القرآن الكريم أن نهاية الطوفان حدثت بسبب نضوب الماء بأمر من الله سبحانه وتعالى وكما أراد له أن يكون، في حين يتبين من التوراة أن تراجع الماء قد أخذ وقتا طويلا وصل إلى 150 يوم لتظهر اليابسة.

– تتفق أغلب الاساطير الرافدية على أن مدة الطوفان كان سبعة أيام، بينما تزيد المدة في التوراة عن ذلك بكثير؛ حيث ذكرت التوراة أقصر مدة أربعون يوما وأكبرها 371 يوماً، في حين لم يرد ذكر لمدة الطوفان في القرآن الكريم ولا في أسطورة "بيروسوس".

– جاء في التوراة وبعض الأساطير لمعرفة انحسار علامة تمثلت في إطلاق الطيور، فقد ورد في التوراة أن نوح عليه السلام أرسل الغراب ثم الحمامة ثلاث مرات، أما في أسطورة اوتا–نبشتم فقد أرسل حمامة ثم سنونو وثالث مرة أرسل الغراب، أما في رواية "بيروسوس" ورد أن اكسيسوثروس أرسل ثلاثة طيور دون أن يحدّد نوعهم، غير أن القرآن الكريم لم يذكر أي شيء عن إطلاق الطيور لأن الله سبحانه وتعالى قد علم بانحسار الماء فأمر نوح عليه السلام بالنزول من الفلك.

– يظهر مما تقدّم التشابه الكبير بين الرواية البابلية والرواية التوراتية للطوفان، وذلك في الحقيقة بعيد كل البعد عن الوحي الإلهي، خاصة أن التشابه جاء بين أسطورة وكتاب موحى، فإن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على أن التوراة التي بين أيدينا ليست هي التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام وذلك يعتبر مظهراً من مظاهر التحريف التي تحدّث عنها القرآن الكريم، فهذا الأخير لا يروي قصصاً أسطورية ولا يُدرج التفاصيل الأسطورية مثل شكل الفلك وقياساتها، ومدة الطوفان وكذا مسرى السفينة، كما يخلوا من المبالغات التي وردت في التوراة.

– وتجمع المصادر على النهاية التي نالها نوح عليه السلام؛ فالتوراة ذكرت بأن الله أنجا نوحاً عليه السلام ومن معه وأمرهم بأن يتناسلوا ويتكاثروا كما وعد نوح عليه السلام بأن لا يُهلك الأرض من جديد، كما جاءت الأساطير أن بطل الأسطورة تباركه الآلهة وتمنحه الخلود، إلا أترا–حاسيس الذي لم تذكر الأسطورة نهايته، أما القرآن الكريم فقد جاء فيه أن الله سبحانه وتعالى أثبت أن وعده حق وأغرق قوم نوح عليه السلام الذين كفروا بدعوته، وأنجاه وأهله وجعل السفينة آية للعالمين، كما جاء في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

الملاحق

الملحق رقم: 01

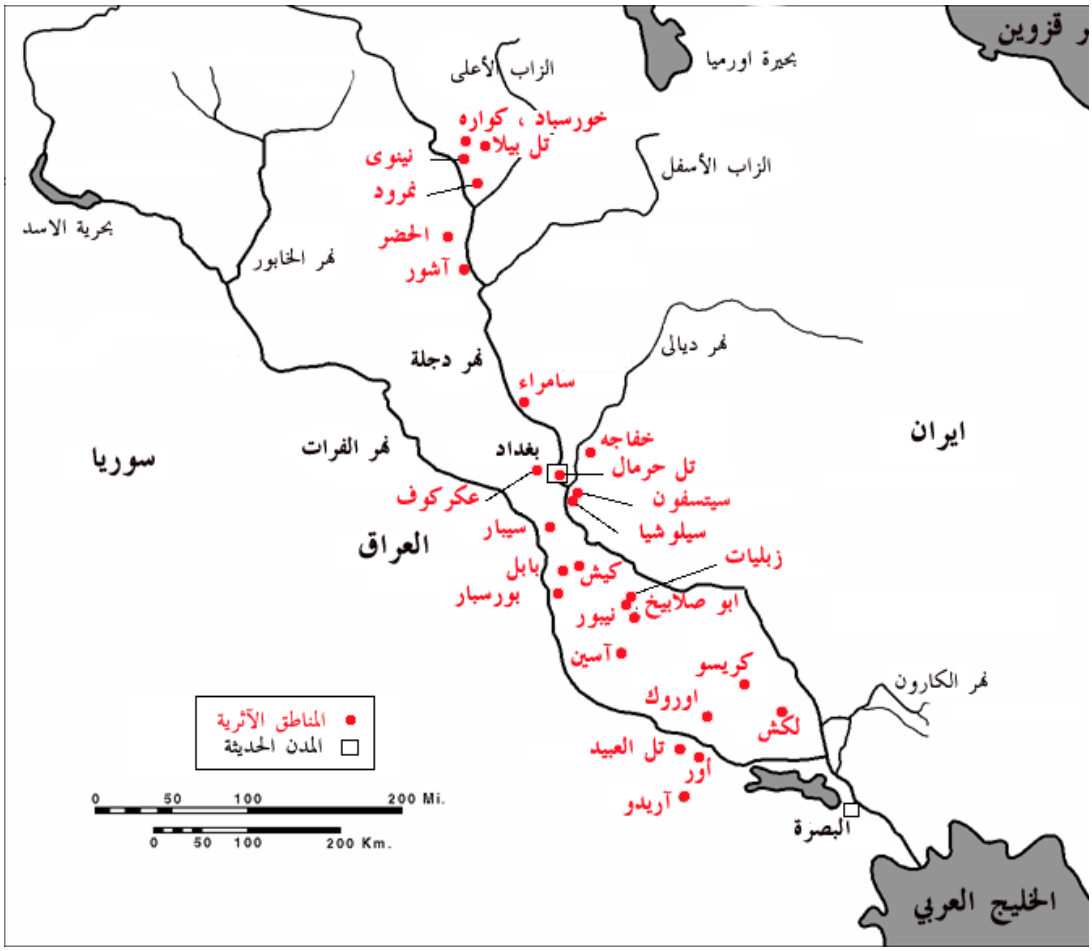

خريطة المواقع الأثرية في العراق القديم

http://www.iraqena.com/aniraq/ يوم2015/09/07 على الساعة 17:00.

الملحق رقم: 02

قائمة سلالات الملوك السومرية:

https://www.pinterest.com/pin/473370610808643375/
2015/09/27 على الساعة 16:14.

الملحق رقم:03

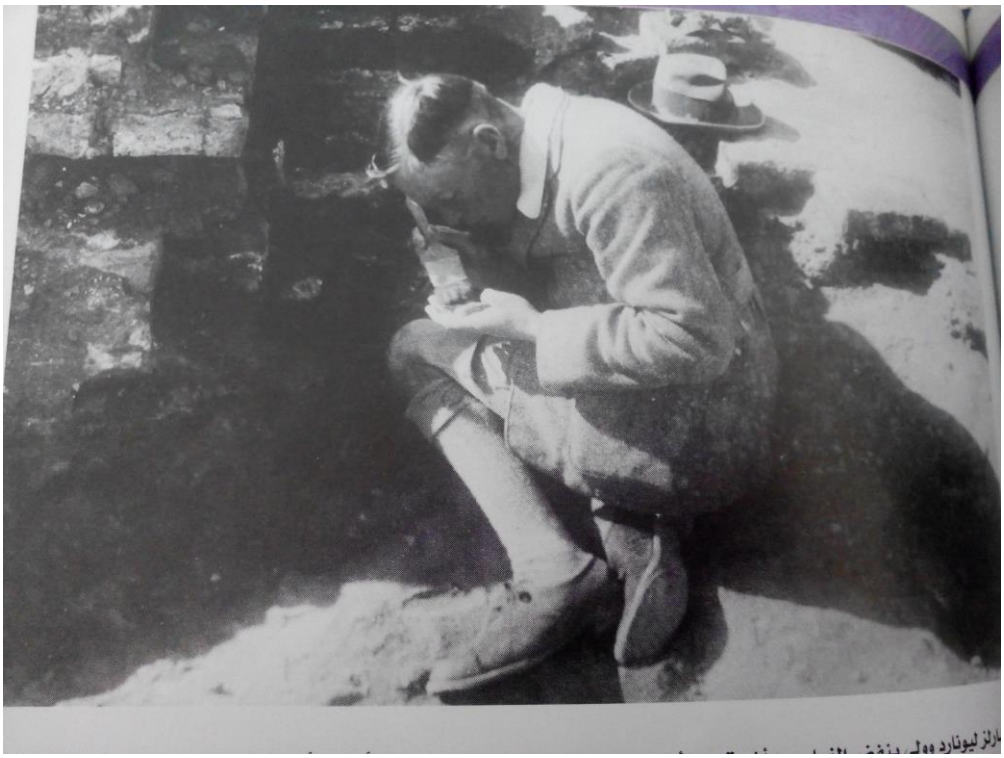

ليونارد وولي يقوم بالتنقيب في أور 1925م

جروبر بث، **تاريخ العراق القديم** علم الآثار يزيح الستار عن أسرار ماضي العراق، تر: إبراهيم محمد إبراهيم، ط1، نهضة مصر، مصر، 2009، ، ص31.

الملحق رقم:04

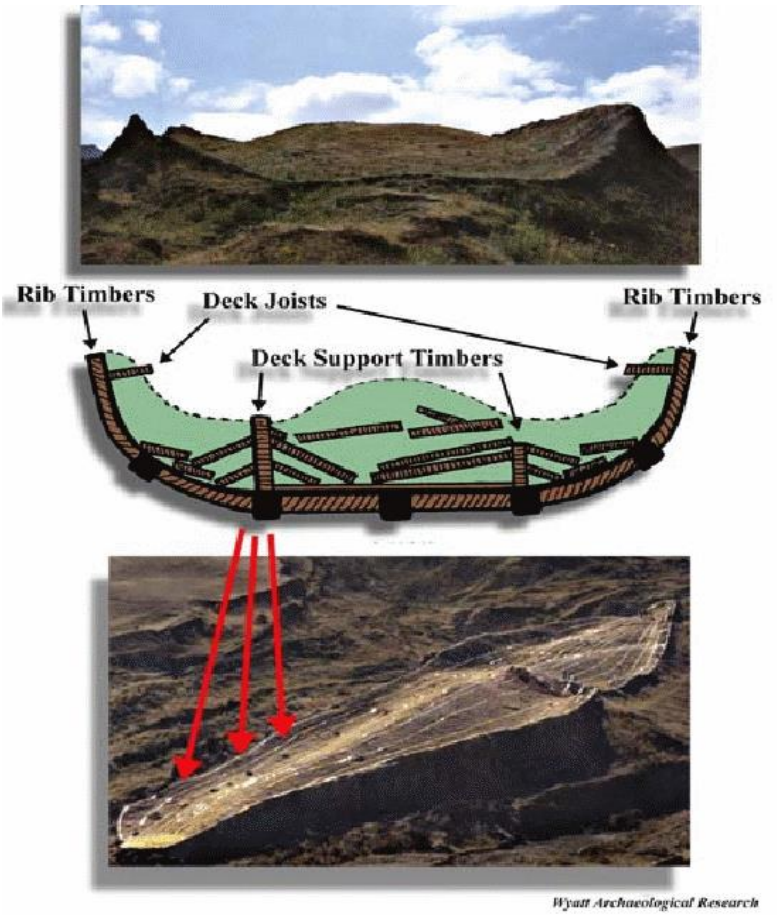

صور سفينة نوح على جبل الجودي هذا المقطع يبين شكل السفينة

علي طلب جعفر، المرجع السابق، ص558.

الملحق رقم:05

مراسي السفينة

علي طلب جعفر، المرجع السابق، ص547.

الملحق رقم:06

صورة تمثل لوح الطوفان السومري

قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المرجع السابق، ص 24.

الملحق رقم:07

اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش الذي يروي قصة الطوفان

http://arabic.britishmuseum.org/middle-east/room55/flood-tablet.html يوم:2015/03/10 على الساعة: 15:23.

الملحق رقم:08

اللوح الطيني الذي يحوي ملحمة أترا–حاسيس

/https://www.pinterest.com/pin/444871269420111772/activity
يوم:2015/03/11 على الساعة: 14:27.

الملحق رقم:09

تصور لشكل السفينة قبل اندلا ع الطوفان وهو وصف دقيق لمواصفات السفينة

علي طلب جعفر، المرجع السابق، ص554.

الملحق رقم:10

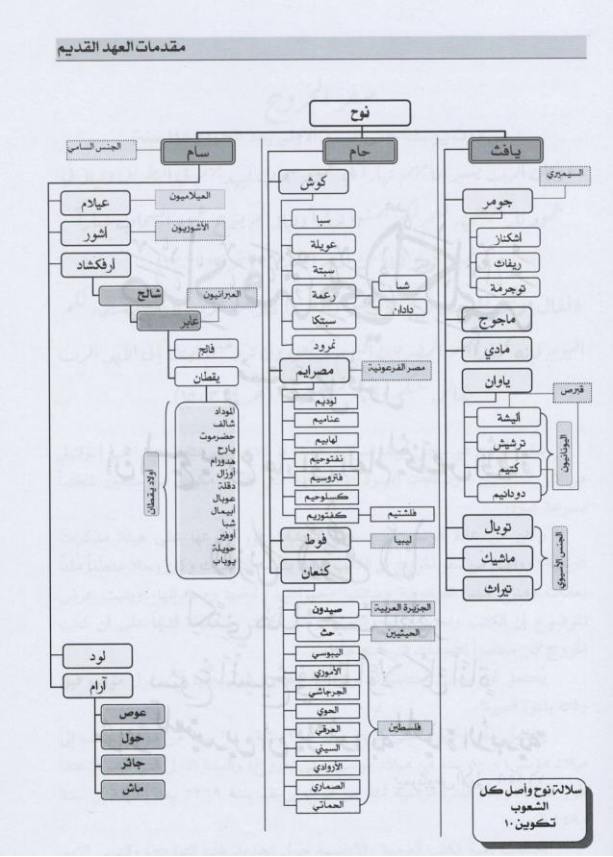

سلالة نوح وأصل الشعوب

أسامة خليل أندرواس، المرجع السابق، ص251.

الملحق رقم:11

الدسر المعدنية وقد تحولت الى حفريات

علي طلب جعفر، "سفينة نوح (كارثة الطوفان العالمية)"، مجلة ديالي، العدد 58، 2013، ص556.

الملحق رقم: 12

نص اسطورة الطوفان السومرية:

إن البشر عبادي، بشري في الهلاك المحيق بهم، سأعمل على..،

سأرجع إلى ننتو.. الخاص بمخلوقاتي،

سأعيد الناس الى مواطنهم،

وسيشيدون في المدن مواضع الشرائع الإلهية،

سأجعل ظلالها مريحة مطمئنة،

وبيوتنا سيضعون آجرها في مواضع مطهَّرة،

وسيؤسسون في أماكن مطهرة، تلك الأماكن التي نُصدر منها إرادتنا،

وسلّط الماء الطاهر المطفئ للنار،

وأكمل رسوم العبادات والنواميس الإلهية،

وفي الأرض...وضع...هناك....

بعد أن أنزلت... الملكية من السماء،

وبعد أن أنزل التاج والعرش الخاصان بالملكية من السماء،

أكمل رسوم العبادات والنواميس الإلهية المقدسة...،

وأسس المدن الخمس في مواضع مطهَّرة...،

وسمَّاها بأسمائها وخصصها كمراكز للطقوس والعبادات.

وأعطى أولى هذه المدن وهي "أريدو" إلى "نودِمُّد" القائد،

والثانية "باد–تبييرا" أعطاها إلى..،

والثالثة "لرَك" أعطاها إلى "اندّر بِلخُرساج"،

وأعطى الرابعة "سيبار" الى البطل "أوتو"،

والخامسة "شروباك" أعطاها إلى "سُد"،....

"الطوفان...

...

هكذا حل بـ...

ثم انتحبت "ننتو" وبكت مثل...

"إنانا" الطاهرة ناحت من أجل أناسها،

فتدبّر "أنكي" الأمر بنفسه،
والآلهة "آن" و"أنليل" و"ننخرساج"...
آلهة السماء والأرض نطقت باسم "آن" و"أنليل"،
ثم عمد "زيوسيدرا" الملك، الذي هو "باشيشو" الـ...،
صنع...ضخما،
وبكل خضوع وطاعة وتبجيل صار يتردّد دوماً إلى الـ...،
حاملا معه أخبار جميع أصناف الأحلام،
وأخذ ينطق باسم السماء والأرض...
...الآلهة...حائط...،
كان "زيوسيدرا" قائما بجانبه وهو يصغي،
قف عند الحائط الى جانبي الأيسر...،
وعند الحائط سأبلغك بكلمة، فخذ بكلمتي،
استمع لإرشادي ووصاياي:
في (مجمعنا) (؟)...إن طوفاناً سيدمِّر مراكز العبادة،
وتهلك ذرية البشر...،
إن هذا هو القرار الذي أصدره الآلهة في مجمعهم.
وبالكلمة التي أمر بها "آن" و"أنليل"،
(سيؤتى) على ملوكيتها ونظام حكمها".
....
"كانت جميع الزوابع تهجم بعنف وضراوة وهي مجتمعة،
وفي الوقت نفسه جرف الطوفان مراكز العبادة"،
"وبعد أن استمر الطوفان سبعة أيام وسبع ليال،
واكتسح الطوفان البلاد،
وكانت السفينة الضخمة تتقاذفها الأعاصير في المياه الجارفة،
ظهر "أوتو" الذي نشر ضوءه على السماء والأرض،
فتح "زيوسيدرا" شبَّاكاً في الفلك العظيم،
وأنفد البطل "أوتو" أشعته في الفلك العظيم،

"زيوسيدرا" الملك،

سجد أمام "أوتو".

وقتل الملك ثورا وذبح كبشا"،

...

فاه "أنليل" و"أنليل" بنفس السماء ونفس الأرض.

فانتشر بـ...

وظهر النبات والزرع وارتفع،

الملك "زيوسيدرا"،

سجد أمام "آن" و"أنليل"،

واصطفى "آن" و"أنليل" زيوسيدرا،

ووهباه الحياة مثل إله،

لقد أدخلا فيه النفس الخالدة مثل إله،

"زيوسيدرا"،

الملك الذي حافظ على الزرع والذي صان ذرية البشر،

وفي أرض "العبور" في أرض "دلمون"، الموضع الذي تشرق منه الشمس أسكناه هناك".

...

صمويل كريمر، المصدر السابق، ص ص 266-311.

الملحق رقم 13

النص الكامل لأسطورة الطوفان (أوتنابيشتم) الواردة في ملحمة جلجامش:

ركي جلجامش و " اور ــ شنابي" في السفينة
انزلا السفينة في الامواج وهما على ظهرها
وفي اليوم الثالث قطعا في سفرهما ما يعادل شهرا
وخمسة عشر يوما من السفر العادي
وهكذا بلغ " اور ــ شنابي" مياه الموت
وعندئذ نادى " اور ــ شنابي" جلجامش وقال له:
هيا يا جلجامش خذ مرديا وادفع به
وحذار أن تمس يدك مياه الموت
أسرع يا جلجامش وتناول مرديا ثانيا وثالثا ورابعا
يا جلجامش خذ " مرديا " خامسا وسادسا وسابعا
خذ يا جلجامش " مرديا " ثامنا وتاسعا وعاشرا
خذ " مرديا " حادي عشر وثاني عشر
وبمائة وعشرين دفعة " مردي " استنفد جلجامش كل " ألمرادي"
ثم شمر جلجامش عن يديه ونزع ثيابه ونشر بيديه القلوع
وكان " أوتوا ــ نبشتم " قد شاهد السفينة من بعيد فناجى نفسه بهذه الكلمات:
علام دمرت " صور الحجر " الخاصة بالسفينة ؟
ولم يركب في السفينة شخص غريب غير صاحبها ؟
فان الرجل الآخر الآتي ليس من اتباعي
(بقية النص مخرومة ولكن يتضح من السياق ان جلجامش يلتقي بجده " أوتوا ــ نبشتم " فيسأله هذا عن سبب مجيئه وهي نفس الاسئلة التي وجهتها اليه صاحبة الحانة والملاح، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين فيجيبه جلجامش بالاجوبة نفسها تقريبا وقد أثبتنا لان فيها بعض التغيير والزيادة):
أجاب جلجامش اوتو ــ نبشتم وقال له:
يا "اوتو – نبشتم "كيف لا تذبل
وجنتاي ويمتقع وجهي
ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيئتي ويصير وجهي أشعث
كمن أنهكه السفر الطويل ويلفح وجهي الحر والقر
وأهيم على وجهي في البراري، وان خلي وأخي الأصغر الذي طارد الوحش في
البرية وأصطاد النمور في البوادي
أنه انكيدو الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال .
الذي أمسك ثور السماء وقتله، وغلب "خمبابا"

الذي يسكن غابة الأرز
صديقي وخلي الذي أحببته حباً جما والذي صاحبني
في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية .
فبكيته ستة أيام وسبع ليال ولم أسلمه للقبر
حتى وقع الدود من وجهه
لقد أفزعني الموت حتى همت على وجهي في البراري
فالنازلة التي حلت بصديقي قد جثمت بثقلها على صدري
وأقضت مضجعي حتى همت مطوّفاً في البراري
إذ كيف اهدأ ويقر لي قرار، وأن صديقي الذي أحببت صار ترابا
وأنا ألا سأكون مثله فأهجع هجعة لا أنهض من بعد أبد الدهر ؟
ثم أردف جلجامش وخاطب "أوتو ـ نبشتم " قائلا :.
ولذا تراني قد جئت لأرى "أوتو ــ نبشتم " الذي يدعونه " القاصي "
لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة وعبرت كل البحار
لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم
لقد أنهكني السير والترحال وحل بجسمي الضني والتعب
ولم أكد أبلغ بيت "صاحبة الحانة" حتى خلقت ثيابي وتمزقت
قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر والضبي والأيل والوعل وجميع حيوان البر
أكلت لحومها واكتسيت بفروها
.. ..
قال " أوتو ـ نبشتم " لجلجامش:
"أن الموت قاس لا يرحم
متى بنينا بيتا يقوم إلى الأبد ؟
وهل ختمنا عقدا يدوم إلى الأبد ؟
وهل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر ؟
وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد ؟
وهل يرتفع النهر وتأتي بالفيضان على الدوام ؟
والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها
ولم يكن دوام وخلود منذ القدم
ويا ما أعظم الشبه بين النائم والميت
ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟
ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا جاء اجلهما ؟
إن "الانوناكي " الآلهة العظام تجتمع مسبقا ومعهم " ماميتم" ، صانعة الأقدار تقدر معهم المصائر

قسموا الحياة والموت
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه"
وقال جلجامش لـ " أوتوا – نبشتم "، القاصي:
ما انني أنظر إليك يا أوتوا – نبشتم
فلا أرى هيئتك مختلفة ، فأنت مثلي لا تتخلف عني
أجل ! أنت لم تتبدل بل أنك تشبهني
لقد كنت احسبك كاملا كالبطل على أهبة القتال
فإذا بي أشاهدك خاملا مضطجعا على ظهرك
فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ووجدت الحياة (الخالدة)؟
فأجاب " أوتوا – نبشتم " جلجامش وقال له:
" يا جلجامش سأفتح لك عن سر خفي محجوب
سأطلعك على سر من اسرار الآلهة:
" شروباك " ، المدينة التي تعرفها أنت
والراكبة على شاطئ نهر الفرات
أن تلك المدينة قد تقادم العهد وكان الإلهة فيها
فرأى الآلهة العظام ان يحدثوا طوفانا ، قد زينت لهم قلوبهم ذلك
لقد اجتمعوا وكان معهم " آنو " ابوهم
و" انليل " ، البطل ، مشيرهم
و" ننورتا " ، مساعدهم (وزيرهم)
و" انو گي " ، حاجبهم
وكان حاضرا معهم " نن – ايكي – كو " ، أي " ايا "
فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:
"يا كوخ القصب ! يا كوخ القصب ، يا جدار ، يا جدار!
اسمع يا كوخ القصب وأفهم يا حائط
يا رجل " شروپاك " يا ابن " اوبار – توتو " !
قوض البيت وابن لك فلكا (سفينة)
تخل عن مالك وانج بنفسك
انبذ الملك وخلص حياتك
وأحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة
والسفينة التي ستبني عليك أن تضبط مقاسها (قياسها) :
ليكن عرضها مثل لطولها
واختمها عاجلا أياها مثل مياه " العمق "
ولما وعيت ذلك قلت لربي ، " ايا " :
" سمعا يا ربي ساصدع بما أمرتني به
ولكن ما عساني أن أقول للمدينة ؟ بم سأجيب الناس والشيوخ ؟ "
ففتح " ايا " فاه ، وقال لي مخاطبا إياي ، أنا عبده :
قل لهم هكذا : " إني علمت أن " انليل " يبغضني
فلا استطيع العيش في مدينتكم بعد الآن
ولن أوجه وجهي الى ارض انليل وأسكن فيها

بل سأرد الى الـ " أبسو " وأعيش مع " ايا " ربي
وعليكم سينزل وابلا من المطر غزيرا
ومن مجاميع الطير وعجائب السماك
وسيغدق عليكم الغلال والخيرات
وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح "
ولما نورت أولى بشائر الصباح
تجمع البلد حولي
جلبلوا الي قرابين الغنم النفسية
وأحضروا إلي قرابين من ماشة مراعي السهوب
.. ..
جلب الي الصغار منهم القير
وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى
وفي اليوم الخامس أقمت هيكلها (بنيتها)
وكان سطح أرضها " إيكو " واحدا وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعا
وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعا
عينت شكلها الخارجي هكذا وبنيته
وجعلت فيها ستة طوابق (تحتانية)
وبهذا قسمتها الى سبعة أقسام (طوابق)
وقسمت أرضيتها إلى تسعة أقسام
وحشوتها وغرزت فيها " أوتاد الماء "
ووضعت فيها " ألمرادي " وجهزتها بالمؤن

لقد سكبت ستة شارات من القير في الكورة وسكبت أيضا ثلاثة شارات من القطران (الاسفلت)
وجلب حاملوا السلال ثلاثة " شارات " من السمن
بالإضافة إلى " شار " واحد من السمن استنفده " أوتاد الماء "
وشارين من السمن اختزنهما الملاح
ثم) ذبحت البقر وطبختها للناس
ونحرت الأغنام في كل يوم
وقدمت الى الصناع عصير الكرم والخمر الأحمر والزيت والخمر الابيض
وسقيت الصناع بكثرة كماء النهر
ليعيدوا ويفرحوا كما في يوم رأس السنة
ومسحت يدي بسمن بالزيت
وتم بناء السفينة في اليوم السابع عند مغرب الشمس
وكان إنزالها (إلى الماء) أمرا صعبا
فكان عليهم أن يبدلوا الواح القاع في الاعلى وفي الاسفل
إلى إن غطس في الماء ثلثاها
ثم حملت فيه كل ما أملك
كل ما كان عندي من فضة حملته فيها
وحملت فيها كل ما أملك من ذهب

وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية
أركبت في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي
وأركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر وجميع الصناع
وحدد لي الإله شمش موعداً معينا بقوله :
" حينما ينزل الموكل بالعاصفة في المساء مطر الهلاك
فادخل في السفينة وأغلق بابك "
وحل أجل الموعد المعين
وفي المساء أنزل الموكل بالعاصفة مطرا مهلكا
وتطلعت إلى الجو فكان مكفهرا ومخيفا
فولجت في السفينة وأغلقت بابي
وأسلمت دفة السفينة إلى الملاح " بوزُر – أموري "
أعطيته " البناء العظيم " وما يحويه من متاع
ولما ظهرت أنوار السحر
ظهرت من الأفق البعيد (من أسس السماء)
غمامة ظلماء
وفي داخلها أرعد الإله " أدد "
وكان يسير أمامه " شُلاتَّ " و" خانيش "
وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول
وقلع الإله "ايراگال " الدعائم
ثم أعقبه الإله " ننوراتا " وفتق السدود
ورفع " الانوناكي" المشاعل

واضاؤا بانوارها الأرض
ولكن بلغت رعود الآله "ادد " عنان السماء
فأحالت كل نور إلى ظلمة
وتحطمت البلاد الفسيحة كالكوز " الجرة "
ظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوما كاملا
وازدادت شدة في مهبها حتى غمرت الجبال
وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان
وصار الأخ لا يبصر أخاه
ولا الناس يميزون من السماء
وحتى الآلهة ذعروا وخافوا من عباب الطوفان
فانهزموا وعرجوا الى سماء "آنو "
وقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب ازاء الجدار الخارجي
وصرخت عشتار كالمرآة في ساعة مخاضها
انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي
نادبة :
" واحسرتاه لقد عادت الأيام القديمة إلى طين
لأنني انا نطقت بالشر في مجمع الآلهة
فكيف نطقت بالشر في مجمع الآلهة؟
لقد سلطت الدمار على خلقي
وانا التي ولدت خلقي هؤلاء
لقد ملأوا اليم كصغار السمك "
وبكى آلهة ألاوناكي وهم منكسو الرؤس
وندبو وقد يبتست شفاههم
ومضت ستة أيام وسبع ليال

ولم تزل الزوابع تعصف وقد غطت الزوابع الطوفان الارض

ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في وقعها

وقد كانت كالجيش في الحرب العوان

وهدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان

وتطلعت إلى الجو ، فرأيت السكون عاما

فتحت كوة فسقط النور على وجهي

ورأيت البشر وقد عادوا جميعا الى طين

فركعت وجلست ابكي فانهمرت الدموع على وجهي

وتطلعت إلى حدود (معالم) سواحل اليم

فرايت رقاع الارض العالية تظهر من مسافة اربع عشرة ساعة مضاعفة

واستقر الفلك على جبل"نصير "

لقد مسك جبل " نصير " السفينة ولم يدعها تجري

ومضى يوم ويوم ثان وجبل "نصير" ممسك بالسفينة فلم تجر

ومضى يوم ثالث ورابع وجبل نصير ممسك بالسفينة فلم يدعها تجري

وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير ممسك بالسفينة

ولما اتى اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)

طارت الحمامة ولكنها عادت

رجعت لأنها لم تجد موضعا تحط فيه

وأخرجت السنونو وأطلقته

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعا يحط فيه

ثم أخرجت غرابا واطلقته

فذهب الغراب ولما رأى المياه قد وانحسرت

أكل وحام وحط ولم يعد

وعند ذاك اطلقت كل شيء الى الجهات الاربع

وقربت قربانا

وسكبت الماء المقدس على قمة (زقورة) الجبل

ونصبت سبعة وسبعة قدور للقربان

وكدست تحتها القصب الحلو وخشب الأرز والأس

فتنسم الآلهة عرفها (شذاها)

اجل تشمم الالهة عرفها الطيب

فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب

ولما حضرت الآلهة العظيمة(عشتار)

رفعت عقد الجواهر الذي صنعه لها"آنو"، وفق هواها وقالت :

" أيها الآلهة الحاضرون كما إنني لن أنسى عقد اللازورد هذا الذي على جيدي

ساتذكر هذه الايام ولن انساها

ليتقدم الآلهة إلى القرابين

أما" انليل " فحذار أن يقترب من القرابين
لأنه لم يترو فاحدث الطوفان
وأسلم خلقي إلى الهلاك "
ولما أن جاء " انليل " وشاهد الفلك (السفينة
) استشاط غيظا
وحنق على الآلهة أل"أيگيگي"وقال :
" عجبا كيف نجت نفس واحدة ،وقد كان
المقدر لا ينجو بشر من الهلاك؟
ففتح الآلهة "ننروتا" فمه وقال مخاطبا البطل "
انليل ":
" من ذا الذي يستطيع إن يدبر مثل هذا الأمر
غير (أيا)؟
فان "أيا " وحده هو الذي يعرف خفايا كل
الأمور
وعند ذاك فتح "أيا" فاه وقال مخاطبا "انليل"
البطل:
أيها البطل أنت أحكم الآلهة
فكيف، كيف أحدثت عباب الطوفان بدون ان
تتروى؟
حمل المخطئ وزر خطيئته
وحمل المعتدي إثم اعتدائه
ولكن كن رحيما في العقاب لئلا يهلك ولا
تهمله فيمعن في الشر
ولو انك بدلا من إحداثك الطوفان سلطت
السباع على الناس فقللت من عددهم
لو انك بدلا امن أحداثك الطوفان سلطت
الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلا من الطوفان لو انك احدثت القحط في
البلاد
وبدلا من الطوفان لو ان "اِيرا" (اله الطاعون)
فتك بالناس
أما إنا فلم افش سر الآلهة العظام
ولكنني جعلت "اترا –حاسس"يرى رؤيا فأدرك
سر الآلهة
والآن قرر مصيره "
ثم صعد "انليل"الى السفينة
وامسكني من يدي واركبني معه في السفينة
واركب معي أيضا زوجي وجعلها تسجد بجانبي
ثم وقف ما بيننا ولمس ناصيتنا وباركنا قائلا:
" لم يكن " "اوتو– نبشتم " قبل الان سوى بشر
ولكن منذ ألان سيكون "اوتو– نبشتم " وزوجه
مثلنا نحن الآلهة
وسيعيش "اوتو– نبشتم" بعيدا عند "فم الأنهار"

والان من سيجمع الآلهة من أجلك ؟
"ياجلجامش" لكي تنال الحياة التي تبغي
تعال امتحنك !لا تنم ستة أيام وسبع ليال"
ولكن هو لا يزال قاعدا على عجزه إذا بسنة من
النوم
تأخذه وتتسلط عليه كالضباب

فالتفت "اوتو –نبشتم"إلى امرأته وخاطبها قائلا:
انظري (وتأملي)هذا الرجل القوي الذي ينشد الحياة!
لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب
فأجابت زوجة "أوتوا –نبشتم"زوجها وقالت له:
المس الرجل كيما يستيقظ
ويعود أدراجه سالما في الطريق الذي جاء منه بسلام
ليعد إلى بلاده من الباب الذي خرج منه
فأجاب "اونو–نبشتم" امرأته وقال لها :
" لما كان الخداع من شيمة البشر فانه سيعمد على خداعك
فهلمي اخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند راسه
والأيام التي ينام فيها اشريها في الجدار
فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه
وعلمت (أشرت) الأيام التي نامها في الجدار
فاصبح الرغيف الأول يابسا وتلف الرغيف الثاني والثالث لم يزل رطبا
وابيضت قشرت الرغيف الرابع
والخامس لم يزل طريا والسادس قد خبز في الحال
ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر مسه فاستيقظ الرجل
(وعندما استيقظ) جلجامش قال لـ "اوتو نبشتم" القاصي:
" لم تكد سنة النوم تاخذني حتى مسستني فأيقظتني "
فأجاب"اوتو– نبشتم" جلجامش قائل له:
يا جلجامش عد أرغفتك فيعلمك المؤشر على الحائط عدد الأيام التي نمت فيها
فقد يبس رغيفك الأول والثاني لم يعد صالحا
والثالث لا يزال طريا وتحولت قشرة الرابع بيضاء
والسادس لا يزال طريا
والسابع – إذا بك تستيقظ في الحال
فقال جلجامش لـ "اوتو – نبشتم" القاصي
ماذا عساي يا " اوتو – نبشتم " إن افعل والى أين أوجه وجهي ؟
وها إن "المفرق " قد تمكن من جوارحي
اجل في مضجعي يقيم الموت
وحيثما وضعت قدمي يربض الموت "
ثم قال"اوتو–نشتم" لـ "أور– شنابي" الملاح :
" يا "أور –شنابي" عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ
ويبرا منك موضع العبور
ولتذهب مطرودا من الشاطئ
والرجل الذي قدته إلى هنا، والذي يجلل جسمه الشعر والوسخ
وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود
خذه يا "أور– شنابي" ،وقده إلى موضع

الاغتسال
ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفا كالثلج
لينزع عنه جلود الحيوانات وليرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه
ودعه يجدد عمامة (عصابة) رأسه
ودعه يلبس حلة تستر عريته
والى أن يصل مدينته ، وحتى ينهي طريق سفره لاتدع آثار القدم تبدو على لباسه بل لتحافظ على جدتها
فاخذه "أور –شنابي"إلى موضع الاغتسال
وغسل أوساخه وشعره حتى بدا نظيفا كالثلج
ونزع عنه لباس الجلد فجرفها البحر حتى تجلى جمال جسمه
وجدد عمامته حول رأسه
والبسه حلة كست عريه
والى أن يصل إلى مدينته وينهي طريق سفره
جعل ثيابه جديدة على الدوام
ثم ركب جلجامش و أور- شنابي في السفينة
وانزلا السفينة في الأمواج وتهيآ للإبحار
(واذ ك)خاطبت امرأة اوتو-نبشتم زوجها وقالت له:
لقد جاء جلجامش إلى هنا وقاسى المشقة والتعب
فماذا عساك أن تمنحه وهو عائد إلى بلاده؟ "

وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع المردي وقرب السفينة إلى الشاطئ
فأدركه "اوتو- نبشتم" وخاطبه قائلا:
لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقد عانيت التعب والعناء
فما عساني أن امنحك حتى تعود إلى بلادك؟
سأفتح لك يا جلجامش سرا خفيا
اجل سابوح لك بسر من أسرار الآلهة
يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه
انه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الجديدة
وما أن سمع جلجامش هذا القول، حتى فتح المجرى الذي أوصله إلى المياه العميقة
وربط برجليه أحجارا ثقيلة
ونزل إلى أعماق المياه حيث ابصر النبات
فاخذ النبات الذي وخز يده
وقطع الأحجار الثقيلة من رجليه
فخرج من الاعماق إلى الشاطئ
ثم قال جلجامش لـ "أور- شنابي"،الملاح:
" يا "أور –شنابي "، إن هذا النبات نبات عجيب
يستطيع المرء أن يطيل به حياته
لآخذنه معي إلى "أوروك"، الحمى والسور
وأشرك معي (الناس) ليقطعوه ويأكلوه

وسيكون اسمه "يعود الشيخ الى صباه كالشباب"
وإنا سأكله في أخر أيامي حتى يعود شبابي
"ثم بعد هذا" سار وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
(وبعد ذلك) أبصر جلجامش بركة ماء ماؤها بارد
فنزل فيها ليغتسل في مائها
فشمت الحية شذى (صل) عرف النبات
وخرجت (من الماء) واختطفت النبات
وفي عودتها نزعت عنها جلدها
فجلس جلجامش عند ذاك واخذ يبكي
حتى جرت دموعه على وجنتيه
فكلم "أور_شنابي" ،الملاح (وخاطبه) قائلا:
من اجل من يا"أور-شنابي" كلت يداي؟
ومن اجل من استنزفت دم قلبي؟
لم احقق لنفسي مغنما
اجل !لقد حققت المغنم الى "اسد التراب"
افبعد مسافة عشرين ساعة مضاعفة
يأتي هذا المخلوق فيختطف النبات مني؟
وقد سبق إني لما فتحت منافذ الماء
وجدت أن هذا نذيرا لي أن أتخلى (عن مطلبي)
واترك السفينة في الساحل
وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم وصلا إلى "أوروك"، ذات الأسوار
فقال جلجامش لـ "أور- شنابي"، الملاح: اعل يا "أور –شنابي "
وتمش فوق أسوار "أوروك"
وافحص قواعد أسوارها وانظر إلى آجر بنائها، وتيقن أليس من الأجر المفخور
(المشوى)
وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها
ان "شارا" واحد خصص للسكني (في المدينة) وشارا واحد لبساتين النخيل
وشارا واحدا لسهل الارواء بالإضافة إلى حارة معبد عشتار
فتتضمن أوروك ثلاثة "شارات"والحارة.

طه باقر، (ملحمة...)، المصدر السابق، ص ص167-195

الملحق رقم 14

مقتطفات من ملحمة أترخاسيس:

اللوح الأول

النص البابلي القديم

عندما الآلهة بدل الانسان

قامت بالعمل، وتحلمت الأعباء

كان حمل الآلهة عظيما جدا،

وكان العمل شاقا جدا، والمشقة مضية

جعل أنوناكي العظيم الإيكيكي

تحمل أعباء العمل سبعة مضاعفة. والدهم آنو

كان ملكا،

والمحارب إليل، مستشارهم،

ونينورتا حاجبا لديهم،

وجعلوا إينوكي مراقب القناة.

إخذو صندوق (الأقدار)...،

ووزعوا الأدوار بالقرعة،

أقرت الآلهة التوزيع

آنو صعد الى السماء،

[وأخذ (؟)] إليل الأرض لشعبه (؟).

اما المزلاج الذي يوصد البحر

فكان من نصيب إنكي البعيد النظر.

وبعدما صعد آنو الى السماء

وانحدرت [آلهة] أبسو الى الاعماق،

جعل أنوناكي السماء

الإيكيكي تحمل أعباء العمل

كان على الآلهة أن تحفر الأقنية،

وتنظف مجاري المياه، حبال إنقاذ الأرض،

كان على الإيكيكي أن تحفر الأقنية

وتنظف الممرات، حبال إنقاذ الأرض

حفرت الآلهة (مجرى) نهر دجلة

ومن ثم حفرت الفرات.

[ ] في الأعماق

[ ] أقاموا

[ ]الأبسو

[ ]للأرض

[ ] في داخلها

[ ] رفعوا رؤوسها

[ ] لجميع الجبال

[كانو يعدون أعوان الأعباء،

[ ] المستنقع الكبير،

كانو يعدون أعوان الأعباء

لـ3600 عام تحملو المشقات،

أشغالا شاقة، ليل نهار.

تأوهلوا ولاموا بعضهم البعض،

وتذمروا من كميات أتربة الحفريات:

'هملوا نواجه خاصتنا [ ] الحاجب،

ونحمله على اراحتنا من عملنا الشاق!

تعالوا، لنحمل [الرب (؟)]،

مستار الآلهة، المحارب، من داره.

تعالوا، لنحمل [إليل]،

مستشار الآلهة، المحارب، من داره.،
ثم اسمع الله صوته
وخاطب الآلهة إخوته، (مقطع مجتزأ من حوالي
ثمانية أسطر)
تعالوا لنحمل
مستشار الآلهة، المحارب، من داره
ألآن، اصرخوا صرخة القتال!'
أنصت الآلهة لخطابه،
جهزو وعدتهم بنيرانها،
ووضعوا رفوشهم جانبا للنار،
ووفروا أعباءهم لإله النار،
واشتعلوا غضبا. وعندما وصلوا
بوابة دار المحارب إليل،
كان قد ادركهم الليل، وحل الغلس،
ولم يدرك الإله أن البيت كان مطوقة،
كان قد ادركهم الليل، وحل الغلس،
ولم يدرك إليل أن ايكور كانت مطوقة.
لكن كلكل كان منتبها، فقد أقفل البوابة،
أحكم القفل، وراح يراقب [البوابة].
وأيقظ كلكل [نوسكو]
أنصتوا لضجيج [الايكيكي].
ثم ايقظ نوسكو سيده،
وجعله يغادر فراشه.
سيدي، منزلك مطوق
وهناك حشد حول بابك!

كان إليل أحضر أسلحة الى داره
أسمع إليل صوته
وخاطب الوزير نوسكو،
'نوسكو، أوصد بابك،
إحمل أسلحتك وقف أمامي'
أوصد نوسكو بابه،
حمل سلاحه ووقف أمام إليل
'آه يا سيدي، وجهك (شاحب ك)الطرفاء!
لماذا تخشؤ أبناءك بالذات؟
آه يا إليل، وجهك (شاحب ك) الطرفاء!
لماذا تخشى أبنائك بالذات
دعهم يأتون بإنكي ليحضر أمامك'،
أرسل بطلب آنو لينزل إليه،
وآتوا بإنكي فحضر أمامه،
آنو ملك السماء كان موجودا،
إنكي ملك الآبسو كان حاضراً.
وأنوناكي العظماء كانوا موجودين.
نهض إليل وعرضت القضية.
أسمع إلبل صوته
وخاطب كبار الآلهة،
'هل قامو جميعهم ضدي؟
عل أبدأ معركة...؟
حشود تدور حول بابي!'
أسمع آنو صوته
خاطب المحارب إليل،

'ليخرج نوسكو
ويستعلم من الإيكيكي
من قام بتطويق بابك.
أمر...
الى...'
أسمع إليل صوته وخاطب الوزير نوسكو،
'نوسكو، إفتح بابك،
احمل أسلحتك [وقف أمامي!]
في حضرة جميع الآلهة
انحن، ثم قف [وخاطبهم قائلا]،
((والدكم آنو،
مستشاركم المحارب إليل
حاجبكم نينورتا
ومراقب قناتكم إينوكي
جميعهم ارسلوني لأسألكم،
من المسؤول عن الحشود؟
من المسؤول عن القتال؟
من أعلن الحرب؟
من هرع الى بوابة إليل؟))'
[نوسكو فتح] بابه،
[حمل أسلحته،]، وذهب [الى حشرة(؟)] إليل
في اجتماع جميع الآلهة
[انحنى]، ثم وقف وأطلعهم على الرسالة.
'والدكم آنو،
مستشاركم المحارب إليل،
حاجبكم نينورتا
ومراقب قناتكم إينوكي
جميعهم أرسلوني لأسألكم،
((من المسؤول عن الحشود؟
من المسؤول عن القتال؟
من أعلن الحرب؟
من هرع الى بوابة إليل))؟'
إليل [ ]
'كل واحد منا نحن الآلهة أعلن الحرب!
لقد [أوقفنا] الحفريات.
الحمل مضن، إنه يقتلنا
علمنا شاق جدا، والمشقة مضينة!
لذلك كل واحد منا نحن الآلهة
قد وافق على الشكوى لإليل.
حمل نوسكو أسلحته،
ذهب [وعاد إلى إليل]
'سيدي، أنت أرسلتني إلى [ ].
وأنا ذهبت [ ]
وشرحت [ ]
[ ]
قائلين، ((كل واحد منا نحن الآلهة
أعلن الحرب
لقد [أوقفنا] الحفريات
الحمل مضن، إنه يقتلنا،
علمنا شاق جدا، والمشقة مضنية،

لذلك كل واحد منا نحن الآلهة
قد وافق على الشكوى لإليل!))
أنصت إليل لذاك الخطاب.
وتكلم إليل بحذر (؟)،
وجه كلامه للمحارب آنو قائلا،
'أيها النبيل، احمل معك قرارا
إلى السماء، أظهر قوتك_
وأثناء مثول الأنوناكي أمامك
استدع واحد من الآلهة واجعلهم يحكمون
بهلاكه!
أسمع آنو صوته
وخاطب الآلهة إخوته،
مم نشتكي؟
عملهم كان شاقا بالفعل، وعناؤهم كبيرا.
كل يوم الأرض، (؟) [رجعت الصدى (؟)]
إشارة الإنذار كانت عالية كفاية،
كنا نسمع الضجيج باستمرار
[ ]يفعل
[ ]مهمات (؟)
(مقطع مجتزأ، قسم منه موجود وقسم
آخر متداخل مع المقطعين التاليين من النص
البابلي المعتمد)

النص البابلي المعتمد

(عندما) يجلس الأنوناكي أمامك،
و(عندما) تكون بليت _ إيلي إلهة الرحم
حاضرة،
استدع واحدا من الآلهة واجعلهم يحكمون
بهلاكه!
أسمع آنو صوته وخاطب [نوسكو]،
نوسكو، إفتح بابك، واحمل أسلحتك،
انحن في حضرة الآلهة العظماء، [ثم قف]
وخاطبهم قائلا [ ]،
((والدكم آنو، مستشاركم المحارب إليل،
حاجبكم نينورتا ومراقب قناتكم إينوكي
جميعم إرسلوني لأسألكم، من المسؤول عن
الحشود؟ من سيكون
المسؤول عن المعركة؟
إي إله بدأ الحرب؟
هناك حشود كانت تدور حول بابي!))
عندما سمع نوسكو هذا الكلام،
حمل أسلحته،
انحنى في حضرة الآلهة العظماء،[ثم وقف]
وخابطهم قائلا[ ]،
'والدكم آنو، مستشاركم المحارب إليل،
حاجبكم نينورتا ومراقب قناتكم إينوكي قد
أرسلوني لأقول لكم،
((من المسؤول عن الحشود؟ من المسؤول عن
القتال؟
أي إله بدأ الحرب؟

هناك حشود كانت تهرول حول بوابة إليل))

النص البابلي المعتمد

اسمع إيا صوته وخاطب الآلهة إخوته،

'لماذا نلقي اللوم عليهم؟

عملهم كان شاقا جدا، ومشقتهم مضنية.

كل يوم، الأرض (؟) [رجعت الصدى (؟)].

إشارة الإنذار كانت عالية كفاية،

[كنا نسمع الضجيج باستمرار.]

هناك [ ]

بليت-إيلي إلهة الرحم حاضرة-

لتخلق رجلا بدائيا

كي يحمل النير[()]،

كي يحمل النير، [عمل إليل]،

فليحمل الانسان حمل الآلهة!

النص البابلي القديم

'بيلت-إيلي إلهة الرحم حاضرة،

فلتخلق إلهة الرحم ذرية،

وليحمل الانسان حمل الآلهة!

استدعوا الإلهة، وسألوا

قابلة الآلهة، مامي الحكيمة،

'أنت إلهة الرحم (تكونين) خالقة الجنس

البشري!

اخلقي بدائيا، كي يحمل النير

اجعليه يحمل النير، عمل إليل،

اجعلي الانسان يحمل حمل الآلهة

اسمعت ننتو صوتها

وخاطبت الآلهة العظماء،

'لا يليق بي أن أصنعه.

هذا عمل إنكي،

هو من يصنع كل شيء طاهر

إن هو أعطاني طينا، فسوف أصنعه

أسمع إنكي صوته

وخاطب الآلهة العظماء،

'في الأول، والسابع، والخامس عشر من الشهر

سوف أصنع تطهيرا بالغسل.

ثم يجب ذبح أحد الآلهة.

وسوف تتطهر الآلهة بالعماد.

وستمزج ننتو الطين

بلحمه ودمه.

ثم يمزج معا

رجل وإله بالطين.

ولنسمع بعد ذلك قرع الطبول الى أبد الآبدين.

ولتأت روح الى الوجود من لحم الإله،

ولتعلنها إشارة حية له،

ولتأت الروح الى الوجود كي لا ينسى (الإله

الذبيح)

فأجاب الأنوناكي بـ'نعم' في اجتماعهم،

فهم الذين يعينون الأقدار.

في الأول، والسابع، والخامس عشر من الشهر

أجرى تطهيرا بالغسل
وذبحوا خلال اجتماعهم،
إيلا ويلا، الإله الذي يتمتع بالذكاء.
ومزجت ننتو الطين
بدمه وبلحمه.
وسمعوا قرع الطبول الى أبد الآبدين.
وأتت روح الى الوجود من لحم الأله،
وأعلنتها (ننتو) إشارة حية له.
وأتت روح الى الوجود كي لا ينسى (ألإله الذبيح.)
وبعد أن مزجت ذيك بالطين،
دعت الأنانوكي، ألآلهة العظماء.
وبصق الإيكيكي. ألآلهة العظماء،
بصاقا فوق الطين.
وأسمعت مامي صوتها
وخاطبت الآلهة العظماء،
'لقد أنجزت على التمام
المهمة التي أمرتوني بها.
لقد ذبحت إلها مع ذكائه.
لقد حررتكم من عملكم الشاق،
وفرضت حملكم على الانسان.
وقد منحتم الضجيج للجنس البشري.
لقد كسرت القيود ووهبت الحرية.
أنصتوا لخطابها هذا،
وتحرروا (من القلق)، ولثموا قدميها:
'كنا ندعوك مامي
أما الآن فسيكون اسمك سيدة جميع الآلهة.
انكي بعيد النظر ومامي الحكيمة
دخلا غرفة الأقدار.
كانت آلهات الرحم مجتمعات.
وطأ الطين بقدميه في حضورها،

النص البابلي المعتمد

بينما كانت تتلو تعويذة،
ذلك أن إنكي، الذي بقي حاضرا، جعلها تتلوها.
وعندما أنهت تعويذتها،
قبصت أربع عشرة قبصة (من الطين)،
(ووضعت) سبع قطع منها الى اليمين،
وسبعا الى اليسار
وبينهما وضعت قرميدة من طين.
ثم استخدمت قصبة(؟)، فتحتها(؟) لتقطع الحبل السري،
ودعت آلهات الرحم الحكيمات
ذوات المعرفة، سبعا ثم سبعا.
سبع منهن خلقن الذكور،
وسبع خلقن الإناث،
فإلهة الرحم (هي) خالقة القدر.
هو...(صيغة الماضي للفعل) هم اثنين اثنين،
...(صيغة الماضي للفعل)هم اثنين اثنين في حضورها.

وصنعت مامي(هذه) القواعد للناس،
'في منزل امرأة تلد
يجب أن تحفظ قرميدة الطين
لسبعة أيام.
ويجب أن تكرم بيلت-إيلي، الحكيمة مامي.
ويجب أن تبتهج القابلة في المنزل حيث المرأة
التي تلد
وعندما تلد المرأة الطفل،
يجب على والدة الطفل أن تنفصل بنفسها.
رجل لفتاة [ ]

النص البابلي القديم

[ ] صدرها
وستظهر لحية (؟)
على وجنتي شاب.
في الحدائق وجوانب الطرقات
زوجة وزوجها يختاران بعضهما الآخر.
كانت آلهة الرحم مجتمعة
وكانت نتتو حاضرة. أحصوا الأشهر،
وعينوا الشهر العاشر موعد الأقدار.
وعند حلول الشهر العاشر،
انسلت فس (؟) قصبة وشقت الرحم.
بدا وجهها مسرورا وفرحا.
غلطت رأسها،
وقامت بعمل القابلة،
لبست حزامها،
وتلت البركة
ثم رسمت شكلا فرق الطحين ووضعت قرميدة
الطين:
'أنا بنفسي خلقت(ه)، يداي قد صنعت(ه).
سوف تبتهج القابلة في منزل قادشتو-الكاهنة.
حيثما تلد امرأة
وتنفصل والدة الطفل بنفسها،
ويجب أن تحفظ قرميدة الطين لتسعة أيام.
وسوف تكرم نتتو إلهة الرحم.
وسوف تدعو خاصتهم... ((مامي)).
وسوف [ ] إلهة الرحم،
افرشوا قطعة الكتان(؟).
وعندما يفرش الفراش في منزلهما،
سوف تختار زوجة وزوجها بعضهما الآخر.
سوف تبتهج عشتار في علاقة الزوجة والزوج
في منزل الحموا سوف يستمر الاحتفال تسعة
أيام،
وسوف يدعون عشتار ((إشخارا))
[وفي اليوم الخامس عشر(؟)]،
الوقت المحدد للقدر
سوف تدعو [ ].
رجل [ ]
نظف البيت [ ]
الإبن لأبيه [ ]
[ ]

جلسو و[ ]
كان يحمل [ ]
رأى [ ]
إليل [ ]
استولوا على ...،
صنعوا معاول ورفوشا جديدة،
وحفرو أقنية كبيرة
وليطمعوا الناس ويؤازروا الآلهة.
سمئة سنة، أقل من ستمئة سنة، مرت،
وأصبحت البلاد واسعة جدا، والناس
كثر.....

اللوح الثاني:

النص البابلي المعتمد:

لم تكد ثلاثة عهود قد انقضت
وأصبحت البلاد واسعة جدا، والناس كُثر
كانت البلاد ضاجة كما الثور الخوّار
ضاقت الآلهة درعا بضجيجها
دعا إليل المجلس الى الانعقاد مجددا
وخاطب الاله أبناءه قائلا:
"ضجيج الجنس البشري لم يعد يطاق
ضجيجهم يفقدني رقادي
أصدروا الأمر لآنو وأنكيدو أن يبقيا (الهواء) في
الأعالي
(الأرض) في الأسفل موصدين
ولسن ونرجال أن يبقيا وسط الأرض موصدين

أما بالنسبة للمزلاج الذي يوصد البحر
سيحرص إيا بمخلوقاته للخامو على ابقائه
اصدر اوامره
ابقى آنو وأدد (الهواء) فوق الأرض موصدا
وابقى سن ونرجال وسط الأرض موصدا
ثم بكى أترخاسيس الرجل الحكيم جدا
بكى كل يوم
كان يحمل قرابين مشاكو على طول المرج
المحاذي لضفة النهر
ورغم صمت مياه الري
كان يقدم الأضاحي عندما ينتصف الليل
ومتى بدأ النوم يتملكه (؟)
خاطب مياه الري بقوله:
"لتأخذها مياه الري، وليحملها النهر
ولتوضع الهدية أمام سيدي ايا
ليراها ايا ويفك بي!
وهكذا أشاهد حلما في الليل"
عندما بعث الرسالة بالماء
جلس قبالة النهر، وبكى (؟)،
بكى الرجل (؟)، قبالة النهر
بينما هبطت تضرعاته إلى أبسو
ثم سمع صوتا
فاستدعى مخلوقاته اللخمو وخاطبها بقوله:
"هذا الرجل قد وصلتني صلواته (؟)
سارعوا واتوني بأخباره

واطلبوا إليه أن يقدم لي تقريرا عن بلاده"
فعبروا البحار الواسعة
حتى وصلوا ميناء ابسو
كرروا رسالة ايا لأترخاسيس
"أأنت الرجل الذي يبكي؟
هل تضرعاتك هي التي انحدرت نحو ابسو؟
لقد سمع ايا صوتك وقد أرسلنا إليك"...

النص البابلي القديم:

نحن الأنونا العظماء جميعنا،
وافقنا معا على خطة
يحرس كل من آنو وأدد الأعالي
وأحرس أنا الأرض....
[أنت] فرضت أعباءك على الإنسان
أنت أنعمت على الجنس البشري بالضجيج
أنت نحرت إلها مع ذكائه
يجب عليك... و[وتخلق طوفانا].
إنها سلطتك فعلا التي سوف تُستخدم ضد
[شعبك]
أنت وافقت على الخطة [الخاطئة (؟)]
اجعلها تنعكس!(؟)
لنحل انكي البعيد النظر أن يحلف... يمينا
أسمع إنكي صوته
وخاطب الآلهة إخوته
لماذا تطلبون إليّ أن أؤدي قسما؟
لماذا عليّ أن أستعمل قوتي ضد شعبي
الطوفان الذي تذكرونه لي ما هو؟ حتى إنني لا
أعرف!
هل باستطاعتي أن ألد طوفانا؟
ذلك النوع من الأفعال يخض إليل...
المجلس [ ]
لا تنصتوا لـ[ ]
الآلهة أصدروا أمرا صريحا
قام إليل بفعل رديء تجاه الشعب
أسمع أترخاسيس صوته
وخاطب سيده

اللوح الثالث:

النص البابلي القديم:

اسمع اترخاسيس صوته
وخاطب سيده:
اشرح لي معنى الحلم
[ ] دعني أكتشف نذيره (؟)
اسمع انكي صوته
وخاطب خادمه
انت تقول، "يجب أن أكتشف أثناء النوم (؟)"
وتأكد أنك ستنفذ الوصية التي أوجهها إليك!
أيها الجدار، إصغ إلي باستمرار!
يا كوخ القصب، تأكد أنك ستنفذ كل كلماتي!
فكك المنزل، وابن سفينة
ارفض الممتلكات، وخلص الكائنات الحية
السفينة التي ستبني

[ ]

[ ]

اسقفها كما ابسو

كي لا تتمكن الشمس من رؤية ما بداخلها

اصنع لها ظهرا أعلى وظهرا أسفل

ولتكن حبال الأشرعة والصواري متينة

وكذلك القار صلبا، ليعطي قوة

سوف أجعل المطر ينهمر عليك هنا،

وثروة من الطيور، وسبتا كبيرا (؟) من الأسماك،

فتح ساعة الرمل وملأها،

وقال له إن الرمل (الذي يحتاجه) الطوفان

يساوي سبع ليال

تلقى اترخاسيس الرسالة

وجمع كبار القوم عند بابه

اسمع اترخاسيس صوته

وخاطب كبار القوم

"إلهكم لم يعد محظيا عند إلهي

انكي و [وإليل (؟)] قد أصبحا متخاصمين مع بعضهما

لقد طردوني من [بيتي]

وبما انني دائما اكن الاجلال لإنكي

أطلع(ني) على هذه المسألة...

تغير وجه الطقس

وخار أدد من قلب الغيوم

وعندما (؟) سمع هو (أترخاسيس) صوته

أُحضر القار وختم بابه

وبينما كان يوصد بابه

استمر أدد في خواره من قلب الغيوم

كانت الرياح تثور حتى حينما صعد

(و) راح يقطع الحبل، وحرّر السفينة...كان

آنزو يمزق السماء بمخالبه

[ ] الأرض،

فحطّم [ ]

[ ] الطوفان [انفجر (؟)]

واندفع سلاح كاشوشو ضد الشعب كما الجيش

لم يتمكن أي إنسان من رؤية الآخر،

من المستحيل التعرّف إليهم أثناء الكارثة

وهدر الطوفان كالثور

[وهدرت] الرياح كحمار برّي يزعق.

كان الظلام شاملا، لم يكن هناك شمس

[ ] كالخراف البيض

[ ] الطوفان

[ ]

[ ]

[ ] ضجيج الطوفان

[آنو (؟)] أصبح مسعورا،

[الآلهة (؟)... أبناؤه... أمامه

وبالنسبة للسيّدة العظيمة ننتو

فقد تقشبت شفتاها بفعل الصقيع

والآلهة العظماء، الأنونا،

أصيبت بالظمأ والجوع
الآلهة راقبت وبكت...
بكى ننتو وألهب أهواءها
وبكى الآلهة معها من أجل البلاد
أنهكها الحزن، فتاقت لجعة (دون جدوى)
وحيث جلست تبكي (هناك الآلهة العظماء)،
أيضا جلسوا،
إنما كالخراف، لم يتمكنوا سوى من ملئ رغامهم
(بالثغاء)
قشور صقيع الجوع فقط
لسبعة أيام وسبع ليال
هبت السيول العواصف والطوفان...
اسمع إنكي صوته وخاطب الآلهة العظماء،
أنا فعلتها دفاعا عنكم!
وحرصت على الحياة مصانة [ ]
أطلبوا العقاب من الخاطئ
ومن كل من يخالف أوامركم...
كيف أرسلنا الطوفان
لكن رجلا واحدا بقى على قيد الحياة بعد
الكارثة
أنت مستشارة الآلهة،
وفقا لأوامرك أنا خلقت النزاع
فليستمع الإيكيكي إلى هذه الأغنية...
[ ]

ستيفاني دالي، المصدر السابق، ص ص 27-83.

البيبليوغرافيا

I. المصادر بالعربية:

1. **التوراة السامرية،** النص الكامل للتوراة السامرية مترجم الى العربية من الكاهن السامري ابو الحسن الصوري، نشرها الكاهن السامري عبد المعين صدقة، عن نسخة خطها ابو البركات السامري 784هـ، نشرت لأول مرة في مصر 1987م، تر: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، 2016.
2. **الكتاب المقدس** أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، ط8، دار الكتاب المقدس في مصر، القاهرة، 2012.
3. **القرآن الكريم،** برواية حفص عن عاصم، مكتبة ومطبعة المجلد العربي، القاهرة، 2010.
4. أوغسطين القديس، **مدينة الله،** تر: يوحنا الحلو، مج1، الكتاب الخامس، الكتاب السادس، ط2، دار المشرق، بيروت، 2006.
5. فلوطرخوس بلوتارخ، **تاريخ اباطرة وفلاسفة الإغريق،** تر: جرجيس فتح الله، ج2، الدار العربية للمسوعات، لبنان، 2010.

II. المصادر الأجنبية:

1. Hérodote, **Histoires**, Livre I, trad: Legrand, Les belles lettres, paris, 1936.
2. Flavius Josèphe**, Histoire Ancienne des Juifs et la Guerre des Juifs contre les Romains,** trad : Arnauld D'Andilly, Ed Lidis, Paris, 1981,L1.
3. **The Bible new Revised Standard version The Hebrew Bible** with the Apocryphal/ Deuterocanonical books, Zaine Ridling, ph D Editor, United States of America, 1989.

III. المصادر المادية:

1. باقر طه، **ملحمة جلجامش،** ط2، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، 2009.

2. دالي ستيفاني، **أساطير بلاد ما بين النهرين** الخليقة الطوفان جلجامش وغيرها، تر: نجوى نصر، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، لبنان، 1991.

3. كريمر صمويل، **من الواح سومر،** تر: طه باقر، ط1، بيت الوراق للنشر، العراق، 2010.

IV. المصادر الوسيطية:

1. ابن الاثير محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني (ت630هـ)، **الكامل في**

التاريخ، تح، ابي الفداء عبد الله القاضي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
2. ابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والامم**، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1995.
3. ابن الوردي سراج الدين (ت861هـ)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود الزناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007.
4. ابن بلبان الفارسي علاء الدين علي (793هـ)، **صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان**، تح: شعيب الارناؤوط، ج14، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.
5. ابن تيمية تقي الدين ابي العباس أحمد (ت728هـ)، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تح: أحمد معاذ علوان حقي، ج3، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1426هـ.
6. ـــــــــــ، **كتاب النبوات**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
7. ابن حزم الظاهري ابي محمد علي بن أحمد (ت406هـ)، **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، تح: محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ج1، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
8. ابن كثير ابي الفداء اسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، م1، م2، م3، م4، دار بن حزم، لبنان، 2002.
9. ـــــــــــ، **البداية والنهاية** مبدا الخليقة وقصص الانبياء، تح: محي الدين ديب مستو، ج1، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 2010.
10. ـــــــــــ، **قصص الأنبياء**، تح: عبد القادر الارناؤوط، ط1، دار الفيحاء، دمشق، 2005.
11. الالباني محمد عبد الناصر، **الجامع الصغير وزيادته**، ط3، المكتب الاسلامي، بيروت، 1988.
12. ـــــــــــ، **سلسلة الأحاديث الصحيحة** وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، (د.ت).
13. ـــــــــــ، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، ط4، مكتبة الدليل، السعودية، 1997.

14. البخاري بن اسماعيل ابي عبد الله محمد (ت256هـ)، **صحيح البخاري**، ط1، دار بن كثير، دمشق، 2002.
15. البستي محمد بن حبان بن أحمد ابو حاتم (ت254هـ)، **الثقات**، تح: السيد شرف الدين احمد، ج1، ط1، دار الفكر، سوريا، 1975.
16. البغدادي ابي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت463هـ)، **تاريخ الانبياء**، تح: آسيا كليبان علي البارح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
17. البيهقي ابي بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ)، **دلائل النبوة** ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلعجي، ج6، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988.
18. الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى (ت679 هـ)، **الجامع الكبير**، تح: بشار عواد معروف، م5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996.
19. الثعالبي عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف ابي زيد (ت875 هـ)، **تفسير الثعالبي** المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض وآخرون، ج3، ج5، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997.
20. الثعلبي ابي اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري (ت427هـ)، قصص الانبياء المسمى **عرائس المجالس**، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
21. الجرجاني علي بن محمد الشريف، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.
22. الخازن علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي (ت725هـ)، **تفسير الخازن** المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، ج2، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
23. الدمشقي الحنبلي ابي حفص عمر بن علي بن عادل (ت بعد 880هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تح: أحمد عادل الموجود وعلي محمد معوض، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
24. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.
25. الرازي بن ضياء الدين عمر محمد فخر الدين (ت604هـ)، **تفسير الفخر الرازي** المشتهر بالتفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج29، ج23، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981.

26. الراغب الاصفهاني ابي القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.م.ن)، (د.ت).
27. الراوندي قطب الدين سعيد بن هبة الله، **قصص الانبياء**، تح: غلام رضا عرفانيان، ط1، مجمع البحوث الاسلامية، إيران، 1409هـ.
28. الزرقاني محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تح: فواز احمد زمرلي، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995.
29. الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (ت794هـ)، **البحر المحيط** في أصول الفقه، ج2، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1992.
30. الزمخشري الخوارزمي أبي القاسم جار الله محمود بن عمر (ت538هـ)، **تفسير الكشاف** عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، ج12، ج17، ج25، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009.
31. السيوطي جلال الدين (ت911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج12، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية، (د.م.ن)، (د.ت).
32. ــــــــــــــــ، **المزهر في علوم اللغة**، مج1، ط3، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).
33. الشنقيطي محمد الامين بن محمد المختار الجكني (ت1393 هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج3، ج4، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.م.ن)، (د.ت).
34. الشيرازي الشافعي محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت1296هـ)، ومعه حاشية الغزنوي، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج2، ج4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
35. الصباغ محمد بن لطفي، **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، ط3، المكتب الاسلامي، بيروت، 1990.
36. الطبري ابي جعفر محمد بن جرير(ت310هـ)، **تفسير الطبري** جامع البيان عن تأويل اي قرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ج12، ج17، ج23، ج29، دار هجر، (د.م.ن)، (د.ت).

37. الطبري ابي جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الطبري** تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، (د.ت).
38. العبيدي عبد العزيز بن عبد الله، **تفسير بن عباس** ومروياته في التفسير من كتب السنة، مركز البحث العلمي، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
39. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (ت852 هـ)، **فتح الباري** بشرح صحيح الإمام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري برواية ابي ذر الهروي عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهيني، تح: عبد القادر شيبة الحمد، ج8، ج13، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2001.
40. العليمي الحنبلي مجير الدين، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، (د..ن)، (د.م.ن)، (د.ت).
41. القرطبي ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن** والمبين لما تضمنته من سنة واي فرقان، تح: عبد الله بن المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، ج9، ج11، ج18، ج21، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2006.
42. القضاعي ابي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت454هـ)، **الانباء بأنباء الانبياء** تواريخ الخلفاء وولايات الامراء، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
43. الكلبي ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت597هـ)، **الاصنام**، تح: أحمد زكي باشا، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت).
44. الماتريدي السمرقندي ابي منصور محمد بن محمد بن محمود (ت333هـ)، **كتاب التوحيد**، تح: بكر طوبال أوغلي ومحمد آروشي، مكتبة الارشاد، اسطنبول، 2001.
45. النجدي عبد الرحمان، **تيسير المنان في قصص القرآن**، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 2008.
46. الهيثمي نور الدين علي بن ابي بكر (ت807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
47. ابن اسحاق محمد، **المبتدأ في قصص الانبياء**، تح: محمد كريم الكواز، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2006.

V. المراجع بالعربية:

1. ابن سعدي عبد الرحمان بن ناصر، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، ط1، مجموعة التحف النفائس الدولية، السعودية، 1996.
2. ابراهيم ناصر، **التوراة بين الحقيقة والاسطورة والخيال**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009.
3. ابراهيم نبيلة، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار النهضة، مصر، (د.ت).
4. ابو السعود صلاح، **أساطير سومر وبابل**، ط1، دار طيبة، مصر، 2009.
5. ـــــــــــــ، **ملحمة جلجامش**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2009.
6. ـــــــــــــ، **قصة الطوفان** في نصوص الاسطورة والتوراة والقرآن، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2010.
7. ـــــــــــــ، **الحضارة الاغريقية**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2015.
8. ابو الصوف بهنام، **التاريخ من باطن الارض** اثار وحضارات واعمال ميدانية، مطابع شركة أوديب، الاردن، 2009.
9. أبو سعدة حسام، **حضارات امريكا القديمة** الازتك المايا الانكاس بيرو، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2014.
10. الاشقر عمر سليمان، **الرسل والرسالات**، ط6، دار النفائس، الاردن، 1995.
11. الأعظمي ضياء الرحمان محمد، **دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند**، ط2، مكتبة الرشيد، السعودية، 2003.
12. الاحمد سعيد سامي، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013.
13. ـــــــــــــ، **السومريون وتراثهم الحضاري**، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975.
14. الأحمدي حامد، **توحيد الالوهية اساس الاسلام**، الجامعة الاسلامية، (د.م.ن)، (د.ت).
15. الإمام بن عبد الله محمد، **تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول**، ط1، دار الإمام أحمد، القاهرة، 2007.
16. البار محمد علي، **الله جل جلاله** والانبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم

دراسة مقارنة، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1990.

17. الباش حسن، **القرآن والتوراة اين يتفقان واين يفترقان؟**، ج1، دار قتيبة، (د.م.ن)، (د.ت).

18. الجوهري أسامة، **الآثار العراقية** أكبر كارثة ثقافية منذ أكثر من خمسة قرون، دار هلا للنشر والتوزيع، مصر، 2006.

19. الحاج أحمد محمد، **النصرانية** من التوحيد الى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق، 1996.

20. الحسيني عبد الرزاق السيد، **العراق** قديما وحديثا، ط3، مطبعة العرفان، لبنان، 1958.

21. الخالدي صلاح عبد الفتاح، **مواقف الانبياء** في القرآن تحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، (د.ت).

22. الخشت محمد عثمان، **مدخل الى فلسفة الدين**، دار القباء، القاهرة، 2001.

23. الخطيب محمد احمد، **مقارنة الأديان**، ط2، دار المسيرة، الأردن، 2009.

24. ــــــــــــــ، **الفكر الاغريقي**، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999.

25. الدبش أحمد، **عورة نوح** ولعنة كنعان وتلفيق الاصول، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، 2007.

26. الزغبي فتحي محمد، **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994.

27. السبحاني جعفر، **بحوث قرآنية في التوحيد والشرك** يبحث عن تحديد معالم التوحيد والشرك مع تطبيقات علمية، ط3، مؤسسة الامام الصادق، (د.م.ن)، 2005.

28. السحماني أسعد، **اليهودية عقيدة وشريعة**، ط1، دار النفائس، لبنان، 2008.

29. ــــــــــــــ، **ترجمان الاديان**، ط1، دار النفائس، لبنان، 2009.

30. السعدون سليمان نصار، **بلاد الرافدين وعيلام** العلاقات الحضارية في التاريخ القديم، دار انانا، دمشق، 2010.

31. السعدي محي الدين محمد حسن، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم** العراق ايران آسيا

الصغرى، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995.

32. السقا حجازي أحمد، **نقد التوراة** أسفار موسى الخمسة السامرية العبرانية اليونانية، ط1، دار الجيل، بيروت، 1995.

33. السواح فراس، **الرحمان والشيطان** الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات الشرقية، منشورات علاء الدين، دمشق، 2010.

34. ـــــــــــ، **القصص القرآني** ومتوازياته التوراتية، دار علاء الدين، دمشق، 2013.

35. ـــــــــــ، **جلجامش** ملحمة الرافدين الخالدة، ط2، منشورات دار علاء الدين، سورية، 2002.

36. ـــــــــــ، **دين الانسان** بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات علاء الدين، دمشق، 1994.

37. ـــــــــــ، **مغامرة العقل الأولى** دراسة في الاسطورة سوريا ارض الرافدين، ط7، دار علاء، دمشق، 1988.

38. الشاعر عمرو، **قصص القرآن** قراءة قرآنية، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2013.

39. الشريف طه، **التوراة والانجيل والقرآن**، دراسة تحليلية موثقة بالنصوص الحرفية، ط1، (د.ن)، (د.م.ن)، 2001.

40. الشعراوي محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، م10، م16، دار أخبار اليوم، مصر، 1991.

41. الشواف قاسم، **ديوان الاساطير**، ج2، ط1، دار الساقي، بيروت، 1997.

42. الصابوني محمد علي، **النبوة والانبياء**، ط3، مكتبة الغزالي، دمشق، 1985.

43. الصلاح خالد رحال محمد، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى** وموقف الاسلام منها، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 2007.

44. الصليبي كمال، **خفايا التوراة** وأسرار شعب إسرائيل، ط6، دار الساقي، بيروت، 2006.

45. الصمادي اسماعيل ناصر، **نقد النص التوراتي** التأريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية وإسرائيل الصهيونية، حفرية نصية تاريخية اركيولوجية في الماضي

المتخيل الافتراضي لليهود، ط1، دار علاء الدين، سورية، 2005.
46. الغانمي سعيد، **اترا–حاسيس** ملحمة الخلق والطوفان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008.
47. الفني إبراهيم، **التوراة تاريخيا أثريا دينيا**، دار اليازوردي، الاردن، 2009.
48. القحطاني سعيد بن علي بن وهف، **نور التوحيد** وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة، (د.ن)، (د.م.ن)، 1999.
49. الكيلاني رعد شمس الدين، **الانبياء في العراق** دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001.
50. الكيلاني شمس الدين، **من العود الابدي الى الوعي التاريخي** الاسطورة الدين الايديولوجيا العلم، ط1، دار الكنوز الادبية، بيروت، 1998.
51. اللوساني السيد حسن، **تواريخ الانبياء**، ط1، مؤسسة الوفاء، لبنان، 1984.
52. الماجدي خزعل، **المعتقدات الاغريقية**، ط1، دار الشروق، الاردن، 2004.
53. ــــــــــــ، **بخور الآلهة** دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، دار الاهلية، لبنان، 1998.
54. ــــــــــــ، **كتاب انكي** الادب في وادي الرافدين، ج1، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2013.
55. ــــــــــــ، **متون سومر**، الكتاب الاول، التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس، ط1، الدار الاهلية، الاردن، 1998.
56. المشرقي أحمد، **النبوة في الاديان الكتابية**، ط1، دار الجيل، بيروت، 2004.
57. المطعني عبد العظيم، **الاسلام في المواجهة الاستشراق العالمي**، ط2، دار الوفاء، المنصورة، 1992.
58. المقدسي مظهر بن طاهر، **البدء والتاريخ**، ج3، مكتبة المثنى، بغداد، 1965.
59. المهدي حسين محمود أحمد، **الانبياء والملأ** دراسة مقارنة من خلال القرآن الكريم والعهدين الجديد والقديم، تق: محمد بن حافظ الشريدة، ط1، شركة ابن خلدون للطباعة والنشر، غزة، 2008.
60. النجار عبد الوهاب، **قصص الانبياء** لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب،

ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

61. النجار فخري خليل، **تاريخ الحضارة العربية الاسلامية**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2010.

62. النيلي سبيط عالم، **ملحمة جلجامش** والنص القرآني قراءة جديدة، ط**1**، دار المحجة البيضاء، بيروت، **2005**.

63. الهاشمي طه، **تاريخ الأديان وفلسفتها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963.

64. الهندي رحمة الله بن خليل الرحمان الكيرواني، **إظهار الحق**، تح: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ج1، ط1، الرئاسة العامة لإرادات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، السعودية، 1989.

65. أندراوس خليل أسامة، **المرشد الى الكتاب المقدس**، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، 2011.

66. باقر طه، **مقدمة في أدب العراق القديم**، ط1، بيت الوراق للنشر، بغداد، 2010.

67. ـــــــ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ط2، دار الوراق، بيروت، 2012.

68. جركسيان ليون، **تاريخ أديان التوحيد في الهلال الخصيب**، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، 2011.

69. جميل فؤاد، **الطوفان** في المصادر السومرية والبابلية الآشورية العبرانية، المركز الاكاديمي للابحاث، العراق، 2014.

70. حسن خليفة محمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار الثقافة العربية، (د.م.ن)، 2002.

71. حسن عبد الباسط احمد، **التاريخ الديني لسكان الجزيرة العربية في العصور القديمة من العبادات الاولى الى العبادات التوحيدية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2014.

72. حنا حنا، **دراسات توراتية**، ط2، دار رام، دمشق، 2006.

73. ـــــــــ، **هفوات التوراة**، ط1، دار رام، سورية، 2007.
74. حنون نائل، **الحياة والموت** في حضارة بلاد الرافدين القديمة، بحث في المعتقدات الدينية والاساطير القديمة، دار الخريف، سورية، 2005.
75. ـــــــــ، **ملحمة جلجامش**، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي، دار الخريف، دمشق، 2006.
76. داود داود جرجس، **أديان العرب قبل الإسلام** ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1988.
77. دولة محمد علي، **لتفسدون في الارض مرتين** صفحات في اليهوديات، ط1، دار القلم، دمشق، 2007.
78. ربيع محمد علي يحي، **الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف**، ط1، دار الوفاء، مصر، 1994.
79. رضا السيد محمد رشيد، **الوحي المحمدي** ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة الى دين الآخرة الانسانية والسلام، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
80. زرهار مصطفى، **مقاربات في دراسة النص التوراتي** (سفر راعوث انموذجا)، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، 2012.
81. زكريا محمد أبو بكر، **الشرك في القديم والحديث**، ط1، مكتبة الرشيد، السعودية، 2001.
82. سالم شريف حامد، **نقد العهد القديم** دراسة تطبيقية في سفري صموئيل الاول والثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011.
83. ـــــــــــــ، **المصدر اليهوي في التوراة**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011.
84. سليم محسوب محمد صبري، **الجغرافيا الطبيعية** اسس ومفاهيم حديثة، دار الفكر العربي، مصر، 1996.
85. سليمان عامر والفتيان مالك أحمد، **محاضرات في التاريخ القديم** موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا وبلاد اليونان والرومان القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، (د.ت).

86. سليمان عامر، **القانون في العراق القديم** دراسة تاريخية وقانونية مقارنة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.

87. سوسة أحمد، **تاريخ حضارة وادي الرافدين** في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثرية والمصادر التاريخية، ج1، (د.ن)، (د.م.ن)، (د.ت).

88. ـــــــــــ، **فيضانات بغداد**، مطبعة أوديب البغدادية، بغداد، 1962.

89. شحرور محمد، **الكتاب والقرآن** رؤية جديدة، ط2، دار الساقي، بيروت، 2013.

90. شعراوي عبد المعطي، **الاساطير الاغريقية**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983.

91. شلبي أحمد، **مقارنة الاديان اليهودية**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978.

92. صالح عبد العزيز، **الشرق الادنى القديم مصر والعراق**، ج1، مكتبة الانجلو المصرية، (د.ت).

93. طبارة عفيف عبد الفتاح، **مع الانبياء في القرآن الكريم** قصص ودروس وعبر من حياتهم، ط26، دار العلم للملايين، بيروت،2010.

94. طويلة عبد السلام عبد الوهاب، **توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي**، ط1، دار القلم، دمشق، 2004.

95. ظاظا حسن، **الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه**، ط4، دار القلم، دمشق، 1999.

96. ـــــــــــ، **أبحاث في الفكر اليهودي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015.

97. عاشور السيد محمد، **اليهود ونقد التوراة**، دار الاتحاد العربي للطباعة، (د.م.ن)، 1994.

98. عبد الحكيم منصور، **ازدراء وايذاء الانبياء** قديما وحديثا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2006.

99. ـــــــــــــــ، **طوفان نوح** عليه السلام في القرآن والأساطير القديمة، ط1،

دار الكتاب العربي، القاهرة، 2012.

100. عبد الرحيم حسين فضيلة، **فكرة الاسطورة وكتابة التاريخ**، دار اليازوردي، الاردن، 2009.

101. عبد الله فيصل ومرعي عيد، **تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين**، جامعة دمشق، سورية، 2014.

102. عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي، **طوفان نوح**، ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2011.

103. عبد الوهاب لواء أحمد، **الاسلام والاديان الاخرى** نقاط الاتفاق والاختلاف مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، (د.ت).

104. عتر نور الدين، **علوم القرآن الكريم**، ط1، مطبعة الصباح، دمشق، 1993.

105. علي فاضل عبد الواحد، **الطوفان في المراجع المسمارية**، جامعة بغداد، 1975.

106. عمر سليمان الاشقر، **العقيدة في الله**، ط12، دار النفائس، الاردن، 1999.

107. عمر أحمد عمر، **رسالة الانبياء**، ج1، ط1، دار الحكمة، دمشق، 1973.

108. عمر سليمان الاشقر، **العقيدة في الله**، ط12، دار النفائس، الاردن، 1999.

109. غلاب محمد السيد، **مبادئ الجغرافيا الطبيعية**، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1980.

110. فايد عبد المجيد يوسف، **جغرافية المناخ والنبات**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

111. فرحات يحي وابو سمور حسن، **المدخل الى الجغرافيا الطبيعية**، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية، الاردن، 1988.

112. قاسم عبد الستار، **ابراهيم** والميثاق مع بني اسرائيل في التوراة والانجيل والقرآن، ط2، الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية، القدس، 1994.

113. قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، **طوفان نوح بين الحقيقة والاوهام**، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2009.

114. قطب محمد علي، **زوجات الأنبياء وأمهات المؤمنين** رضي الله عنهن، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004.

115. كاخي زهير علي عبد المجيد، **الثمين من قصص الانبياء والمرسلين**، ط1، دار المحبة، دمشق، 2004.

116. سليم امين احمد، **دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم** مصر العراق ايران، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

117. شنودة زكي، **المجتمع اليهودي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

118. مارش وليم، **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم** شرح سفر التكوين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1973.

119. مبارك سيد، **معجزات الانبياء والمرسلين**، المكتبة المحمودية، القاهرة، 2004.

120. محسن سالم، **منهج الانبياء في الدعوة الى الله تعالى**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.

121. محمد علي موسى، **التوحيد** مفتاح دعوة الرسل، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت).

122. محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم **تاريخ العراق القديم**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990.

123. ــــــــــــــ، **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**، ج4، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.

124. محمود عزيز كارم، **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الادنى**، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1999.

125. محمود عبد الحليم، **قصص الانبياء** في رحاب الكون مع الانبياء والرسل، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 2010.

126. مظهر اسماعيل، **قصة الطوفان** وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هي الآشورية البالية والعبرانية والمسيحية وانتقالها باللقاح الى المدينة الاسلامية، دار العصور للطبع والنشر، مصر، 1929.

127. ناصف حفني عصام الدين، **اليهودية في العقيدة والتاريخ**، ط1، دار المعاط الجديد، القاهرة، 1977.

128. نعيم محسن، **نبوات ورؤى** النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسة في النصوص النبوية والرؤوية في المقدس، ج1، دار الثقافة، القاهرة، 2005.

129. يحي هارون، **الامم البائدة**، ط1، دار القبس للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010.

VI. المراجـــع المترجمـــة للعربيـــة:

1. اسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، تر: حسن حنيفي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2005.
2. إيلياد ميرسيا، **تاريخ المعتقدات والافكار الدينية**، تر: عبد الهادي عباس، ج3، دار دمشق، سورية، 1987.
3. ـــــــــــــ، **الاساطير والاحلام والاسرار**، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 2004.
4. بارندر جيفري، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر: امام عبد الفتاح امام، ط2، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، مصر، 1996.
5. بارو اندري ومالرو اندري، **سومر** فنونها وحضارتها، تر: عيسى سليمان وسليم طه التكريتي، (د.ن)، بغداد، 1977.
6. بتمان ولتر وريان وليم، **طوفان نوح** الاكتشافات العلمية الحديثة بخصوص الحدث الذي غير التاريخ، تر: فارس بطرس، 2005.
7. بوتيرو جان، **الديانة عند البابليين**، تر: وليد الجادر، ط1، مركز الإنماء الحضاري، (د.م.ن)، 2005.
8. بوستيفيت نيكولاس، **حضارة العراق** وآثاره تاريخ مصور، تر: سيد عبد الرحيم الحلبي، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1991.
9. بوكاي موريس، **القرآن والتوراة والانجيل** دراسة في ضوء العلم الحديث، تر: عادل يوسف، ط1، دار الاهلية، الاردن، 2009.
10. جروبر بث، **تاريخ العراق القديم** علم الآثار يزيح الستار عن اسرار ماضي العراق، تر: إبراهيم محمد ابراهيم، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2009.
11. جرينبرج جاري، **101 أسطورة توراتية** وكيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي، تر: دينا إمام، ط1، دار العين، القاهرة، 2013.

12. جيمس ارثر وبلفور اوف ايرل، **في الفكر الديني الالوهية والفكر قصة الطوفان**، تر: اسماعيل مظهر، ط**1**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، **2015**.
13. جماعة من علماء الآثار السوفييت، **العراق القديم** دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تر: سليم طه التكريتي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
14. جنزبرج لويس، **أساطير اليهود** أحداث وشخصيات العهد القديم من بدء الخليقة الى يعقوب، تر: حسن حمدي السماحي، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، 2007.
15. زالمان شازار، **تاريخ نقد العهد القديم** من أقدم العصور حتى العصر الحجري الحديث، تر: أحمد محمود هويدي ومحمد خليفة حسن، المجلس الاعلى للثقافة، (د.م.ن)، 2000.
16. ساكز. هـ. و. ف، **البابليون**، تر: سعيد الغانمي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009
17. سيجال. م. ص، **حول تاريخ الأنبياء**، تر: حسن ظاظا، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، (د.ت).
18. فريزر جيمس، **الفلكلور في العهد القديم**، تر: نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972.
19. لويد سيتون، **آثار بلاد الرافدين** من العصر الحجري القديم الى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، دار دمشق، سوريا، 1993.
20. مارش وليم، **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم** شرح سفر التكوين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1973.
21. ماسبيرو، **تاريخ المشرق**، تر: أحمد زكي بك، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1897.
22. مالوان ماكس، **مذكرات مالوان** عالم الآثار وزوج أجاثا كريستي، تر: سمير عبد الرحيم الجلبي، منشورات الجمل، بيروت، 2014.
23. نيبور كارستين، **رحلة الى شبه الجزيرة العربية** والى بلاد أخرى اخرى مجاورة لها، ج2، ط2، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2013.

VII. المراجع الاجنبية:

1. Bell Lowthian Gertrude, **Amurath to Amurath**, William Heinemann MCMXI, London, 1911.
2. Budge Wallis. E. A, **The Babylonian Story of the Deluge and the Epic of Gilgamish**, Price one Shilling British Museum, 1920.
3. Cassuto. U, **A Commentary of the Book of Genesis**, trad: Israel Abrahams, part 2 from Noah to Abraham, the Manges Press the Hebrew University, Jerusalem, 1963.
4. Contenau .George, **la Civilisation Assyro Babylonienne**, Collection Payot & C^{ie}, Paris, 1922.
5. Cross Moore Frank , **Canaanite Myth and Hebrew Epic Essay in the History of the Religion of Israel**, Harvard University Press, USA, 1973.
6. De Kirwan. C, **Le Déluge de Noé est les Races Prédiluviennes**, tome 2, Libraire Blood et Barrel, Paris, 1899.
7. Dunan Maurice, **Histoire Ancienne des Peuples de L'Orient**, Garnier Frères Libraires, Editeurs, Paris, 1886.
8. Dhorme Edouard, **Les Religion De Babylonie Et D'Assyrie**, 2eme Edition, PUF, paris, 1949.
9. Eissfeldt Otto, **the Old Testament an Introduction**, trad: P. R. Ackroyd, Harper and Row Press, New York, 1972.
10. Fasold David, **The Discovery of Noah's Ark how the world's createst Archaeological Mystery was solved**, Sidwick and Jackson, London, 1990.
11. Finkelsteim Israël and Silberman Ashar, **La Bible Dévoilée les Nouvelles Révélations de L'archéologie**, trad: Patric Ghirardi, 8eme tirage, Bayard édition, Paris, 2002.
12. Frazer George James, **the Golden Bough** A Study of Magic and

Religion, Temple of Earth Publishing, New York, 1953.

13. Geol. P. H. Donald Daae, **Bridging the Gap the 7 th Day** who was Early Man vol 2, Library Of Congress, USA, 2010.
14. Goldzeiher Ignaz, **Mythology Among the Hebrews and its Historical development**, trad: Russell Martinneau, Longmans Green and CO, London, 1877.
15. Gurzadyan. V and H. Gasche. J. A Armstrong S.W. Cole, **Mesopotamian History and Environment** Dating the Fall of Babylon, The University of Ghent and the Oriental Institute of the University of Chicago, Belgium, 1998.
16. Heschel. J. Abraham, **the Prophets**, Library of Congress Cataloging- in-Publication Data, New York, 2001.
17. Hoefer. Ferd M**, L'Univers Histoire et Description** de tous les peoples Chaldés Assyrie Médie Babylonie Mésopotamie Phénicie Palmyrène, Firmin Didot Frères, Paris, (s.d).
18. Jacobsen Thorkild, **the Sumerian King List**, The University of Chicago Press, Chicago, 1939.
19. Jacolliot Louis, **Fétichisme Polythéisme Monothéisme**, A. Lacroix et Ce Éditeurs, Paris, 1876.
20. Kramer Noah Samuel, **L'Histoire commence à Sumer**, 2em, Édition, B. Arthaud, France, 1957.
21. King. W. Leonard, **Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition**, Wipf &Stock Publishers, USA, 2006.
22. James. E. O, **the Tree of life An Archeological Study**, E.J. Brill Leiden, Netherlands, 1966.
23. Jastrow Morris, **Babylonia and Assyria** its Romains language history religion law art and literature, J.B Lippincott Company, Philadelphia, 1915.

24. ——————, **the Civilization of Babylonia and Assyria** its Remains Language history religion commerce law art and literature, the Washington SQUARE Press, Philadelphia, 1915.
25. Layard Henry Austen**, Nineveh and its Remains** a narrative of An Expedition To Assyria, John Murray Albemarle street, London, 1867.
26. Leciontre. G et Le Guyader. H, **Classification Phylogénétique du Vivant**, Ed Belin, Paris, 2001.
27. Lenorment François, **Histoire Ancienne de L'Orient** jusqu'aux Guerres Médique, 9emme Edition, A. Lévy Libraire Editeur, Paris, 1887.
28. Lods Adolphe, **Les Prophètes d'Israël** et les débuts du Judaïsme, éditions Albin Mechel, Paris, 1969.
29. ——————, Histoire des Religions **La Religion d'Israël**, Librairie Hachette, Paris, 1939.
30. ——————, **The History of Civilization Israel**, trad: S. N. Hooke, 1st pub, General editor CK OGDEN, New York, 1932.
31. Lord. A. M, **Mesopotamian Archeology**, McMillan and LTD and Philiplee Warner, London, 2007.
32. Malinowski Bronislaw, **Magic Science and Religion** and other Essays, The Free Press Glencoe Illinois, 1948.
33. Ménant Joachim. M, **Babylone et Chaldée**, Maisonneuve et Ce Editeurs, Paris, 1874.
34. MC Intosh. R. Jane, **Ancient Mésopotamia** new perspectives, ABC-CLIO inc, California, 2005.
35. Moorey. P.R.S, **Kish Excavations** 1923-1933, Clarendon Press, London, 1978.
36. Muller Max, **Introduction to the Science of Religion**, Longmans Green and CO, London, 1873.
37. Neil Willson, **Harper's Bible Commentary**, New York, Eve mission, San Francisco, London, (s.d).

38. Oppert J. MM et Ménant. J, **Documents Juridiques** de L'Assyrie et de la Chaldée, Maisonneuve et Ce Libraires, Paris, 1977.
39. Perkins Louise Ann, **The comparative Archeology of Early Mesopotamia**, 7th Edition, University of Chicago Press, London, 1977.
40. Pomeroy. B Sarah et al, **A Brief History of Ancient** Greece Politics Society and Culture, Oxford University Press, New York, 2004.
41. Potter George, **Ten More Amazing Discoveries**, Acid Free Paper, United States of America, 2005.
42. Rohling Auguste, **Le Juif- Talmudiste**, Alfred Vromant Imprimeur Editeur, Paris, 2011.
43. Roux Georges, **la Mésopotamie**, éditions du Seuil, 1995.
44. Rowley. H. H, **the Growth of the Old Testament**, Hutchinson's University Library, London, 1950.
45. Somervill. A. Barbara**, Empires of Ancient Mesopotamia** Great empires of the past, Chelsea House, New York, 2010.
46. Stone. G. Peter and Bajjaly Farchakh Joanne, **The Destruction of Cultural Heritage in Iraq**, The Boydell Press, United Kingdom, 2008.
47. Tiele. C. P, **Histoire Comparée des Anciennes Religions**, trad: G. Collins, G. Fishbacher Editeur, Paris, 1882.
48. Watelin. L. Ch & Langdon Stephen, **Excavations at Kish** (1925-1930), vol 4, P. Geuthner, Paris, 1934.
49. Wilson L. Karen, **Bismaya Recovering the Lost city of Adab**, Oriental Institute Publications volume 138, Chicago, 1984.
50. Woolley Leonard, **Abraham** découvertes récentes sur les origines des Hébreux, tra: A et H. Delavaud, Payot, Paris, 1949.
51. ——————, **Ur Excavations the Royal Cemetery**, Vol2, the Aid of A Grant From The Carnegie Corporation, New York, 1934.
52. Wrigh Ernest. G, **the Old Testament Against** its Environment, SCM Press, London, 1968.

IIIV. القواميس والمعاجم والموسوعات بالعربية:

1. محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت817 هـ)، **القاموس المحيط**، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ج1، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
2. ابن منظور، **لسان العرب**، تح: عبد الله الكبير وآخرون، م1، م5، م6، دار المعارف، مصر، (د.ت).
3. ابو خليل شوقي، **أطلس القرآن** اماكن اقوام اعلام، دار الفكر، دمشق، 2003.
4. البستاني بطرس، **محيط المحيط** قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.
5. الجمل عز الدين حسن، **مخطوطة الجمل** معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، ج2، ج3، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2007.
6. الحموي ياقوت البغدادي شهاب الدين ابي عبد الله، **معجم البلدان**، ج3، ج4، ج5، دار صادر، بيروت، 1977.
7. الساموك محمود السعدون، **مقارنة الاديان**، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، 2004.
8. الشامي رشيد، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002.
9. الصوفي أحمد ماهر وآخرون، **الموسوعة الكونية الكبرى** آيات الله في الرياح والمطر والاعاصير والبراكين والزلازل، ج13، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2007.
10. المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج2، ط5، دار الشروق، 2009.
11. المقحفي احمد إبراهيم، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجمهورية اليمنية، 2002.
12. بباوي وهبة وليم وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، م3، دار الثقافية، (د.م.ن)، (د.ت).
13. بك زكي احمد، **قاموس الجغرافيا القديمة**، ط1، المطبعة الكبرى، الاميرية، مصر، 1889.

14. سعفان كامل، **موسوعة الاديان** القديمة معتقدات آسيوية (العراق فارس الهند الصين اليابان)، ط1، دار الندى، مصر، 1999.
15. سلامة أمين، **معجم الاعلام** في الاساطير اليونانية والرومانية، ط2، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر، مصر، 1988.
16. عبد الباري فرج الله، **موسوعة العقيدة والاديان** العقيدة الدينية نشأتها وتطورها 14، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006.
17. ــــــــــــ، **موسوعة العقيدة والاديان** واليهودية بين الوحي الالهي والانحراف البشري، دار الآفاق العلمية، (د.م.ن)، (د.ت).
18. عبد الملك بطرس وآخرون، **قاموس الكتاب المقدس**، ط15، مجمع الكنائس بالشرق الادنى، بيروت، 2011.
19. عبودي. س. هنري، **معجم الحضارات السامية**، ط2، جروس برس، بيروت، 1992.
20. كورتل آرثر، **قاموس أساطير العالم**، تر: سهى الطريحي، دار نينوى، سورية، 2010.

XI. القواميس والمعاجم والموسوعات الاجنبية:

1. **Encyclopédie Universelle**, vol 22, Corpus 16 Néolithisation-Ornement, Paris, (s.d)
2. Jeremy Black and Anthony Green, **Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia**, The British Museum Press, London, 1992.
3. Lieck. G, **A Dictionary of ancient Near Eastern Mythology**, London, 1998.
4. Miller. S. Madeleinne and Miller Lane. J**, Harper's Bible Dictionary**, Harper's & Row Publisher's, London, (s.d).
5. Smith William, **Classical Dictionary of Greek and Roman**, Harper & Brothers Publishers, New York, 1884.
6. **The Oxford Cyclopedic Concordance**, Oxford University Press, London, (s.d).

X.الدوريات بالعربية:

1. البدري سامي، "النجف مراسي سفينة نوح"، تراث النجف، مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، العراق، العدد الأول، 2009.
2. الجابري فليفل صلاح، "الدين والاسطورة والعلم مستويات مختلفة للفهم والتأويل"، فلسفة الدين مقول المقدس بين الايديولوجيا واليوتوبيا وسؤال التعددية، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 2012.
3. الحامدي محمد فيض الله، "الطوفان بين الحقيقة والاسطورة"، التراث العربي، العدد 58، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.
4. العامري خزعل ثامر، "طوفان النبي نوح عليه السلام والتغيرات البيئة اللاحقة في وادي الرافدين بالأدلة البالينولوجية، مجلة التراث، النجف، العدد2.
5. الغانم مكي أحمد، "الطوفان"، مجلة الواحة، العدد60، شتاء2010.
6. النعال فوزي مختار، "الجودي الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في القرآن الكريم والكتب المقدسة وكتب التاريخ، مجلة التراث العربي، العدد 97، مارس 2005.
7. جلبي خالص، "قصة الطوفان من زاوية انثروبولجية" جريدة الشرق الاوسط، العدد 8079، 10 جانفي 2001، صفحة الرأي 3.
8. حقي علوان أحمد معاذ، "أثر عزرا في الديانة اليهودية"، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، مج23، العدد 75، 2008.
9. صالح إدريس عبد الرحمان، "فيضان عام 1954م فصل من تاريخ بغداد الاجتماعي"، مجلة ديالي، العدد 44، 2010.
10. عطية جعفر موسى، "أرض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي"، مجلة تراث النجف، العدد الأول، السنة الأولى.
11. علي جواد، "أصنام العرب"، مجلة سومر، مج23، ج1،2، المديرية العامة للآثار، بغداد، 1967.
12. علي فاضل عبد الواحد، "ثم جاء الطوفان"، مجلة سومر، مج31، ج1،2، المديرية العامة للآثار، بغداد، 1975.

13. غانم جازم عبد النور علي، "دراسة أسباب الفيضانات في المناطق الجافة وشبه الجافة وأساليب السيطرة عليها دراسة فيضانات مدينة معبر في اليمن"، تقنيات البناء، السعودية، العدد 15، جوان 2008.

XI. الدوريات الاجنبية:

1. Crouse Bill and Goedon, "Mount Cudi- true Mountain of Noah's Ark", Bible and Spade, 19.4, 2006
2. "Explorers who allegedly discovered Noah's Ark post first footage", Turk National, 30 April 2010.
3. Macdonald David, "the Flood Mesopotamian Archaeological Evidence", Creation Evolution Journal, vol8, Issue 23, spring 1988.
4. Mallowan Max, "Noah's Flood Reconsidered", Journal of Iraq, vol 26, 1964.
5. Langdon .S, "Excavation at Kish, 1928-9", Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain & Ireland (New Series), vol62, Issue 03, July 1930.

XII. المواقع الالكترونية:

http://kazaaber.blogspot.com/2012/11/blog-post.html
http://islamweb.net/services/convert/
http://www.iraqena.com/aniraq/
https://www.pinterest.com/pin/473370610808643375/
http://arabic.britishmuseum.org/middle-east/room55/flood-tablet.html
https://www.pinterest.com/pin/444871269420111772/activity/
http://www.eajaz.org/

فهرس

المحتويات

العنـــــــــوان	الصفحة
مقدمة.....	أ
فصل تمهيدي: مفاهيم أساسية	15
1.التوحيد:.....	15
أ.مفهومه.....	15
أ.1.لغة:.....	15
أ.2.اصطلاحا:.....	16
ب.التوحيد في الأديان السماوية:.....	18
ب.1.في اليهودية.....	18
ب.2.في النصرانية.....	19
ب.3.عند المسلمين.....	20
2.النبوة:.....	21
أ.مفهوم النبوة:.....	22
أ.1.لغة.....	22
أ.2.اصطلاحا:.....	22
ب.خصائص النبوة:.....	24
ب.1.الوحي.....	24
ب.2.الدعوة الى الله.....	26
ب.3. التفضيل والاختيار.....	27
ب.4. العصمـــة.....	28
ب.5.الآيات والمعجزات.....	29
3. الكتب المقدسة:.....	30
أ.التوراة:.....	30
أ.1.تعريفها.....	32
أ.2.أسفارهـــا.....	33

أ.3.تدوينـــها..... 36
ب. القرآن:..... 40
ب.1.مفهومــه..... 40
ب.2.جمعه وتدوينه..... 43
4.الاسطورة:..... 44
أ.مفهومها:..... 45
أ.1.لغــة:..... 45
أ.2.اصطلاحا..... 46
ب. أنواعها:..... 47
ب.1.الأسطورة الكونية..... 47
ب.2.الأسطورة الطقوسية..... 47
ب.3.الأسطورة الرمزية..... 48
ب.4.الأسطورة التاريخية..... 48
الفصل الأول: زمان ومكان نوح عليه السلام 51
1.تسمية نوح عليه السلام:..... 52
أ.في الأساطيــر..... 52
ب.في التــوراة..... 53
ج.في المصادر الإسلامية..... 54
2.نسب نوح عليه السلام:..... 56
أ.في الاســاطير..... 56
ب.في التــوراة..... 56
ج.في القرآن الكريم..... 57
د.زوجته واولاده..... 57
3.صفات نوح عليه السلام:..... 61
أ.في الاساطيــر..... 61

ب.في التــوراة..... 62
ج.في القرآن الكريم..... 63
د.في السنة النبوية..... 65
4.عمر وزمان نوح عليه السلام:..... 66
أ.عمره من التوراة..... 66
ب.عمره من القرآن والسنة..... 67
ج.طول اعمار الاولين..... 68
د.عصـــره..... 69
5.أصنام قوم نوح عليه السلام:..... 76
أ.في القرآن الكريم..... 76
ب.في المصادر الاسلامية..... 77
ج.في السنة النبوية..... 80
6.مكان نوح عليه السلام:..... 80
أ. مميزات البيئة..... 80
ب. عبادة قومه..... 82
ج. الأبحاث الاثرية..... 84
د. فوران التنور..... 85
الفصل الثاني: طوفان نوح في الآثار والابحاث العلمية 88
1.بدايات البحث الأثري في العراق:..... 88
2.الطوفان في قوائم الملوك السومرية:..... 90
أ.اكتشافها..... 90
ب.تعريفها..... 91
ج.تدوينها..... 93
د.ترتيبها..... 94
د.1.سلالات حكمت قبل الطوفان:..... 94

د.2.سلالات حكمت بعد الطوفان..... 95
3.التنقيبات عن مدن الطوفان..... 98
أ.التنقيبات في أور:..... 99
ب.التنقيبات في كيش..... 101
ج.التنقيبات في شوروباك..... 102
4.الاستكشافات عن مراسي سفينة نوح عليه السلام 104
أ.البحر الأسود..... 105
ب.جبال آرارات:..... 107
ج.جبل الجودي..... 110
د.جبل نصير..... 113
هـ.شبه الجزيرة العربية..... 114
4.الأسباب العلمية للطوفان..... 117
أ.غزارة مياه الأمطار..... 117
ب.فيضان الأنهار..... 119
ج.ذوبان الثلوج..... 120
د.المياه الجوفية..... 122
الفصل الثالث: طوفان نوح عليه السلام في الأساطير والرقم الطينية 125
1.اسطورة الطوفان السومرية..... 126
أ.مصدر الاسطورة..... 127
ب.شخصية زيوسدرا..... 127
ج.الاحداث قبل الطوفان..... 128
د.الطوفان والفلك..... 130
هـ.نهاية الطوفان..... 132
2.قصة الطوفان في الأساطير البابلية:..... 133
أ. أسطورة "اوتا-نبشتم"..... 133

أ.1.مصدر الأسطورة..... 133
أ.2.شخصية أوتا-نبشتم..... 134
أ.3.قرار الطوفان..... 136
أ.4.السفينة..... 137
أ.5.الطوفان..... 138
أ.6.نهاية الطوفان..... 140
ب.أسطورة "أترا-حاسيس"..... 142
ب.1.مصدر الأسطورة..... 142
ب.2.شخصية "أترا-حاسيس"..... 143
ب.3.سبب الطوفان..... 144
ب.4.السفينة..... 145
ب.5.الطوفان..... 146
ب.6.نتائج الطوفان..... 147
ج.قصة بيروسوس عن الطوفان..... 149
ج.1.مصدر الأسطورة..... 149
ج.2.شخصية اكسيسوثروس..... 150
ج.3.أحداث الطوفان..... 150
ج.4.الفلك..... 151
ج.5.نهاية الطوفان..... 151
3.مقارنة بين الاساطير:..... 152
أ.أدوار الطوفان..... 153
ب.بطل الطوفان وإفشاء السر الالهي..... 153
ج.سبب الطوفان..... 154
د.موعد الطوفان ومدته..... 155
هـ.رسو الفلك واطلاق الطيور..... 155

4.الطوفان في الأدبيات الأخرى:..... 156
أ.الرواية الهندية للطوفان..... 156
ب. الرواية اليونانية للطوفان..... 158
ج.رواية الطوفان في أمريكا..... 160
د.رواية الطوفان في استراليا..... 161
هـ.رواية الطوفان في افريقيا..... 161
الفصل الرابع: نوح عليه السلام في التوراة 165
1.الاصحاحات التي تناولت الطوفان:..... 166
أ.الاصحاح السادس..... 166
ب.الاصحاح السابع..... 167
ج.الاصحاح الثامن..... 168
د.الاصحاح التاسع..... 169
هـ.الاصحاح العاشر..... 170
2.الأحداث قبل الطوفان:..... 171
أ.سبب الطوفان..... 171
ب.قرار الطوفان..... 173
ج.صنع الفلك..... 175
د.ركاب الفلك..... 177
3.أحداث الطوفان:..... 181
أ.وصف الطوفان..... 181
ب.مدة الطوفان..... 182
ج.انحسار الماء..... 186
د. استقرار الفلك..... 188
4.الأحداث بعد الطوفان:..... 189
أ. هبوط ركاب الفلك..... 189

ب.مباركة الرب لنوح عليه السلام..... 190
ج.ميثاق الرب مع نوح عليه السلام 192
د.أولاد نوح عليه السلام..... 194
الفصل الخامس: نوح عليه السلام في القرآن الكريم 201
1.دعوة نوح عليه السلام لقومه:..... 203
أ.أساليب الدعوة..... 204
ب.الموقف من الدعوة..... 207
ج.يأس نوح عليه السلام من قومه..... 211
2.الفلك:..... 212
أ.أمر الله بصنع الفلك..... 212
ب.وصف الفلك..... 213
ج.حمولة الفلك..... 215
3.فوران التنور: 216
أ.التنور لغة..... 217
ب.التنور اصطلاحا..... 217
ج.الاعجاز القرآني في الفوران..... 218
4.وصف الطوفان:..... 219
أ.مياه الطوفان..... 219
ب.مسرى الفلك..... 220
ج.انحسار الماء..... 222
د.استقرار الفلك..... 223
هـ.مدة الطوفان:..... 224
5.ما بعد الطوفان:..... 225
أ.المنزل المبارك:..... 225
ب.الناجون من الطوفان:..... 227

ج.مسألة ابن نوح عليه السلام:..... 230
د.وفاة نوح عليه السلام:..... 233
الفصل السادس: المقاربات والمفارقات في طوفان نوح عليه السلام 237
1.ما قبل الطوفان:..... 238
أ.سبب الطوفان:..... 238
ب.بطل الطوفان:..... 240
ج.الاعلام بالطوفان:..... 242
د.الفلك:..... 243
هـ.علامة الطوفان:..... 246
2.حدوث الطوفان:..... 248
أ.حمولة الفلك:..... 248
ب.وصف الطوفان:..... 251
ج.استقرار الفلك:..... 254
د.مدة الطوفان:..... 255
3.ما بعد الطوفان:..... 258
أ.علامة نضوب الماء:..... 258
ب.مباركة نوح:..... 260
ج.الميثاق مع الرب:..... 261
4.مسألة شمول الطوفان:..... 263
أ.في الاساطير:..... 264
ب.في التوراة:..... 265
ج.في القرآن الكريم:..... 268
د.في الابحاث الأثرية:..... 272

خاتمة:..... 276
ملاحق:..... 285
البيبليوغرافيا:..... 321
فهرس المحتويات:..... 246